

# فِرْدَوْسُ الْعَلَفِ النَّفْسِيَّةِ

لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ دَرَاذِي حَلَلَهُ

مجمع وإعداد

السَّيِّدُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ طَهْفِي فَضْلَانِي

تقديم

الدُّعَاةُ الْكُبْرَى الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْإِمَامُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ

أستاذ تفسير وعلم القرآن، جامعتي الأزهر وألم بقرى سابقا

إمعة وإعتى بض

د. حمادى الأدهم

مفكر

للطباعة والنشر

# من روائع التفسير

للإمام: محمد عبد الله دراز  
رحمه الله

جمع وإعداد  
الشيخ / أحمد مصطفى فضلية  
من علماء الأزهر الشريف

تقديم  
الأستاذ الدكتور / عبد الستار فتح الله سعيد  
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر وأم القرى سابقاً

راجع واعلن به  
د/ حلي الأدهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غير ما تفتح به الاعمال، وتستنجع به المقاصدُ

فاتحة الكتاب:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾

مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾

# إهداء

إلى الذين يستمعون القول

فيتبعون أحسنه..

أولئك الذين هداهم الله

وأولئك هم أولوا الألباب..

## تصدير الكتاب

هذا الكتاب (من روائع التفسير) للمرحوم فضيلة العلامة الدكتور/ محمد عبد الله دراز ضمن الكتب التي تسلمها المرحوم الشيخ/ أحمد مصطفى فضلية من بعض ورثة العلامة الشيخ/ دراز، والذي تذر حياته لتحقيق ونشر تراث فضيلة العلامة الشيخ/ محمد عبد الله دراز، غير أن المنية قد وافق الشيخ/ أحمد مصطفى فضلية قبل إعداد الكتاب للنشر، تاركاً إياه لدى فضيلة الدكتور/ محمد محمد أبو سيد -الأستاذ بجامعة الأزهر-، والذي عهد فضيلته لي بمراجعته وإعداده للنشر، وقد قمت بأخذ المخطوطة من فضيلته، وإعادة كتابتها مرة أخرى على الحاسوب ومراجعتها ومطابقتها على الأصل، وتم تصحيح بعض الأخطاء الكتابية، والتي لا يخلو منها عمل بشري.

لقد أوضح الشيخ (فضلية) أنه نقل التفسير الموضوعي لسورة البقرة لهذا الكتاب، كي يجمع التراث التفسيري للشيخ دراز في كتاب واحد. ولقد وضع عناوين جانبية للموضوعات لم تكن موجودة بكتاب النبا العظيم، وأيضاً ذكر الشيخ فضلية الآيات نصاً، والتي ذكرها العلامة الدكتور دراز كأرقام في كتابه، ولقد شرفت بمقابلة فضيلة الشيخ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد والذي أثنى غيراً على الكتاب ومؤلفه الدكتور دراز وأوصى بالاهتمام بالكتاب وطبعه.

إنني أسجد لله شكراً أن وفقنا لإخراج هذا الكثر من كنوز العلامة فضيلة الدكتور/ دراز إلى النور في وقت أحوج ما تكون الأمة فيه إلى نور يضيء طريقها؛ لتعبر هذه الفتن ﴿كَتَبْنَا أَنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ





إلى صراط العزيز الحميد ﴿٥﴾ (البراهيم: ١).

وإني أتوجه بالشكر لكل من ساهم في إخراج هذا السُفر النفيس، سائلاً المولى - سبحانه وتعالى - أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن ينفع به صاحبه وجامعه ومراجعته وفقاً لموصولاً في الحياة وبعد الممات.

وأخيراً فإن العمل لخدمة كتاب الله شرف لا يدانيه شرف، وإن تدبر كتاب الله هو المرجى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَفَرَأَوْهُ عَلَىٰ طَوَائِفٍ أَعْيُنَهَا﴾ (محمد: ٢٤).

أسأل الله - سبحانه - أن ينفع به الأمة، وأن يجعلها كما كانت خير أمة أخرجت للناس.

اللهم آمين، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د/ حمدي الأدهم

القاهرة

ذو القعدة ١٤٣٨ هـ

الموافق أغسطس ٢٠١٧ م

## نور من القرآن

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:  
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا  
كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ  
إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَنِ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴿٢﴾  
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

## نور من السنة

• عن أسر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن؛ هم أهل الله وخاصته» [رواه النسائي وابن ماجه والحاكم].

• وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة» [رواه ابن ماجه].

• وقال النبي ﷺ: «ألا وائي أوتيت الكتاب ومثله معه، يؤثبك رجل شبعان مُتَكَيٍّ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحِلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّمُوه» [رواه أبو داود].

\*\*\*



## من أقوالهم

- ١- «من لم يكن له علم وفهم وتدبر، لم يدرك من لغة القرآن شيئاً»  
[الزركشي، البرهان، ٢ / ١٧١].
- ٢- «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذ بقراءته»  
[ابن جرير الطبري، معجم الأديباء، ١٨ / ٦٣].
- ٣- «من تدبر القرآن طالباً للهدى منه؛ تبين له طريق الحق»  
[ابن تيمية، الحفيدة الواسطة].
- ٤- «الجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد، وأمتها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يوماً أو بعض يوم، بل إلى أن تذهب العصور وتحمل العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلاً، ولا الساكن يبقي عن منزله حولاً، وعلى الجملة يجبتك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان».

[د. محمد عبد الله فراز: النبا العظيم، ص ١٢١ - ط ٩].



## تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور

عبد الستار فتح الله سعيد

الحمد لله الذي نعمته تتم الصالحات، وسوره تُشرق العظمى، والصلاة والسلام على رسوله ورحمته للعالمين، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن حير الكلام كتاب الله -تعالى-، وحير العلوم ما كان تفسيراً له وخدمة لعلومه وبيان لمقاصده، ودعوة للإيمان به علماً وعملاً، يهدي للذي هي أقوم، ويستخرج الناس من العظمى إلى النور بإذن ربهم إلى صراط الله المستقيم الذي يحرر به الإنسان سعادة الدنيا والآخرة.

ولقد سَحَّلَ التَّريح الحديث والمعاصر صحائفه المصنبة لعلوم أعلام أخلصوا دينهم لله، وصدقوا العمل لأمتهم المسلمة، وتعاونوا في خدمة تراثها الحضري، والدَّود عن عميدتها، فأوقفوا أعمارهم في البحث والتقيب في بطون الكتب، خدمة القرآن والسنة تفسيراً وشرحاً، فسبروا الأغوار واستخرجوا علومًا نافعة خدموا بها دينهم القيم، وأسعموا بمكسبها رواد الحقيقة، فسرى صدق حالهم ومقامهم من السطور إلى الصدور.

وكنت أشعر بذلك في مضي كلما قرأت للدكتور عبد الله درار، كانت كلماته كأنها موحات روحية نورية تترج بقبي وعقلي، وتشدي إليها بحيود غير مرئية، وتشير في نفسي بصوات روحية تسمو بها إلى الملأ الأعلى، وتغلاها إيماناً بجلال الله

وكيانه وبمنا عظيمة شربته وديه، وإعجاز كتابه الكريم

ولقد كان محمد عبد الله درار من أعظم العلماء المعاصرين مدين أشعلوا بهدي  
«قرآن علي وعملاً، تفسيراً وبياناً، دعوة وبلاغاً»

فقد كان إماماً وعيلاً، عالماً مفكراً، وداعياً إلى الله على بصيرة وهداية، وقد  
«استخدم ما ررقه الله من مواهب العلم والعقل في خدمة القرآن الكريم، فكان ممن  
يترمون «بدلالات والمعاني لقرايه للآيات

وعلى قدر البات تكون لأثار البقيات الصالحات

ومنها هذه الأثار العظيمة التي تركها شيخنا الإمام الحليل، وكانت آثاراً متفرقة في  
الشرائط لإداعية، والمقالات المنشورة في مجلات شتى، وبعض الأثار المحظوظة التي  
«استخرجها لشح أحمد فصلية، وقام بجمعها بعد رحيل الشيخ بأكثر من نصف قرن،  
تنتفع بها لأجيال المعاصرة، ومن بعدها إلى يوم الدين، إن شاء الله

• في هذا الكتاب «من روائع التفسير» كما أسماه جامعه

بصم حقاً روائع في تفسير الدكتور محمد عبد الله درار بالإداعة.

وهو فيما أرى أعليه بندرج تحت التفسير الإجمالي الذي يبين فيه المفسر خلاصة  
معنى الآية أو الآيات التي يفسرها، ويُرر مقاصدها، ويشرح الدقيق من ألقاطها،  
ومسب نزولها حتى يتفرر المعنى العام بلا دخول في تفاصيل كثيرة

وهذا النوع قد سلكه المخذئون في مقدمة التلاوة بالإداعة مع رهط من إخوانه  
العلماء أمثال الشيخ محمود شتوت، ومحمد المدني، والسهوري باشا

والمقصود منه إعطاء فكرة إجمالية عما يملوه القارئ من القرآن الكريم، حتى  
يكون السامع كاشفاً لمرامي ما بُتلى عليه، واعياً لمقاصده، ملماً بأطرافه

وقد شاع بين أهل العلم، وخاصة دارسي علوم القرآن و لتفسير أن الدكتور

محمد عبد الله دراز من أوائل من قالوا بالتفسير الموضوعي لسورة القرآنية، وأرى أن الشرح كان من أهدر العلماء على تطبيق منهج «الوحدة الموضوعية» للسورة القرآنية

وقد اتفق لعلماء جميعاً على وجود «موضوعات في القرآن» يمكن مررها، ودراستها بأبعادها كإصلافاً، والعسم، والجهاد ونحو ذلك، وكل له آيات تتعلق به مباشرة، وتنفق جمهورهم على وجود ماسة بين الأبواب، وعلى هدف للسورة، لكن تحديد ذلك بعينه لا يزال صعب المآل، لذلك يكثر فيه خلاف العلماء، بل بعضهم يقصر ذلك على الآيات المتفرقة المعنى، ويكر ما عداها «كأنه من عبد السلام، والشوكاني».

وقد حاول كثير من العلماء وضع قواعد تُصطط هذا المعنى، ولا يزال ذلك بعيداً لم يتقرر في خطوط محددة، وكان من أبرز من حاول ذلك حديثاً الشيخ الفراهي باهد، والشيخ محمد عبد الله دراز في مصر في كتابه «السأ لعظيم»، وكتبه «مدخل إلى القرآن الكريم».

ولبيان مدى الصعوبة في هذا نجد الدكتور محمد القسم في كتابه «الإعجاز السبائي»، يذكر طريقة الشيخ البقاعي في تقرير وحدة «سورة القرآن»، ثم يذكر طريقة الدكتور دراز في هذا، وهي تخالفة لطريقة البقاعي، ثم يستقد طريقة الدكتور دراز مع أنها أصبحت وأوثق من طريقة البقاعي.

ورأيي - والله أعلم - أن هذا الصرب من الدراسات لا يدخل في التفسير الموضوعي؛ لأن موضوعه - وهو هدف السورة المتعددة الآيات - أمر انتهيبي اجتهدادي؛ تختلف فيه الأنظار، فكيف تُصنّف الآيات في السورة عن هدف مختلف على تحديده؟ وكيف يقوم التفسير على الاحتمال، مع أن الأصل في التفسير الموضوعي أن يقوم على أساس النصوص ذاتها، أو مبادئها المتحققة.



ولي أن تقوم هذا الصرب حطة علمية محكمة القواعد، واصحة لمعالم، وإسا  
بعده في باب لدراسات القرآنية العامة، وليس في التفسير الموضوعي

فخرى الله الشيخ أحمد فصلية حيزاً على هذا الجهد الطيب، والذي هو شهادة  
بحفظ الله تعالى لأثار أعلامه لمخلصين، وما كان لله دام ونقي؛ كم قال علماءنا  
من قديم

فسأل الله أن يسمع هذه النصححات المباركات، وأن يوفق طلابنا وحثب لكرام  
لاستحراح كنور العلماء الراحلين وشرها بين الناس؛ لتكون قوة بدعاه  
والمصلحين في ميادين الحياة والاجتماع، خاصة في هذا الزمان الذي تتكاث فيه  
قوى الشر على الحق الأبلج.

﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبَدِّلُ دِينَهُ ۚ وَلَا يُبَدِّلُهَا شَيْءٌ ۚ وَكَذَلِكَ هُدَى اللَّهُ الْبَشَرَ ۚ حَنِيفًا ۚ﴾

والله هو المأمول لصرد به ودعوته بأثار السائقين، وأعمال اللاحقين،

وهو الهادي والموفق إلى سواء السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمين

استاذ دكتور

عبد الستار فتح الله سعيد

القاهرة في غرة المحرم ١٤٣٣ هـ

(١) لمزيد من الاطلاع في هذا الموضوع يرجع كتابنا «مدخل إلى التفسير الموضوعي»، دار لتوزيع  
والنشر الإسلامية بالقاهرة

## مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . وبعدُ

فإن تفسير كتاب الله، ومحاولة شرح آياته اليبينات، وفتح دواجر معاني الدرر  
الكاملة في الفاظه، فهي من أشرف المهام التي فرغ لها جهابذة العلماء أنفسهم، بعد  
أن استجمعوا الأدوات اللازمة للقيام بهذا العمل المجيد؛ خدمةً لكتاب الله -  
تعالى-

فوجدوا العديد من المفسرين الذين أوقفوا أعمارهم على تدبر كتاب الله  
وتفسيره، فتجمل عن ذلك ثروة من المؤلفات في علم التفسير، بعضها كان عامًا،  
وبعضها يحاكي صاحبه إلى طبع معين، مثل أن يقتصر على التفسير اللغوي أو  
البلاغي أو العقلي<sup>(١)</sup>.

ولما كانت المكتبة الإسلامية راحة نكم صحيم من كتب التفسير، فقد أثر بعض  
العلماء أن يخرجوا للأمة تفسيرًا جديدًا يخدمون به قضايا الحياة المعاصرة؛ لتكون  
الحياة من القرآن.

هذا التفسير هو التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، والتفسير الموضوعي  
للقرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

وكان من أفند العلماء على تقديم هذا اللون من التفسير في بداياته لأولى هو

(١) د أبو بكر سعد عبد لراضي القشيري، المعبد والأخلاق في فكر محمد عبد الله دراز، أطروحة  
دكتوراه، مؤسسة بكلية الشافعية، جامعة عين شمس.

(٢) مريد من لاطلاع عن هذا العلم أ بكر طالع د عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير  
الموضوعي، طبع دار التوزيع والشر الإسلامي.



الإمام العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز، وقد كان حافظاً دقيقاً لكتاب الله، رحمه الله وطيب ثراه.

والإمام محمد عبد الله دراز فيما أراد من تفسير لكتاب الله، لم يسهج السط التعلدي من شرح للمعردات وذكر لأسباب الروول، بل سلك طريقاً ما أضه فيه كن مسوقاً، هو أقرب إلى بين مقاصد كل سورة، وربطها بما فيها وما بعدها من سورة، وذكر الأهداف التي بصمتها كل سورة، والحكمة التي تكررت فيها لتحصل من كل سورة وحدة متكاملة وصرّة متجاسة تجلي في كل آية من آياتها.

وقد تأشّى به بعض العلماء المعاصرين، كان من أبرزهم الشيخ محمد العراقي في تفسيره «بحر تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم»<sup>(١)</sup>

يقول الشيخ محمد العراقي: «لقد عُييت عاية شديدة بوحدة الموضوع في السورة، وإن كثرت فصاياه، وتأشيت في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة، وهي أطول سورة في القرآن الكريم - فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ كتابه «البأ العظيم»، وهو أول تفسير موضوعي لسورة كاملة فيها اعتقه»<sup>(٢)</sup>.

ويقول في كتاب آخر: «ولولا أن الرجل حافظ قاقه لكتاب الله، وضليع مكين في آداب العربية، وعانة نحت تكشفت أمام بصيرته ليرة لجكم السالعات التي عابت عن غيره ما استطاع أن يصور لنا هذه المعاني ويجعلها منا رأي العين . وودت لو أن الرجل بقي حتى أكمل ما بدأ، بيد أن المية عاجلته، فقصى وهو محاهد في سبيل ربه - طيب الله ثراه»<sup>(٣)</sup>

(١) طبع دار الشروق بمصر.

(٢) مقدمة لشرح بحري لكتبه «بحر تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم» دار الشروق، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)

(٣) نظر «طرايب في القرآن» من ص ١٣٤ - ١٣٦، دار الكتب الإسلامية، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م

ومن كلام شحنا محمد العراقي معلّم أن الدكتور محمد عبد الله دراز لم يترك تفسيراً كاملاً لكتاب الله - القرآن الكريم ، ولكن قدّم للأمة عبر الإذاعة اللاسلكية في مصر ، ونظارات كليات دار العلوم ، والدعاة العربيه ، والوليس تفسيراً موضوعياً لسور من القرآن العظيم.

ولأهمية ما قدّمه الدكتور دراز من تفسير يبرز موضوعات القرآن لبعض سور القرآن في مقدمة الملاوة كان حرص مجلة الإذاعة أن تقدم هذه الصفحات القرآنية على صفحاتها عقب إذاعتها ، وقدمت بشر سورة الفاتحة وسورة البقرة بقوها « في مقدمة الجهود الدينية والفكرية الدائمة التي تقدمها إذاعة القرآن الكريم: سلسلة الأحاديث الذهبية المحشّرة التي تهدف إلى تقديم تفسير موضوعي للقرآن الكريم تحت عنوان «الحياة مع القرآن».

وقد قدمت «مجلة الإذاعة» حلقات هذا التفسير الموضوعي العصري للقرآن الكريم واستهلكتها سمودح من أرفع نهجح التفسير العصري ، وأكثرها عمقاً ودقة وأصالة ، حاول من خلاله العالم لخليج محمد عبد الله دراز أن يقدم نفاحة كتاب وسورة البقرة من خلال الحلقات الست التي تنض بعكره الحي ، وبظرنه الكلية الشاملة.

ولأسف الشديد لم يشر عن ترانه في التفسير كاملاً؛ ودبت لصعوبة العثور على ما بقي منه من إذاعة القرآن الكريم والإذاعة المصرية ، والأمل في الله كبير أن يسمحوا لنا نسخ شرائط وتبريعها لشركه؛ ليعم بها النعم ، إن شاء الله

والذي عثرا عليه هو ما وجدناه مخطوطاً في مكتبة الشيخ ضمن أوراقه الخاصة ، وما أفرغناه من شرائط بحوزة نجله المحترم السفير فحجي محمد عبد الله دراز ، جزاه الله خيرًا.

**ومن التراث التفسير الذي لم نعثر عليه بعد**

١ - محاضراته في تفسير سورة النساء لطلاب كلية دار العلوم ، وأشار إلى هذه

المحاضرات بلحمده الدكتور عبد الله محمود شحاتة - رحمه الله - في كتابه «المرأة في الإسلام»، وذكر أنه سجل في كراسي مخطوط ما أملاه الدكتور درار من تفسير لسورة النساء في محاضراته لطلبة دار العلوم

٢- تفسير الشيخ لسورة آل عمران، والأنعام، والشعراء، وهود، ويونس، والور، والعرفان، فقد أشار الشيخ - رحمه الله - في أوراقه الخاصة أنه قام بتفسيره لطلاب كلية اللغة العربية، ودار العلوم، والبوليس، وأدع طرقاً منها في مقدمة التلاوة.

وهذا ما جعلني أتريث طويلاً في نشر ما ضمه هذا الكتاب من تراث الشيخ في التفسير ريثما ينسري لي جمع ما بقي، أو ما أستطيع جمعه، نكتي قلت في نفسي إن بشر الموجود وجمع المتفرق منه في كتاب واحد أكثر صواباً، مع العزم على متابعة لمفرد من تراثه حتى يكتمل انكسر العظيم، وهذا أعون لباحثين - إن شاء الله تعالى -، وأيسر للمفرد الطالبين لهذا النوع من التفسير، مرجعت إلى ما عدي من مخطوط ومخطوط وشرائط مسجلة، ومقالات منشورة، ففمت نثرنيها على هذا النحو

☞ مدخل تمهدي عن المؤلف وآثاره في التفسير.

☞ نظرات في فاتحة الكتاب.

☞ التفسير الموضوعي لسورة الفرة.

☞ مقدمة التلاوة للماتمة وسورة الفرة.

☞ تفسير آيات مختارة.

☞ نور من سورة المائدة

☞ أنوار من سورة الأنعام، والحجر، والحل، ويس، وعامر، والقمر، والواقعة.

☞ تفسير سورة الملئ.



﴿ تفسير سورة العلم.﴾

﴿ تفسير سورة الباء.﴾

﴿ تفسير سورة النكوير.﴾

﴿ ومن وصف القرآن «وثيا بك مطهر»، الذي وحدناه مخطوطاً في أوراق الشيخ

هذا، وأنتم بطر القراءة أبا وصف التفسير الموضوعي لسورة البقرة في هذا الكتاب، على لرعم أب المؤلف كتبها كمودح للوحدة لموضوعية للسورة لقراءة في كتابه «البا العظيم» ليكون تراثه التفسيرية مُجمَع في كتاب لدا وجب التنويه وأمل أن يكون إصدار هذا الكتاب على هذا النحو مُلَيّاً لحاجة الباحثين والقراء؛ فنشر تراث العلامة الدكتور محمد عبد الله درر على أوسع نطاق مطلب الأمة المؤمنة بقيمة تراثه الحليل وقال الله أن يتقبل عمداً ويجمعه في ميران حسنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه المقبر إلى مقواه

أبو عبد الرحمن

أحمد مصطفى فضلية

من علماء الأزهر الشريف

تحريراً في مكة المكرمة ١٤٢٢ هـ

١٢ من ديسمبر ٢٠١٠ م



## ترجمة الدكتور محمد عبد الله دراز

[١٣١٢ هـ ١٨٩٤ م] - [١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م]

### ١- نسبه:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حسين بن مصطفى بن مصطفى بن أحمد بن محمد بن دراز بن سليمان . بن أخس بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، الأديب الباحث المحدث الفقيه المالكي المذهب.

### ٢- مولده:

وُِدَّ في الثامن من شهر نوفمبر عام أربعة وتسعين ونهائة وألف ٨ / ١١م ١٨٩٤م بقرية «محلة دباي» من أعمال مركز دسوق - محافظة كفر الشيخ، وقد «شهرت» القرية بالعلم، وأنها الطلاب للثروة من علوم اللغة ولشريعة؛ حيث كانت الدروس التي يُلقِّبها جده الشيخ «محمد»، والشيخ أحمد، ووالدهم الشيخ حسين، في المسجد العُفري، وكان والده الشيخ عبد الله دراز أكثر انهماكاً بدروس جده، وأطول ملازمة له، و«بدَّ» أثر ذلك واضحاً في تربيته لأولاده، وهكذا كان البيت بيت علم توارثوه كثيراً عن كبار، وفي رحاب هذا البيت وُلد الشيخ محمد عبد الله دراز - رحمه الله -.

### ٣- نشأته:

نشأ مصيلاً في بيت عامر بالتقوى والصالح، والعلم والعرفان، والسخاء والعطاء، محمّلاً برعاية والده الفاضل الشيخ عبد الله دراز؛ شيخ علماء دمياط،

(١) هكذا جاء منه في نسخة مخطوطة كتبها وهو طالب بالقسم التاسع من التعميم الأزهرى سنة ١٩١١م.

فاقتس لفسى الشئ من فصائل والده المروءة وإنشاهة، وحب العلم والصلاح، وتمنحت عينه على زملاء أبيه يَعْشُونَ سرته كل ليلة لدراسة كتب العلم والحديث في مسائل الإصلاح الديني.

وكان الوالد العالم المحقق يأخذ أساءه بأداب التعمي، ويؤمُّ أهله في صلاتي انشاء والفجر، ويقرأ صحيح البخاري في ليالي رمضان، ويسهر على تثقيف أولاده وتعويدهم سن الخير صلاة وصياماً وركاة، وحثاً للمعروف، ونُحْداً عن الدنائب، ومثل هذه السبوت العلمية تُثَلِّ سَطاً يكاد يتوارى في رمان تحت ركام الحياة ومشكلاتها، عن الرعم من أنها أقوى انوسئل وأنفعها في تكوير الفكر وساء العقول والقلوب أمام قصور المباح العنمية ولأدبية، وحنوها بما يقيم أود الفكر، أو يعين على مواجهة تحديات الزمن والحروب القائمة على دين الله؛ كتاباً وسنة ولعة، فمن من لعناء يجلس مع أبائه يعلمهم كتاب الله وسنة رسوله وتراث أمته؟ ومن مهم يموت فيرث أباه العلم قل أن يرثوا الديار والدرهم<sup>١٩</sup>

#### ٤- تعليمه:

كان من الطبيعي أن يكون لهذه الشاة أثرها في توجيه الشيخ وجهة لتعليم الديني، فأنم حفظ لقرآن وهو دون العشر سنين، ثم انتقل إلى الإسكندرية في أوائل ١٩٠٥م حيث التحق بمعهدا لاشئ (في معية المرحوم والده ابي كان وقع عليه اختياره من قبل أستاذة الإمام محمد عبده لتأسيس الدراسة الأزهرية العظمية في الثغر لسكندري). فكان الشيخ محمد من أوائل الطلبة المتسبين إلى هذا المعهد، ودل منه لشهادة الابتدائية بعد أربع سنوات ١٩٠٨م.

وحيث عُيِّن والده وكيلاً لمشيخة معهد طططا؛ لرغبة أولي الأمر في إعادة تلك التجربة الساحة، ونقل صورة من النظام الذي حُرِّب في معهد الإسكندرية إلى الجامع الأحدي انتقل الشيخ في صحة والده إلى الجامع الأحدي، ونال منه

الشهادة الثانوية عام ١٩١٢ م، وكان أول الناجحين

و حين عاد والده وكيلاً لمشبعة معهد الإسكندرية عاد معه إلى المعهد الذي بدأ فيه ففصى القسم العالي، وحصل في نهايته على شهادة العالمية في الأزهر، وكان أول المتخرجين من الطلاب حيناً في ١٩١٦ م، وعين في المعهد ذاته بعد تخرجه، ثم توجه لتعلم اللغة الفرنسية في المدارس الليلية حتى نال شهادة القسم العالي فيها بعد ثلاث سنوات ١٩١٩ م، وكان ترتيبه الأول فيها أيضاً، ولقد أعاد من معرفته باللغة الفرنسية في الدفاع عن القضية الوطنية أمام السفارات الأجنبية ١٩١٩ م، وفي الدفاع عن الحقائق الإسلامية بالرد على جريدة (الطائر) الفرنسية وغيرها على صفحات جريدة وادي النيل.

هذا ولم يكن تعلمه للغة الفرنسية من باب الترف، أو شغل الوقت، بل كان يُعيد نفسه لبوم الذي نطأ فيه قدمه أرض العرب لنشر الإسلام وإعلاء دعوته

يقول صهره الدكتور السيد محمد بدوي: «لست عن كثب الجهود والخطط التي رسمها الشيخ مد أمد بعيد لنشر رسالة الإسلام في العالم العربي، فعرفت أنه أنقن الفرنسية إنسان عليه للعلم في الأزهر الشريف استعداداً لهذا اليوم الذي يقوم فيه بواجبه العلمي والديني»

#### ٥- رحلته العلمية إلى فرنسا:

في عام ١٩٣٦ م احتير محمد عبد الله درار لبعثة أزهريه إلى فرنسا، وتم اختياره رئيساً للبعثة لما كان يتمتع به من رجاحة عقل ودمائة حُلُق، وقد وجه الإمام الأكبر محمد مصطفى المراعي (١٨٨١ م - ١٩٤٥ م) خطاباً لأبناء البعثة يذكرهم برسالتهم تجاه الإسلام ودعوته، ويبين لهم أنهم داهون في فتح إسلامي، وكان مما قاله - رحمه الله -، «إذا كان رجال السياسة لا يُنَجِّمُون عن فتح البلدان وسعك الدماء بدعوى تمدين هذه البلدان، فكيف يتوانى رجال الدين عن فتح سلمي لا يُسفك فيه دم،



ولا يُطعن فيه برمح وما هي إلا موعظة حسنة، وبصحة لله ورسوله، وإرشادًا إلى  
المصائب والخير

أرسلكم لأرهر وهو ينتظر قلبه بخص، وأنا واثق من أنكم ستكونون مهديكم  
بقولكم وأعمالكم وسمتكم أحسن الأمثلة لخريجي الأرهر الشريف، وستكونون  
بجدكم في تحصيل العلم، وبفهم الأساليب، ومعرفة طرق البحث ودراسة  
العقليات العربية من المجاهدين والصابرين<sup>(١)</sup>

وقد حمل الشيخ الأمانة ووفى بها أعظم وفاء، وما إن وطئت قدمه أرض فرن  
حتى بدأ في تحقيق هدفه، ولم يلجأ إلى التخصيص لدرجة الدكتوراه بدايةً -على الرغم  
من تقدمه العربي-، بل سلك الطريق من بدايته، فالتحق بالسوربون للتحضير  
لدرجة الـديپلوم، ودرس الفلسفة والمنطق والأخلاق، وعلم النفس، وعم  
الاجتماع، وبدا أثر ذلك في تكوينه العلمي والفلسفي، مما مكّنه من الاطلاع على  
الفلسفة العربية وتوجيه الخطاب إلى العقلية العربية<sup>(٢)</sup>

ويذكر الإمام محمد أبو هريرة رحمه الله<sup>(٣)</sup> في ثبات دراز على العقيدة ولبدأ أن  
الشيخ في رحلته إلى فرنسا أوفى حقًا عظيمًا من علم أوروبا، فكان لعالم بها عبد  
الأرويين، وما طمى في قلبه علم هذه الدنيا على علم الإسلام، ولا تلك الحصار  
إبرافة على حقيقة الإيمان، وما سهرته زحارف هذه المدينة عن اشروة الروحانية التي  
اشتملت عليها الحقائق الإسلامية، ولا عن تلك الدخيرة الإنسانية التي اشتملت عليها  
أحكام القرآن المقررة لثابتة النافيه الخالدة، إلى يوم القيامة

ولقد فارقا الدكتور محمد عبد الله دراز إلى أوروبا كما فارق غيره، وأقام في فرنسا  
ما شاء الله له أن يقم، وكانت إقامته أكثر من إقامة غيره أمدًا، وكانت أوفر إنتاجًا، فقد

(١) انظر كتابها «رسائل لما ناريج» تحت الطبع

(٢) د السيد محمد بدوي - مقدمه برساله «دستور الأخلاق في القرآن» مؤسسة الرسالة

(٣) عن مقالة بمجله لواء الإسلام فبراير سنة ١٩٥٨ م.

أقام بيها نحو اثنتي عشرة سنة بالعيش فيها أعلى الدرجات العلمية هائل

ونقد عدد بعد هذه الرحلة لطويلة الشاقة المجهدة، وتوقعنا أن نجد تعبيراً في مظهره أو ملبسه أو عادته، أو تدينه، كما رأينا في بعض من أقاموا إقامته، ولكنا وجدناه كما تركنا خلقاً وديناً وإيماناً، فأثبت بذلك سلامة جوهره؛ لأن جيد المعادن تجبوه، التجارب وبصقله الحوادث من غير أن يفنى ويس. ولقد أردد استمساك بدينه، وتشدداً فيه فراديه ومورّ وجلاً.

#### ٦- شيوخه:

طلب الدكتور محمد عبد الله دراز العلم على عدد وافر من أساطين العلم في الأزهر الشريف، فهل من علمهم، وارتوى من معين حكمتهم وأدبهم، حتى أصبح له مكانة سامقة بين أساتذته وعلماء عصره.

وشيوخ الدكتور دراز من علماء وأعلام مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي، فتأثر بالإمام محمد عبده أستاذ والده العلامة المحقق الشيخ عبد الله دراز، وهو شيعه الأول الذي أخذ العلم عنه وتأدب بأدبه، وتأثر بالعلامة رشيد رضا، ومحمد مصطفى المراغي، وعبد المجيد سليم.

ومن أشهر العلماء الذين تتلمذ على أيديهم تلمذة مباشرة والده الشيخ عبد الله دراز (١٢٩٠هـ - ١٣٥١هـ)، والإمام محمد الخضر حسين (١٨٧٧م - ١٩٥٨م)، والشيخ إبراهيم الحياي، والشيخ علي سرور الزنكلوي، والشيخ محمود دقفة، والشيخ علي إدريس، والشيخ محمد شاكر، والشيخ محمد الدياري، والشيخ عبد المجيد اللباب. رحمهم الله جميعاً، ورصي عنهم.

وهؤلاء العلماء الكبار درس دراز على أيديهم، وتعلم في حقائقهم، ونهل من علمهم وفصلهم، وتأثر بصفاتهم وأخلاقهم وسلوكهم؛ لأنهم كانوا يجمعون بين العلم والعمل، وصدرت منهم المواهب الشجاعة والرجولة الكاملة في الحياة.



العلمية والعملية فاستمعوا باخراة في الحق، الصلاة في الدس، و لوقوف عند حدود الله، لا تخافون في الله لومه لائم فكان محمد عبد الله درار ثمرة صالحة لمربين صالحين، وفكرة صالحة لمصلحين مجددين.

#### ٧- وظائفه والأعمال التي اشتغل بها:

غنى مدرستا بمعهد الإسكندرية واستمر بها حتى ١٩٢٨م

انتقل إلى القاهرة في ١٩٢٨م؛ حيث اختاره المرحوم الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراعي شيخ الأزهر للتدريس في القسم العلمي بالأزهر، ثم في قسم التحصيل عام ١٩٣٩م، ثم في الكليات الأزهرية السنة ١٩٣٠م، مع أساتذته اكبار محمد الحضر الحسين، وعلي محمود، وإبراهيم الجبلي، ولم يكن محمد عبد الله درار بأقل منهم كفاءة وافتدازًا على حداثة السن، بل كان أقرب منهم إلى قلوب الطلاب لحسن تواصله، وقرب اتصاله بشباب لا يريد عنهم في الزمن أمداً دائماً<sup>(١)</sup>.

- وبعد عودته من باريس إلى مصر عام ١٩٤٨م؛ بُدِئَ لتدريس تاريخ الأديان بكلية الآداب في جامعة القاهرة.

ثم لتدريس لتفسير بكلية دار العلوم وتدريس فلسفة الأخلاق في كلية اللغة العربية ومحاضرات في كلية البوليس.

وخلال مُكث قصيلته في مصر أشبذ إليه العمل في كثير من اللجان، بالإضافة إلى قيامه بالتدريس بالجامعات، ومن ذلك:

١ العمل في اللجنة السياسية للتعلم بوزارة التربية والتعليم

٢ العمل في المجلس الأعلى للإداعة بقرار مجلس الوزراء الصادر في ١٤ / ١٢

(١) د محمد رحب السوي، لهذه الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، الجزء الخامس، طبعه مجمع البحوث الإسلامية

١٩٥٥م: لعظيم خبرته وصدقه في الخدمة العامة، وحسن تعاونه مع  
دعاة الإصلاح

٣- العمل في اللجنة الاستشارية للثقافة بالأزهر المعمور

٤- عضوية اللجنة الاستشارية بالأزهر.

٥- مراقبة الامتحانات العامة في الأزهر.

بإحسان احتساره في المؤتمرات الدولية والعلمية ممثلاً لمصر والأزهر الشريف  
منها:

أ- مؤتمر الأديب العالمي في باريس في سنة ١٩٣٩م

ب- المؤتمر الدولي للجامعات في مدينة بس بقرب بين ٢ و ١٠ ديسمبر  
١٩٥٠م، وقدم فصيلته للمؤتمر بحث (الأزهر الجامعة القديمة الحديثة)،  
باللغة الفرنسية والذي ترجمه فصيلته للعربية بعد ذلك.

ج- مؤتمر القانون الإسلامي المنعقد بباريس، في شهر يوليو سنة ١٩٥١م  
وقدم فيه فصيلته بحته القيم (الربا في نظر القانون الإسلامي) باللغة  
العربية، ثم ترجمه للغة العربية بعد ذلك.

د- مؤتمر الثقافة الإسلامية الذي انعقد في لاهور بباكستان في ٦ يناير ١٩٥٨م،  
وقدم فيه بحته الممنع (موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها)،  
وشاء الله أن يلقى فيه غير حيث وافته المبة أثناء المؤتمر.

٨- صفاته وأخلاقه:

من أبرز صفاته الشخصية: العفة والذكاء، والحلم والأناة، لتواضع والوداعة  
والود، والحرارة والصلابة بالحق والإقدام، ومواقفه شهيرة في نشر رسالة الإسلام،  
والعمل على تسليحها في عالم العرب.

وعرف فصلته بذاقته في الحديث، ولحن العربيته في المعاني، وحذبه على مرفقه، فهو الصديق لولي عهد الحوائث، ولشهم الشجاع في أسبات، والمخلص المجدد الشدائد، وهذا كان حسناً إلى كل من عرفه ورآه.

نصحه صديقه الخميم الشيخ حسين محمد مخلوف<sup>(١)</sup> بقوله

«أحي، الذي صلت تمتعت بأخوته، فكان مثلاً للأخوة الصادقة أبي هي جدير بكل عتر، والعالم هذا الذي كان يجمع مع العلم الموثوق به اسحبيا الخميعة، والأخلاق العاصية، ولرحوله الكامة، والشجاعة الأدبية ابدرة

ولإنسان المثالي، الذي كان رقق العاطفة بين الإحساس بطيف الشعور، وكان مثلاً للهدوء في بناء، وللمسكنة في بواضع، وللحياة في أدب حتم والمسلم الناعمل، الذي كان يعمل للإسلام في صمت، ويذل في سبيله الكثير من وقته وصحته وراحته، غير صان ولا متحلف، وحسه أنه مات عربياً في سبيل الإسلام، فل الشهادة التي كان جدير بها وأهلاً لها»<sup>(٢)</sup>

ويصفه تلميذ آخر من تلاميذه الشاعر محمد عبد المقصود الخمراوي في قصيدة القاها بين يدي أسناده عام ١٩٣٤م في كلية أصول الدين<sup>(٣)</sup> قال فيها

أولاك بالأدب الصني كانه مصر العيم حياً مقبولاً  
أشرقت في أفق المكارم كوكباً يهدي إلى الخلق الكريم سبيلاً  
ودرجت في مهد السباحة والندى وطلعت قدأ في علاك نبيلاً

(١) كان شيخ حسين مخلوف - رحمه الله - تلميذاً للشيخ عبد الله دراز والد الدكتور دراز، وكان من أصدقاء الشيخ محمد عبد الله دراز المقربين.

(٢) انظر مقدمة الشيخ حسين مخلوف لكتاب الدكتور دراز «الصوم نرييه وجهاد»، طبعة دار الفلم بالقاهرة، تحقيق الشيخ أحمد مصطفى فضلة.

(٣) نظر كتاب محمد عبد الله دراز «مكر»، للشيخ أحمد مصطفى فضلة، تقديم الدكتور أحمد العسال، طبع مكتبة الإيوان بالمعجورة، القاهرة.



يا فتية الدين الخفيف وحده ما كان حظكم الوفير قليلاً  
الله أكرمكم بأمثل فاضل جم الشهبان لا يصيب مثيلاً

• ويخاطبه الدكتور أحمد الشرباصي بقوله

«أفحرت بك حباً فقد كان لك أخلاق، وهي أكرم الأمور للعبء ورثة الأبياء  
ومصباح الهدى وقاده لأنام، كان فيك شمع وإباء وكرامة، قد يكون أمانك  
شرب وبكك تعف عنه ليس فيه أوربة»<sup>(١)</sup>

• ويصفه المفكر الإسلامي الكبير محمد عبد الله السن - رحمه الله - بقوله:

«كان عدلاً واسع الأفق، وشجاعاً وافر الشجاعة، كان يمتاز بوفاء العهود،  
وجرأة الأنفال، كان الحق في نظره هو الحق، لا ترلرله قوى السعي، ولا جروت  
السلطان، ولا سطوة الباطل، ويصفه كذلك بأنه من العلماء الأعداد القلائل، الذين  
توافر لهم سعة في العلم وقوة في الإيمان، وعزه في النفس، والذين قدر لهم أن  
يعرفوه عن كثب، يدركون أنه نموذج رفيع لعالم الدين قد لا يتكرر إلا كل حين»

• وقد تأثر بصغاته وأخلاقه تلاميذه في الأهر الشريف، فعددوا مساقه  
ومآثره وامتدحوا صفاته التي كانت مجالاً صالحاً للاقتداء بها هو تلميذه عبد  
الرحمن سحا الأبياري يصفه في قصيدة التحية الإخلاص: والتي أشدها بين يدي  
أستاذة الشاب في ١٧ مايو ١٩٣٤م قال فيها<sup>(٢)</sup>:

يقولون لي ما زلت صبياً شاباً إذا سمعوني بالسقريض مفسداً  
وما ب من حب الفواني وإنما أحب كريم العصريين محمداً

(١) راجع إلى كتاب «محمد عبد الله دراز دراسات وبحوث» للشيخ أحمد مصطفى فضلية، دار  
القدم

(٢) أحمد مصطفى فضلية، محمد عبد الله دراز سيرة ومفكر، الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان  
بالمعجزة، وكالة أصول الدين بالقاهرة



فنى زانه علم وحلم وعظمة      وحلى برب الطهر والبل والسدى  
أبى همام نابه الشأن حارم      ويسر بأناق الحيمة قد بدا  
نم فرعه من دوحة المعبة      بروض انعمالي أصلها قد توطدا

#### ٩- من مواقفه المهمة:

من أظهر ما يتوقع في شخصية الدكتور درار أنه عالم رجل يربى رجولته شجاعة الرأي إلى درجة لم تكن معهودة في عهود الظلم ولطغيان والاستبداد السياسي، فكان عالماً رجلاً جريء العزاد، حر الصمير، يجاهر برأيه ويثبت عليه، ولا يخشى بأس منسلط ولا يهاب صولة كبير، فلا يخشى في الله لومة لائم. ونحن لا نرى في مثل هذه الشجاعة في إبداء الرأي والمواقف التي يتصرح بها للحق تحدياً أو صدى، كلا ولكنها صراحة نفس أبية واستقامة ضمير حي، واعتزاز بكرامة العلماء.<sup>(١)</sup>

ونحن نسجل هنا بعض مواقفه الباسلة التي خلدها التاريخ.

١- قيامه في مقدمة الخنة المختارة من المثقفين للاتصال بالسفارات والقنصليات الأجنبية في ثورة (١٩١٨-١٩١٩ م)، وحظابه الحماسي باللغة الفرنسية أمام قنصل فرنسا بالإسكندرية للتشديد بالاحتلال الإنجليزي، والمطالبة برحيله عن مصر.

٢- في فرنسا؛ موقفه في الدفاع عن رملاته المصريين الذين اعتقلهم الألمان، فلم يمنعه ذلك من الاحتجاج ومقابلة الرؤساء العسكريين بنفسه مراراً حتى أفرج عن المعتقلين جميعاً.

٣- ماصرته للشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، ومساندته الأدبية

(١) انظر في هذا الكتاب رسائلها تاريخية: عبد الإعداد لطبع، إعداد الشيخ أحمد مصطفى قصبة، وكنتها محمد عبد الله درار - سره وفكره، طبع مكة المكرمة بالجريدة.

و لمعوية لجمعية علماء الجزائر ورعايته للمدارس والوادي الخيرية في باريس للمعاهد على إسلامية وعروبة الشعب الجزائري وقد وجهه به الشكر واستقدير الإمام المعاهد عبد الحميد من ناديس<sup>٤</sup>

٤ تقدمه إلى رئيس الديوان الملكي في ١٩ يونيو ١٩٥٢م شارحاً له سوء حاله انعامه ونحوه المدونه حبه التي كانت للملك مديناً إلى قدوة غير صاحبة، ورجا تصحيح هذه الأوضاع.

٥ ومن المواقف التي سجلها له التاريخ بإحلال وإكدار ولا يعرفها إلا القريبون منه ذلك الموقف الشجاع الرافض لمظلم وخجوت وانطعيا اندي رفض فيه التوقيع على بيان أراده الرئيس جمال عبد الناصر يدين فيه الإخوان المسلمين، ويصفهم فيه بأنهم خورج، وتُستحل دمائهم، وهما عصب الرجل وغصته لله ودين الله وأنصار الله، وقال لمن حمل إليه اليان كما حدثني بحله السفير فتحي دراز (أتريد مني أن أوقع على إدانة أهل الإسلام؟)، وطرد حامل اليان من منزله كان هذا الموقف عجب حدث المنشية الشهر ١٩٥٤م<sup>(١)</sup>.

٦- رفض عرض ضباط ٢٣ يوليو بواسطة مندوبين مهم

منصب مشيخة الأزهر، وحسوا أن الرجل سيمارح بالقول وشمسة، ولكنهم موثقوا به يشترط شروطاً لقبول المنصب، ومنها

١- أن تطلق يده في إصلاح الأزهر.

(١) راجع محمد عبد الله دراز، سيرة وفكر، مكتبة الإبياد.

(٢) معانيه شخصيه مع رجل السبح السبح محي محمد عبد الله دراز تمت طبعه بجزيرة

و انظر مقدمه دكتور يوسف القرضاوي لكتاب دراز اسمه بلدين و حياة، جمع و إعداد

الشيخ أحمد مصطفى قسبي - نشر دار العلم بالمعاصرة

٢ أن تعبد الحكومة للأرهر أو قافه التي سُلِبَ منه

٣ أن يكون شبح الأرهر بالانتخاب اختر من هيئة كبار العلماء

٤ أن ترفع الدولة يدها عن الأرهر.

محرحو من عنده ولم يعودوا إليه<sup>١</sup> إنهم لا يريدون من يشترط عندهم شرطاً، بل من يفعل بلا قيد ولا شرط، ويقدم إليهم الحمد والشكر.

ولم يكن هذا شأن الشبح الذي يرى في المنصب تكليفاً لا شريفاً، وفرصة للإصلاح والبناء، لا للتظهور والأضواء<sup>٢</sup>.

٧- وفي مجال الضيال الفكري ونصائر الأفكار كان له مواقف مشهودة في محاربة الإلحاد، وبرسيع عقائد الإبيان، وإخماد طعن هوية المجتمع الإسلامي، وإصلاح التعليم والأرهر، والمحافظة على تحصيل القرآن، وحركة التجديد الإسلامي وترشيده لها، ودعاة التشكيك والبهللة وردوده المصححة، وإلزامهم جحورهم على نحو ما مضى في كتابنا الجامع عن سيرته.

٨- وفي المجال الوطني فتحدث ولا حرج داخل مصر وخارجها، فمواقفه داعمة لحق شعوب الإسلام في التحرير والتحرر والحرية، فتدّ بقطائع الطليان في ليبيا، وشارك في ثورة ١٩١٩م، ووقوفه إلى جانب الحاليات الإسلامية في باريس، وفي مصر كان له موقف متوازن مع حركة يوليو

(١) راجع صدي وقته محله رسالة أساكسان العدد ١٩١ لسنة التاسعة، ومجله لصدقه العدد ٢٨٥ لسنة السادسة، ولصحافته المصرية "الأهرام" ١/٨، ١٩٥٨م، ١٠/١، ١٩٥٨، ١٣/١، ١٩٥٨م، وجريده "شعب" ١٠/١، ١٩٥٨، و"جمهورية" ١/٨، ١٩٥٨، و"النساء" ١/٨، ١٩٥٨م، وجريده "النساء" ١/٨، ١٩٥٨م، وجريده "الأخبار" ١٠/١، ١٩٥٨م، ومجلات الإذاعة، والنموى، ونور الإسلام، والإسلام، والأرهر، ومصر الإسلام، وهندي لسوي، وغيرها من المجلات الرائعة لوقتها

١٩٥٢م بمحاولة ترشيدها وإلزامها الهج الإسلامي، ورفض بقالة  
الرئس محمد نجيب ونجديد إقامته، وطالب بالعدل والإنصاف في المعامل  
مع حصوم الثورة، ووقف ضد ظلم الإخوان المسلمين، ورفض العدوان  
الاشتياى على مصر ١٩٥٦م. عاش وطياً إسلامياً

يقول كلمة الحق، ولا يخشى في الله لومة لائم بما به إفاصة في تناول لغيره  
وفاته<sup>(١)</sup>.

استمر الدكتور محمد عبد الله دراز في شاطاته الإسلامية المختلفة عاملاً،  
وإهتماماته في معالجة شؤون الدعوة الإسلامية مصرفاً حتى وافته الأجل المحوم  
ملياً دعوة ربه ليأس بجواره ورضوانه عشية يوم الاثنين السادس عشر من شهر  
جمادى لثانية سنة ١٣٧٧م عندما كان في لاهور في باكستان ممثلاً لمصر في مؤتمر  
لثقافة الإسلامية، فتاقلت وكالات الأنباء بأوفاته، وأداعت محطات الإذاعة بغيته  
في جميع أنحاء العالم، فكاه الأهر أحز مكاه، وافقد العالم الإسلامي عالماً كبيراً،  
وحسره العلم والأدب مؤلفاً وكاتفاً فذاً علمياً، وحسرتة الإذاعة مُحدثاً لبقاً بليغاً  
وإنساناً حكيماً نبيلاً.

وكانت وفاته حدثاً مؤلماً عكّر صفو جلسات المؤتمر الإسلامي بلاهور، وأداع  
الحزن والألم في نفوس جميع أعضائه.

وكانت وفاته مفاحة، وكان لها وقعٌ أليم في نفوس الجميع، فقد كان - رحمه  
الله - في كمال الصحة والعافية يشيع في جو المؤتمر من روحه السمحة وخُلُقهِ الكريم  
الكثير من الشر والحيوية والشاط، وكان لا يترك مناسبة واحدة دون أن يكون له  
فيها فكر ثاقب، ورأي راجح، وتعقيب سديد، حتى يوم العطلة الرسمية، كان

(١) فلاً عن مهال الإمام محمد أبو رهرة، وكان مع الشيخ لحظة الوفاة، نشر بمجلة لواء الإسلام، عدد  
يناير ١٩٥٨م.



يذهب فيه إلى المؤثر ويشارك في أعمال حياته لمخلفه

وقد احتير بين شيوخ لإسلام جميعاً كي يعتنق جنسات المؤثر تلاوة آيات  
الذكر الحكيم.

ب. لرحل المؤمن حين فاحاته الأرملة انقلبه كدت آخر كلمته «يا رب إن كنت  
راضياً عني لا أبالي»<sup>(١)</sup>.

هذه الكلمات القصار التي رثدها الرجل في لخطائه الأخيرة ترمي على يمانه  
العميق بالله ورضائه من كل قلبه بقصائه وقدره.

وتدل على فهمه حق المهم للحياة، وما تأتي به من نعيم ومؤس، وقدرته على  
أن ينظر من كل حدث إلى ما فيه من خير ونعمة، وبذلك يكون قرير العين راضي  
النفس، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه<sup>(٢)</sup>.

وإن كان الدكتور محمد عبد الله دراز قد مات باعتباره حسداً فاني، فإنه لم يمت  
باعتباره مثلاً حيّاً وروحاً باقية يرى الناس آثاره، ويسبحون على مواله.

فلا يجوز أن نقول مقالة الشاعر المشائم:

وما كان قبس هلكه هلك واحد ولكنّه بنيران قوم هلكما

ولكن نقول مقالة الشاعر المتعائل:

إذا سجد منا حلاقام سيد قوول بما قال الكرام قُعوول

بل نقول قول الحق سبحانه وتعالى ﴿مَنْ التَّوْبِينَ يَجَالُ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

(١) لمزيد من الاطلاع، انظر كتاب «محمد عبد الله دراز سيره وفكر»، طبع مكتبة الإيثار بدمشق،  
وحاميه الأهرم بالدراسة، كنية أصول الدين، أمام مذكر الإمام عبد الحليم محمود، رحمه الله

(٢) لمزيد من الاطلاع على مكانة الشيخ عند علماء وكتاب عصره، انظر كتاب «محمد عبد الله دراز سيره  
وفكر»، فصل «وفاته ورثته ونشأ العلماء عليه»

فَمِنْهُمْ مَنْ قَصَىٰ حَبْلَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْمِطُ وَمَا يَذَّلُوا نَذِيلًا ﴿٢٣﴾ [سورۃ الاحزاب، الآیہ رقم ۲۳]  
 فسلامٌ على الإمام المحدث محمد عبد الله تبار في عليين حراة ما قدم للإسلام من  
 فكر مسير وعدم دفع إلى أن لحي الله رب العالمين.

\*\*\*

قَالُوا عَنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ ذَرَارًا

١- «أستاذ جليل من السلف الصالح، كثر من حياته للدرس والتدريس، وجمع - في توارده عجب بين الدين ومعارف الدنيا، واستطاع أن يجمع هذه العلوم والمعارف في دمه الخار وعقده المتفتح المستنير، وبحرجه ما مصفاة من انشوائه، محلاة بدلت الأسلوب لرصين الذي يبرر الفكرة في سهولة ويسر، فتأخذ طريقها إلى العقول والأفئدة»

١ د السيد محمد بدوي استاذ علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية

٢- هذا رجل من الأهر، فيه أصالة المؤمن، وثقافة لمسلم، والقدرة الشابة العربية العاتقة، استطاع أن يقتحم أدق لمكر العربي ويدرس الدعة لفرسية ويكتب ما رسائله التي يافز فيها أساطير لفلسفة العربيين في نظريتهم وفصاياهم، كاشفاً عن وجه الحقيقة بين بيان الإسلام الصحيح ووجهه الصادقة، وبين ما تحمل هذه النظريات والمذاهب من قصور والتواء، لما يجعلها غير صالحة لنظرة الإنسية في عصر العلم، ليس للمسلمين وحدهم بل للشريعة كلها، وقوامه في هذا كله فهم عميق للقرآن، وتدبر صحيح له، وقدرة على تبليغه بأصمى لغة، ولتقديم الأمثلة إلى لعقل الغربي في تمسك صحيح.

الاستاذ انور الجندى الكاتب والمؤرخ الاسلامى.

٣ «دافع عن الإسلام والأمر والعلماء بإخلاص وبقية وثبات ممكن».

أ. د. روف شليبي: وكيل الأزهر - رحمه الله - مقدمة كتاب «آلهة في الأساطير».

٤- كان عالماً ورعاً من علماء الأهرام الشريفة، وكان يتمتع بجسب علمه، لخصائص بروح شجاعة ونفس ملهمة، وبصيرة نافذة، كان عالماً ورعاً تقيّاً، ساهر إلى باريس، وحصل على درجة الدكتوراه، ولكنه كان من الأهراميين القلائس



الدين اعتروا برهم الأرهري وسمتهم الأخلاقي الإسلامي، فعاد كما ذهب،  
لم تستطع الحياة في باريس أن تجده إنبها أو تجده مظهرها، وإن كان قد  
أرداد عنها وإيائنا، وتمسك بالإسلام الخفيف لأنه الحق المبين<sup>(١)</sup>

الشيخ صالح عشموي شيخ الصحافة الإسلامية في العصر  
الحديث ورئيس تحرير مجلة الدعوة.

٥ - «الأح / محمد عبد الله درار الذي لم أره صرياً يمس عرفت من العلم. وقد  
عرفت الكثير رحل جمع بين عراة العلم وعمق البحث، وصفاء التفكير، وبين  
الانتران في كل شيء من شؤون حياته كان - رحمه الله - شديد الحياء حتى من  
تلاميذه، رقيق الطبع، حلو الحديث، حفيص الصوت، شديد الخوف من ربه  
والخسر مما لا يرصيه، والصور مما تكرهه المروءة»<sup>(٢)</sup>

الشيخ عبد الجليل هيس، شيخ كلية أصول الدين.

٦ - «قد جمع الكثير من المتكلمين عن المعركة الإسلامية في القديم والحديث بين معرفة  
ديهم وبين معرفة علوم الآخرين، فأعطاهم ذلك إمكانيات عالية في تناول  
أفكارهم عن الإسلام وعرضها، ومن هؤلاء الدكتور محمد عبد الله درار صاحب  
الدراسات العميقة في جامعة قرنا وغيرها»<sup>(٣)</sup>

أ. عبد الحليم أبوشقة.

٧ - «يمثل لانتران المشرق والمخلق الكريم، ثقّف نفسه كأحسن ما تكون انثقافة،  
آراءه موفقة، يتدقق أسنوه في البيان عذباً شهباً لا يمل»<sup>(٤)</sup>

الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق.

(١) مقدمة لكتاب «وثيايك فطهر»، طبعة دار الأنصار.

(٢) جريدة الشعب ١٠ / ١ / ١٩٥٨ م.

(٣) من كتابه «فقد العقل المسلم» دار العلم بالقاهرة.

(٤) من كتابه «الحمد لله هذه حياي»، دار المعارف.

٨ - عرفته كلية الآداب وكلية دار العلوم أسدًا مبدًا يهر بلاميدته بعرارة علمه، ويسحرهم بحيال أسلوبه، ويعمرهم بما من الله به عليه من أدب رفيع، وأخلاق عافية، وبصائح عالية، لقد كان رحمه الله مثلاً صالحاً عحيًا في كل طور من أطوار حياته<sup>(١)</sup>.

الشيخ عبد الرحيم فودة.

٩ - «للكنور محمد عبد الله درار رحمه الله من يلتمس النصوص الشرعية السرائر دقيفاً، ويرجع إلى الكتاب والسنة مستنداً بالمعاني القرينة لألفاظها، وربما كان له اجتهاد في فهم النصوص المتعلقة بقضايا الحياة المعاصرة، ولكنه فهم دقيق قائم على الوعي التام، وعدم مخالفة أئمة العلماء في هذا التفسير».

أ.د. عبد الستار فتح الله سعيد - الأستاذ بجامعة الأزهر وأم القرى.

١٠ - «إن المحنة التي يمر بها الإعلام في المرحلة الراهنة، ولتي لا تُصنّف في مصلحة الإسلام والمسلمين؛ حيث يجري تلميع غير المستحقين والتعظيم على الأعلام الكبار الذين قدّموا علمهم وجهدهم وحياتهم خدمة للإسلام، والدكتور محمد عبد الله درار قد ناله شيء غير قليل من هذا التعظيم رغم جهاده العلمي وعظائه الفكري الكبير؛ حيث اختار الطريق الصعب، وصار في حياته العلمية في محاميل وطرق وعِزّة ما حطأ فيها أرهري قبله خطوة واحدة».

أ.د. عبد العظيم العطفي - الأستاذ بجامعة الأزهر.

١١ - «نتهل إلى الله صارعين أن يجري هذا لإمام خليل حراء لمجاهدين العاملين والأتقياء المقربين، فقد كان رحمه الله - في كل ما كتب كأنها ينظر بنور الله»<sup>(٢)</sup>.

أ.د. عبد الفتحي محمد سعد بركة.

(١) عن مقدمه بجريدة الشعب ١٠ / ١ / ١٩٥٨ م.

(٢) نقلاً عن كتاب: «معدن القرآني ووجوهه» وشراره (ص ١٩٦) مكية وهو

١٢ «هذا الرجل الذي احتوته المون في منْ مكره ونكن كتبه تسب عن عالم شامح في العلم والمعرفة ولا سيما في كتابه (دستور الأخلاق في القرآن)»<sup>(١)</sup>

عبد القادر أحمد عطا المحقق الإسلامي المعروف.

١٣ «هو عزم شامح من أعلام النهضة الإسلامية في مصر في القرن العشرين وقمة شاهقة بين عمماء الفكر الديني والإسلامي . ومتنحر عميق الأعوار في الثقافات الإنسانية والعالمية في العالم»<sup>(٢)</sup>

الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وزير الشؤون الدينية بقطر.

١٤ «ولا أسى كتب (السأ العظيم) للدكتور محمد عبد الله درار الذي تناول سورة البقرة، بعد أن مهد بالحديث عن القرآن، فكان هذا كتاب فتى، ولا أظن هناك معاصراً بلغ شأوه، والأجل لم يمهله ليستكمل هذا المنهج، ويعطي كن سور القرآن الكريم»<sup>(٣)</sup>.

الشيخ عبد العزيز خطيب.

١٥ «عرفته عالماً ورعاً تقياً وإماماً من أكبر أئمة الدين وقادة الفكر، قصى حياته مجاهداً بقلمه ولسانه في سبيل نصرة الإسلام، واستشهد في حومة جهاده المجيدة».

أ. د. / علي عبد الواحد ونظري.

١٦ «إنه المثل الكامل، للعالم العامل، الذي أمده الله بالعلم النافع، وتوجه بالخلق الكريم، وحنّه بالأدب الوفير كان نفعاً للمعلم بأحاديثه الممتعة القيمة، كان حنفاً للقلوب، بعيداً عن مواطن العيوب، حافداً في سبيل ربه،

(١) عن مقدمته لكتاب «المختار من كور الله»

(٢) عن مقدمته لكتاب «فتاوى المسلم» للشيخ الشعراوي.

(٣) عن مقدمة كتاب «أملاط ونظرات في سور القرآن» ١٩٩١م - ١٩٩٢م، مطبعة دار سانييف

و'احصى الله في عمله، وعرف الناس قدره، وشهدوا جميعاً بمصله'

كامل محمد حسن. وكيل كلية اللغة العربية ١٩٥٨ م.

١٧ - «من أرباب القلم والفكر، واسع الشفاه، عرير العلم، ثمار عباراته بالعماد والسيطرة، وتتمتع سلاعه بالإبحار، وعرارة الدلالة

أ. د. محمد أبو الأنوار. أستاذ الدراسات الأدبية بكلية دارالعلوم.

١٨ - «عالم تقي عميق الطيرة، صادق الإيمان، ثبت في علمه، قوي في مذهبه، تاه الله الحط لأوفر في علوم الإسلام، فكان فيها العلم الذي يُشار إليه، وأوتي من هذا حطاً من علم أوروبا، فكان العالم بما عند الأوروبيين، وما طعن في قلبه عدم هذه الدنيا على علم الإسلام، ولا تلك الحصار البراقة على حقيقة الإيمان، وما نهزته رحارف هذه اندية عن الثروة الروحية التي اشتملت عليها الحقائق الإسلامية، ولا عن تلك الدخيرة الإنسانية التي اشتملت عليها أحكام القرآن المقررة الكثيرة النافية الخالدة إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>

الإمام الفقيه / محمد أبو زهرة.

١٩ - «الرجل كان طراراً حاضاً من المفكرين؛ حيث لم يكن غير الحديد الطريف الذي يسمع به القارئ من قبل مهما تنوعت ثقافته واتسع إدراكه. لقد كان يقدر تبعه القلم تقدير العالم الطامع المشرئب للكمال، فهو لا يدرس غير العهد السبع، ولا يؤلف في غير المجهول الذي تتطلع لأبصار إلى كل كلمة من كلماته.

لقد كان الدكتور دراز عالماً مختاراً عرفه الناس بتفرده العلمي مؤلفاً ومحاضراً وأستاذاً كما عرفوه بإيمانه القوي مستلماً رقيق العاطفة قوي اليقين»<sup>(٢)</sup>.

أ. د. محمد رجب البيومي - رئيس تحرير مجلة الأزهر.

(١) مقابلة شخصية تمت بمكتبه. كمال علي بشر، دار العلوم

(٢) من مقالة بمجلة لواء الإسلام

(٣) عن كتابه «نهضة الإسلام» (ص ٥)، طبع مجمع البحوث

٢٠- لقد كان الدكتور محمد عبد الله دراز إماماً فريداً في علمه وثقافته وحلقه واجتهاده، لقد عرفه الناس في تفسير القرآن المجيد من خلال برنامج تقديمه التلاوة في الإذاعة، فكان محمداً في ربط الآيات والصور بعضها ببعض، واستنساخ دقائق المعنى، وكبحر هلال تلهف عن سماع أحاديثه في هذا المجال مع صحبه من أقرانه. على رأسهم الإمام الأكبر فضيلة الشيخ محمود شلتوت، رحمه الله.

أ. د. محمد سيد أحمد الشير - الأستاذ بكلية أصول الدين  
القاهرة.

٢١- رجل يفيض كما يفيض البحر - من علم العليم، وحكمة الحكماء  
يلفكناك في بشر الكريم ولطفه - مستقبلاً بساحة السمحاء  
خفق أرق من النسيم لطافة - وتواضع في عزة وإباء  
ما كان في يوم يذل العلم به - زلفى لذي جاء ولا يرياء  
يفتني على الكتاب وسنة الـ - هادي ونهج أئمة المقهاء  
خدم الحيفة خلمة مشكورة - في المشرقين فحاز خير ثناء  
يارافعاً للدين راية مجده - خفاقة في صائر الأجواء  
فلقد دفعت من الخفيف خصومه - وفزعهم بالحجة الفراء  
سيخلد التاريخ ذكرك عاطراً - مثل الأريج يفوح في الأرجاء<sup>(١)</sup>

الشيخ محمد سليمان بدير - الأستاذ بكلية أصول الدين.

٢٢- من العلماء الأعداء الملائل، الذين توافر لهم بسطة في العلم، وقوة في الإيمان، وعرة في النفس، والدين قدّر لهم أن يعرفوه عن كثب يدركون أن المعمور له الدكتور دراز نموذج رفيع لعالم الدين، قد لا يتكرر إلا كل حين، إن مثل هذا العالم الخليل يحترم نفسه، ويعتر بعلمه، ويعرف مقام قلمه وهو من أساتذة

هذا لجبل، ومن الكُتّاب الإسلاميين القلائس الذين هم عقيدة صادقة فيما يكتبون، وفيما يقولون، وفيهم رحولة تجعلهم لا يكتبون ولا يقولون إلا ما يعتقدون بعيداً عن مراتق الترفل ومدايح الرياء.

كان عالماً واسع الأفق، وشجاعاً وافر الشجاعة، كان يمتاز بوقار العلماء، وحرارة الأبطال، كان احق في نظره هو الحق لا ترلرله قوى البهي، ولا حذوت السلطان، ولا سطوة الباطل وكان الإسلام في نظره هو الدين الذي يجب أن يهيمن على حياة المسلمين وشؤونهم في كل رواب الحياة.

كان عالماً غيوراً على الإسلام وقضايا المسلمين، ولكن المية عاجلته فمقد العالم الإسلامي عالماً دهباً رجلاً. وما أقل العلماء الرجال.

أ/ محمد عبد الله السمان - الكاتب والناقد الإسلامي المعاصر.

٢٣- من الشخصيات الخالدة في تاريخ الأزهر الحديث، كان عالماً وأستاذاً كبيراً، رجل إصلاح معروف في أوساط الناس، وكان رجل دين يتكلم بالكلمة من وراء الكلمة الصمير الحي، والعقيدة القوية، والفكرة الصادقة.

وكان دائماً مرفوع القامة طويل الهامة، لا يحني رأسه لأي غرض من أغراض الحياة، وكان معتزاً بمكانة الأزهر، ومكانة الأزهر في المجتمع، وكان بحق عالماً صليحاً وشيخاً حليلاً يعتر به الأزهر الحديث، ويعتر به طلابه يعتز به الأساتذة زملاؤه اعتزازاً كبيراً<sup>(١)</sup>.

أ.د/ محمد عبد النعم حجاجي.

٢٤ الدكتور محمد عبد الله دراز الرجل الأمين، والعالم الباحث أعجبني فيه بماذا البطرة وجلالة البصيرة، وعمق التحليل، وسلامة العرض.

أ.د/ محمد فتحي عثمان.

(١) عن برنامج في ذكرى وفاة الدكتور دراز، تقديم محمد عوض

٢٥ «ولا أن لرجل حافظ فافه لكتاب الله. وضيع مكين في آداب العربية، وعابد محبت تكشف أمام بصيرته اثيرة الحكم البالعات التي عابت عن غيره ما استطاع أن يصور لك حصائص الإعجاز القراني ويجعلها مآراي العين»<sup>(١)</sup>.

الشيخ محمد الفزالي

٢٦ في حياة هذا العالم مواطن لعمرة، يحسن بنا أن نقف عندها، ونقدمها للشباب المسلم في كل مكان، فأول ما يماحذك في هذه الشخصية هذا التراوح العذب، ولتلاقح العمي بين ثقفتين متباينتين، عادت نتيجة بالخير العميم على الثقافة الإسلامية.

الأستاذ الشيخ منصور الأحمد مجلة البيان - ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ.

٢٧- كان الدكتور محمد عبد الله دراز نموذجاً رفيعاً للعالم المسلم في سلوكه وتوصفه وحلقه وسمته، ثم في منطق العدب، وقوة حجته، ولا تنسى أن منطق الساحر قد هز كتائسا وروده بالروح المعوية العالية أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م، وصوته يجلجل كل صباح في حديث الصباح ثم وهو يتحدث عن واجب المسلمين بعد اخلاء وتحذيرهم مما يتوقعه من مكائد الأعداء مما تحقق بعد ذلك في مؤامرة الانفصال وغير ذلك كنت أعتقد أن تحتفل الإذاعة، ويحتفل التلفزيون بذكرى رحل من هذا الطراز لأن في استعادة سيرته دفعا للروح الوثابة في نفوس الشباب وغير الشباب»<sup>(٢)</sup>.

الأستاذ ناصف سليم.

٢٨ «كان سيبج وحده في عزارة علمه وأصاله تفكيره وفصاحة بيانه، وقوة إيمانه وحلقه»<sup>(٣)</sup>.

د/يوسف القرضاوي.

(١) عن كتابه «نظرات في القرآنة دار الكتب الإسلامية

(٢) جريدة الجمهورية ١٤ أبريل ١٩٦٧ م

(٣) عن ديوانه «معجانات ولقعات» - دار الوفاء.

٢٩ من الدعاة المربين في الحركة الإسلامية الراشدة، وصيلة لشيخ عبد المعز عبد الستار، ذكر أمامه الدكتور محمد بن عبد الله بن جرير رحمه الله في لقاء مع شباب الصحوة فقال عنه.

«رحم الله العالم الرجل الذي شر أخلاق الإسلام في دمه قبل أن يشرها في كتفه»

الشيخ، عبد المعز عبد الستار.

٣٠- «إن شخصية لي حبيب الشيخ محمد بن عبد الله بن جرير لحديرة بالدراسة المتأنية المتدبرة، حيث إنه كان من أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث برويته المنيرة الواضحة وفكره المتقيم المرن»<sup>(١)</sup>

أ.د. علي جمعة - مفتي الجمهورية.

٣١- «من رجال الأزهر العظام الدكتور محمد بن عبد الله بن جرير الذي يعدُّ من أعلم علماء الأزهر على الإطلاق»<sup>(٢)</sup>.

الإمام الأكبر أ.د. أحمد محمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف.



(١) جريدة الأهرام، الاثنين ٤ مايو ٢٠٠٩م

(٢) في أول حديث تلفزيوني فور بوله متبعه لأزهر الشريف



# مدخل تمهيدي عن المؤلف وآثاره في التفسير

- ١ - عالم بالقرآن.
- ٢ - تفسيره ثمرة للتأمل والتدبر.
- ٣ - مدرسة الدكتور دراز في التفسير.
- ٤ - منهج الدكتور دراز في التفسير.
- ٥ - أسلوب الدكتور دراز في تفسيره.
- ٦ - جولة في تفسيره.



## ١- عالم بالقرآن

من هؤلاء العلماء الذين عاشوا بالقرآن وللقرآن بشرون أنواره في كل ميدان واتجاه بحكمة وعلم وحُسن فهم لكتاب الله، العلامة الدكتور محمد عبد الله درار ولا شك أن ما قدمه لدكتور درار في تفسير لبعض سور لقرآن العظيم يعدي العقل، ويركي النفس، ويرى القلب، ويصحح العمائد، ويربي الضيائر، ويذهب الأخلاق، ويُقوِّم السلوك، ويدلُّ على أسباب السكينة والسعادة في الدنيا ولعور والنجاة في الآخرة.

لقد عاش العلامة درار يقدم للبشرية عطاء القرآن، ويرى به دروب الحياة، ويُعَمِّق الإيمان به مسجع هداية للإنسانية ومنعزل نور أصاء هذا الطريق للتي هي أقوم، فأخرجها من الظلمات إلى النور، وأخذ بأيديها إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وكان نقطة تحول في تدرجها الطويل وانتقل بها من حياة الإثم والفساد وانصلال إلى حياة الخير والحق والرشاد، وأحدث في العالم كله من القيم والمفاهيم والمعايير ما صعد بالإسبانية من دركها الأسفل إلى أسمى صورها، وأسمى كمالها.

كان محمد عبد الله درار يريد أن تعود البشرية إلى العيش في رحاب القرآن تهتدي بهداه، وتتعلم منه العقيدة في الله، تتأدب بأخلاقه ونحيا وفق شرائعه وتعاليمه السامية فقدم (دستور الأخلاق في القرآن)، وقله (مدخل إلى القرآن الكريم)، ودُرَّته النافية عن مر الرماد (الربا العظيم)، وكل من قرأ هذه الآثار القرآنية، يتعمق بينه وتأسس عقيدته فاهدات والمعايير التي تصمَّمها القرآن العظيم لا يمكن معرفتها إلا بواسطة التفسير لنصوص القرآن وآياته، والتفسير هو الكشف عن مراد الله تعالى، ومعرفة هذا المراد من خلال كلماته في هذا القرآن على قدر العقدة البشرية

وقد حرصت آياته على التطرّف والأمل فقال تعالى ﴿ كُنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ مُبَارَكًا  
 بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَلِيَذْكُرَ الْأُولَىٰ ﴾ [سورة الأَنْبِيَاءُ: ١٢٩] وقد تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَةَ  
 وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهَا اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النحل: ٨٢] وقال تعالى ﴿ أَفَلَا  
 يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَةَ الَّتِي أَمَرَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَهْلِهَا ﴾ [سورة محمد: ٢٢]

...

## ٢ تفسيره ثمرة للتأمل والتدبر

وما تفسيره إلا نتيجة للتأمل والتدبر

وهذا الإيهام عاش الدكتور درار حينه مؤمناً مفكراً، وقد ورث عن والده العلامة الشيخ عبد الله درار شِعْره بكتاب الله، فأخذ عنه شرف التلاوة سنة أجراء منه كل يوم. ولم يتحلف يوماً قط عن هذه العادة الخلية حتى في أصعب الأوقات التي عاشها في الحرب العالمية الثانية ساريس فكان لا يُرى إلا تالياً للقرآن.

يقول الدكتور محمد رجب البيومي:

«وفراءة مفكر مثله لهذا الحزب البيومي لابد أن تمتنع عليه بما يصيء بصيرته، ويمدده بأوفر الزاد الشهي».

لذلك جاء إيمان الأستاذ درار بالقرآن العظيم أن الله فُصِّلَ به على الأمم أجمعين، وآتانا به ما لم يُؤْتِ أحدًا من العالمين؛ أمره الله هدايةً عالمية دائمة، وجعله للشرائع السماوية حاتمة، ثم جعل به من نفسه حجة على الدهر قائمة. وجعله خلق رسولاً ومصطفًى ووصيته وميراثه «حبركم من تعلم القرآن وعلمه»

هذا هو القرآن في حياة الأستاذ دراز، وهو فيها كتب من تفسير لا يطلب من قارئه انصواء تحت راية معينة، ولا اعتناقاً لمذهب معين، ولا يفرص فيه تخصصاً في ثقافة معينة، ولا حصولاً على مؤهل معين، بل إنه يناشده أن يتحدث به إلى كل عقل واع ناقد. لا يأخذ إلا على بصيرة وبيسة، ولا يدر ما يدر إلا على بصيرة وبيسة، وإلى كل وجدان تجريبي دائق، لا يكتفي بالخبر عن المعاينة، ولا يستعني بالورد عن الموارنة.

أن يعود نفسه صحبة مساء؛ إلا من فطرة سليمه، وحاشه مرهمة، ورغبة صادقة في الوصول إلى الحق في شأن هذا القرآن.

ويهدف الأستاذ دراز من وراء ما قدّم من تفسير لكتاب الله فيما أُلّف وأذاع كما يقول «أردت بها أن أبعت كتاب الله بحلته وخصائصه، وأن أرفع النقاب عن جانب من الحقائق المتصلة به، وأن أرسم الخطة التي ينبغي سلوكها في درسته.

وقد راعيت في أكثر هذه البحوث شيئاً من التفصيل والتحليل، وشيئاً من التطبيق والتعميل، فلم أكتب بالإشارة حيث تمكن العبارة، ولا بالبرهان إذا أمكن البیان، راجياً بذلك أن تفتح له عيون الغافلين؛ فيجدوا نورهم يسعى بين أيديهم ويأينهم، وأن تشرح بها صدور المؤمنين، فيردادوا إيماناً على إيمانهم»



### ٣- مدرسة الشيخ دراز في التفسير

أكد بعض الباحثين المعاصرين<sup>(١)</sup> أن الشيخ محمد دراز تأثر بطريقة تفسير الإمام محمد عبده، وهي دعوة صحيحة في بعض جوانبها، مثل تأثره بالتفسير الموضوعي للسورة، والتجافي عن النواحي البلاغية والحبوبة المتفجرة

ولكن الشيخ دراز كنت له سماته الشخصية في منهجه في التفسير وأهمها تمسك الشيخ بمسح السة السوية في فهم القرآن، وتأخير النظر العقلي الحر المجرد باعتباره حاكماً على القرآن، وتقديم إعمال العقل في فهم وتمحيص لغة القرآن، وتقليب وجوهها، لاستبيان مراد الشارع، فيسلم المسلمون من الوقوع في البدع والشبهات، ويمجدون لأفهامهم محارح كثيرة للآيات المشكلات، أو الأحداث الملهات

\*\*\*

(١) راجع إن شئت د. عبد العفار عبد الرحيم الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، ط دار الأنصار، ود محمد أمين أبو شهبة «محمد عبده دراز وجهوده البلاغية»، أطروحة ماجستير كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ود. أبو بكر سعد عبد الرزاق «المعبدة والأحلاق في فكر الدكتور محمد عبده دراز»، أطروحة دكتوراه - كلية البعث - جامعة عين شمس

## ٤ - منهج الدكتور محمد عبد الله دراز

### في التفسير

اعتمد الدكتور دراز في تفسيره للقرآن على مجموعة من خصائص التي أطلق عليها نحو تفسير كتاب الله، واستخلص الدكتور أبو بكر سعد عبد الراضي هذه القواعد والخصائص في أطروحته للدكتوراه في عدة نقاط (الوحدة الموضوعية لتفسير الموضوعي - الإعجاز الدعوي والبياني - ارتباط الإعجاز الدعوي عند الدكتور دراز بمنهجه في التفسير - المنهج البائي (أو لقراءة ثنائية) الاعتماد على السنة في فهم القرآن - توظيف العقل في فهم النص الشرعي - التفسير المقرون).

وقد أبدع الدكتور دراز في تطبيق المنهج الذي نادى به الإمام محمد عبده في التفسير الموضوعي لسورة لقراءة وقدم في كتابه (الاعظيم) سورة اسفرة نموذجاً.

وهذا المنهج يقوم على أن في كل سورة من سور القرآن الكريم روحاً يسري في آياتها ويسيطر على مبادئها وأحكامها وتوجيهاتها وأسلوبها.

وهكذا استطاع الدكتور دراز أن يحيط له منهجاً متميزاً في التفسير، اعتمد فيه على جملة الطرق، ليس فقط على الطرح الخارجية من معاني الآيات، ولكنه يعمد كذلك إلى جوهر هذه المعاني وباطنها، فهو دائماً ينظر إلى العنصر المتقابلة التي يطرأ الباطن إليها من الوهلة الأولى أنها متصادمة أو متعارضة، فإذا بالشيخ يمحس هذه العناصر ويضعها في سياقها من مقاصد الشريعة، ثم يصمم بعضها إلى بعضها فيجدها بعد هذا التجاور قد اجتمعت، وأصبحت لها وظيفتها المكملة، وتؤدي مهمة واحدة وإن انقسمت إلى قسمين أو أكثر



ومن المعروف أن رسول الله ﷺ كان يأمر بوضع الآيات التي يرسل عنه  
منحمة في موضعها من السور، وأن ذلك كان عن وحي ينقاه عن حبر بل، عن الله  
رب العالمين، فهل كان ذلك إلا لمعى، وهل يأمر الله - تعالى - بوضع هذه الآيات  
هنا، وهذه الآيات هناك إلا للحكمة؟

وقد عُني المفسرون بكثير من الجوانب المتصلة بدراسة القرآن الكريم، وقيل فيهم من  
عني بهذا الجانب الذي هو دراسة الروح العام لكل سورة والمعرض الذي تهدف إليه

ومن لواضع أن سور القرآن مع كون كل واحدة منها ذات طبع خاص،  
وروح يسري في بواحيها لا يمكن أن تُعدَّ مفصلاً أو أنواراً مقسمة مسقة على  
نمط السكيف التي يؤلفها الناس، ومن أراد أن يفهمها على ذلك، أو يعسرها على  
دبث، فإنه يكون متكلفاً مشغولاً يحاول أن يخرج بالقرآن عن أسلوبه الخاص الذي  
هو التثقل والمراوحة والتحول، وأن يبت في تصاعيف القول، ولوقوف عند العبارة  
لتجسيتهاء، والتوجيه إلى معراها، واستخدام العرصة أيسر وأنت تدعم العقيدة  
السليمة، والمبادئ القويمة.

إن هناك فرقاً واضحاً بين من يحاول أن يفعل ذلك، ومن يحاول أن يجعل القارئ  
يلمح لروح الساري، والبيئة المعوية الخاصة التي تجول فيها السورة، دون أن يُخرج  
السريل الحكيم عن سته وأسلوبه الذي انمرد به، وكان من أهم بواحي الإعداد به

وهذا المنهج في الدراسات القرآنية أجدى على الناس من تتبُّع الآيات آية بعد آية  
بحسب ورودها في السورة، ومن تتبُّع مُحل كل آية، وكلمات كل آية وأحياناً حروف كل  
آية أيضاً، ليدرس كل ذلك على نحو من التمهيد أو الإجمال، أو على نحو من التطويل  
أو الإيجاز، فإن ذلك لا يعطي المنظر العام، ولا يساعد على تصور عظمة السورة مجتمعة  
الملاحح، منصحة اتقاسم كاملة الوضع ومثل من يكتفي بأن ينظر إلى سورة من سور  
القرآن هذه النظرة التفصيلية على هذه النحو، كمثل من يأتي إلى بناء شامخ عظيم فيشغل  
بالأمل في ماله بانه، وفي نوع أحجاره ولسانه التي كُوِّن منها، وفي أحشائه وحديدته،

ومعادنه، ومفصر أنواره، ومفحجه، وبحو ذلك، فشعله هذا عن مرآة لعدم، وعظمت  
التي تجتنيها أبين حين تنظر إلى جنته كيب أو كصرح عظيم

نعم إن هذا لا يعني عن دك، فالحمده لا تعي عن التفصيل، والتفصيل لا  
يعني عن الحملة، ولكن القصر أو الصرح إنما كان قصرًا أو صرحًا بجملة، أما كون  
حشبه كد، أو حديده كد، أو مادته كد، فذلك درس للحشب أو للحديد أو  
للأحجار... إلخ وليس درسًا للقصر أو الصرح من حيث به قصر وصرح

فالقرآن الكريم يجب أن يُدرس من كل ناحية وهو قد درس معلاً من عشرات  
الوحي المختلفة، ولكنه كتاب هداية وتشريع ذات طابع خاص، له هيئته على  
القلوب، وتأثيره في الأرواح، لا يمكن أن تجلي هذه الناحية فيه تطبيق كلماته  
وألفاظه على قواعد النحو حيناً وعلى مروي القراءات حيناً، وعلى تفاصيل لتقديم  
وإشاحير، والحذف والإدراك، ولوصل والمفصل، في حدود ما عرفه السككي  
والخرجاني والخطيب، ومن إليهم من علماء الصناعة اللغوية أو المعنوية، نحوية أو  
بلاغية أو روائية.

إن هذا أشبه بخدمة عرص النحويين والبلاغيين وأهل القراءات منه بخدمة  
غرض القرآن منه، والعناية المقصودة منه باعتباره كتاب هداية للنبي هي أقوم.

فهذه الطريقة تجعل من آياته موضوعات لتمريبات مختلفة، وتطبيقات متنوعة،  
وإن جعلها في كثير من الأحيان بيان للأحكام، أو توجيه إلى الخيال الصبي، أو إظهار  
لأسلوب الهداية والإرشاد، أو تعريف بما تتضمنه الآيات من إيجاء، أو إشارة، أو  
تسبيه، إلى غير ذلك مما لا يخلو منه تفسير في العادة<sup>(١)</sup>.



(١) الشيخ محمد محمد عبد الله، المجتمع الإسلامي كما نظمته سورة النساء، طبعة المجلس الأعلى للشؤون  
الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

## ٥- أسلوب محمد عبد الله دراز في تفسيره

اتسم أسلوبه في الكتابة كما يصعب هو «بعمق الفكرة وقوة الحجة ومتانة الأسلوب».

ويصف أسلوبه الدكتور محمد أبو الأنوار: «بتمتع بقوة السيطرة وبإيجاز وغزارة الدلالة».

وصفوة القول، أن أسلوبه يعتار بالإشراق البياني، وجمال العبارة، والوصوح والبساطة في التركيب والمعنى، فكان يكتب بأسلوب الداعية إلى الله وحرارته، وليس بأسلوب الفيلسوف وحياله وعموص عبارته، وذلك لتأثره بأسلوب القرن وطبيعة الموضوعات التي كُتب فيها والعاية من كتابته، كما كان يمتاز بالتشخيص وأداء لمعاني في صورة جمالية، وعدم النجوى لاستعمال المصطلحات الفنية والعلمية المعقدة، والصدق والصراحة والجرأة، وقوة العاطفة، ومرح الفكر بالعاطفة، والتكرار بهدف توضيح وتثبيت الفكرة التي يدعو إليها.

وإلى القارئ أحد نصوصه كمودح عن محاماة أسلوبه في تفسيره لسورة البقرة؛ وما ينبغي أن ملعت ذهن القارئ إليه مهارة الشيخ العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز وثقوب عقله، وحدة ذكائه في إبرار أخفى وأدق أسرار البيان القرآني المعجز في آية من كتاب الله كمودح يجب أن يُتحدى في دراسة النظم القرآني ونفسيره. تلك هي الآية التي برلت في شأن اليهود ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَرْسَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُوكَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١].

هذه الآية قل الشح إبه احتارها؛ لأنها ليست من الآيات التي يهتم بها  
اليابون في استخراج الوجوه والصور البلاغية منها، مما فيه تشبه رائق، أو مخز  
أسر، أو كناية لطيفة، أو تمثيل أجاد، وإنما هي إبه من «عرض القرآن»، ومع ذلك  
استخرج ما فيها من دقائق النظم، وأسرار البيان، وحكمة المعنى ما لا يملك لقارئ  
معه إلا أن يقول بعد الاطلاع عليه «الله أكبر، الله أكبر»

وهذا منهج مستمر في دراسة القرآن ترشم فيه الشيع دراز خطى الإمام عبد  
القاهر الخرجاني منهجه التحليلي المتمتع المقنع في كتابه «أسرار البلاغة»، و«دلائل  
الإعجاز»

ويقول الدكتور محمد محمود حجازي «ويعد الدكتور محمد عبد الله دراز من  
رواد التفسير الموضوعي للسورة القرآنية الذي هو عبارة عن الكلام على السورة  
القرآنية ككل، مع بيان أعراضها العامة والخاصة، وما فيها، مع بيان ربط  
الموضوعات بعضها ببعض حتى تبدو السورة، وهي في منتهى الدقة والإحكام»



## ٦- جولة في تفسيره

والآن أرى أن أحول مع القارئ جولة مشوقة ينقسم معها غير وشدي هذا الكتاب ليبدل إلى حوّه الفرائي الذي يعبق بالراحين ليطالعه همة وشوق وتركيز واستيعاب.

فأقول، في تفسيره الرائع الفاتحة الكتاب

يعلم أن خير ما تفتح به الأعمال، وتُفتح به المقاصد، التوجه إلى الله لعبي المدير، ثناء عليه به هو أهله، واستمداداً للمعونة من قوته، واستنهاجاً للرشد من هدايته، وتلك هي الخطوط البارزة في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ①﴾ ثناء على الله: ﴿إِنَّكَ تَبْدُؤُا بِإِنَّكَ مُبْدِئُ ②﴾ استعانة بالله: ﴿أَعِزَّاهُ الْبَرْطُ الْفَتْحُ ③﴾ استرشاد سور الله ولا يقف سا الدكتور درار عند هذه النظرة لعابرة التي يقف أكثر الذين يتناول هذه السورة، أو الذين يستمعون إليها.

وبكنه بالعلم الذي أهله الله إليه يلقي على السورة الكريمة نظرتين أحريين نظرة في مواردها ومقاصدها مقارنة بموارد القرآن ومقاصده، ونظرة في وجهة خطتها، مقارنة بوجهة الخطابات الفرائي، وستجدها بذلك شأنًا أهم وأعظم. وشرع الدكتور درار بعلمه بالنظر في إحصاء المقاصد الكلية للقرآن الكريم، وفي مدى احتواء الفاتحة على هذه المقاصد

وفي ختام تفسيره الرائع يقول: «إذا نظرنا إلى الفاتحة من هذه الراوية فإنه يحق لنا أن نقول إن القرآن إذا كان هو الدستور، فالفاتحة هي أساس الدستور.» بل لو صبح هذا التعبير نقلنا إليها دستور الدستور

## تفسيره الموضوعي لسورة البقرة

وهي المبحث الثاني يقدم للدكتور درار تفسيره الموضوعي لسورة البقرة،  
والحلقات الست لتفسيره الإداعي للفتحة وسورة البقرة.

وقد كنت هذه الحلقات في مقدمة الجهود الدبية والفكرية الدثة التي تقدمها  
الإداعة، وكانت تهدف إلى تقديم تفسير موضوعي لنعرآن الكريم، بفكره الحي،  
وبطرقه، الكلية الشاملة في أروعه حين يقول: «كان المؤمنون عند نزول الفتحة لا  
يرانون في بداية عهدهم النوحى، لم يسط عليهم من سحاب العلوم القرآنية إلا  
نضع قطرات، لقد عرفوا رسم، وأخلصوا له سرهم، ولكنهم كانوا يستشرفون  
يومئذ إلى هدية مفصصة، إلى دستور شامل، يعرفهم مذاهب الحق والباطل، ويمير  
لهم وجوه الحلال والحرام، ويعرفهم سنة الله في الأولى، ويطلعهم على ملكوت الله  
في السماوات والأرض، كان ختام سورة الفتحة تمبيراً بلسان حالهم عن تعظمهم  
والتماسهم لهذا الدستور السماوي في ﴿أَفِيدَاتِهِمْ لَمْ يَكُنْ﴾، فجاء ستهلال  
سورة البقرة يبشرهم أن قد استجيت، وأن الهدى الذي طلبوه هو الآن بين أيديهم.  
﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نُنزِّلُكَ عَلَيْهَا﴾.

فالقرآن كله بعد الفتحة، هو الهدى المطلوب في الفتحة.

وسورة البقرة أكر نموذج من ذلك الهدى، مائتان وبضع وثمانون آية تنقسم إلى  
مقدمة، ومقصدين، وخاتمة .. في سبق مديع تتلاحق أجزاؤه وتتعانق، ولكنها لا  
تتداخل، ولا يبغي بعضها على بعض.

أما المقدمة فتقوامها عشرون آية، إنها هي تنويه بشأن هد الكتاب وبشارة لمن  
يتقبله، ونص على من يأباه ويعرض عنه.

وأما المقصد الأول فمتمد في مائة وسع وخمسين آية، مهمتها إرساء أصول الدعوة الإسلامية، وتفيد حجج أصحابها لها

وأما المقصد الثاني ففي مائة وسع آيات، تسطّر شرع الإسلام، وتحدد منهجه العملي في مختلف نواحي الحياة.

وأما الخاتمة فأيتان اثنتان يعلن فيها تحقيق الشارة التي بدأت بها السورة، وهي إشارة الهدى والصلاح لمن سمع وأطاع  
وفي القسم الرابع تفسير آيات مختارة

وهي المبحث الثالث مثل «تفسير آية السلم»، والتي هي شعار المؤمن: السمع والطاعة للحق والعدل

﴿يَأْتِيَهُمُ الْيُسْرَىٰ وَأَصْلُهُمْ فِي الْأُولَىٰ حَقَّقَةً﴾ (سورة، ٢٠٨)، فيبين الدكتور درار أن السلام الذي يدعو إليه القرآن هادئاً، هو شيء آخر، أعمق من كل المظاهر المادية، إنه فكرة حية، وحقيقة روحية، هو عقد وميثاق بين المرء وقلبه، يلتزم فيه كل امرئ أن يكون متجاوزاً حقاً وصدقاً مع المثل العليا التي يؤمن بها، بحيث لا يشور غمراً على نكث المبادئ إذا خالفت هواه، ولا يُعرض عنها كلما تعارضت مع ميوله ورغائيه، فالدهول في السلم هو إثبات تحت راية الحق في حصول واستسلام، ولا نقية لعدول العدل في طاعة ونظام، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَمْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (البقرة، ١٢٥) ﴿وَمَنْ يُؤْمِرْ بِعَمَلٍ فَاعِلٍ لِّمَنْ يَأْتِيهِ مِنَ الْبُخْلِ﴾ (البقرة، ٢٦). هذا هو لبُّ المعنى وجوهره في لغة العرب، وهذا هو حقيقة السلام، وحقيقة الإسلام في لغة العرب، وهذا هو الدين الذي دعا إليه جميع الأنبياء، وهذا هو الطريق الوحيد لشر لواء الأمن والسلام بين الأمم والأمر، وفي تفسير الآية الكريمة: ﴿وَنَقُلُوا لِلَّهِ يَنْصُرُنَا اللَّهُ مِمَّنْ كَفَرُوا﴾ (البقرة، ٢٦). بنى الشيخ سنة الهداية القرآنية في دعوتها إلى الحق والخير

وفي تفسير ربع «والوالدات» يتناول الشيخ الدواحق والتواضع التي تحمي بعد

انضمام الحسن بطلاق أو الموت، وأن الأصل في الجنة الروحية أن تكون حبة سكن ومودة وتعاون على أسباب السعادة المشتركة

ومع بيان حق الروح والولد أنان الشيخ حق الله ووطن بدل المال في مصالح الأمة، وتحلوا بمصلحة الصبر في النساء والصراء، وبشر لنسج اية الدين والرهق، ثم تناول الشيخ حديث سورة آل عمران عن عروة أحد، ثم بش ل سقع واللمع في ثوب أخلاق، موصفا طول الطريق عن محي الظهر والجمال الخلفي حين يتعهدون هذه البقع واللمع بالبرالة واتسعية واحدة بعد واحدة

#### وفي القسم الخامس تقدم نوراً من سورة المائدة

وفيه يتحدث الشيخ عن مفاتيح الكيمان في وضع لشريعت الإلهية، وأنوسائل لتتفحص للعرثم، وتفسير اية القسط، والتي هي خلاصة اندسور الإسلامي، ويتحدث حول عمائب الطباع، ومعارفات الأخلاق، ويشرح معنى الإحسان

وفي القسم السادس (أنوار من السور) في هذا القسم يتناول الشيخ في ظلال سورة الأفعال الفصل في القصايا بين المسلمين وغير المسلمين، وعتقاد المسلمين سياسة الاستعداد للبراء العدوان.

وفي ظلال سورة التحل بين مقاصد الدعوة المحمدية في مكة.

وفي ظلال سورة يس بشرح أصول العقيدة الإسلامية.

وفي ظلال سورة عامر يعرض قصية الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر وفي ظلال سورة القمر يحذر الأمة ببيان الإبدارات الثلاث وعاقبة الإعراض من الشؤر.

وفي ظلال سورة الواقعة يبين أحوال الشاة الآخرة، وعرض مواطن البعرة من شؤون الحياة الحاضرة.

#### القسم السابع تفسيره سورة الملك

فيقول عن هذه السورة الكريمة «هذه السورة المجيدة تتناول في شطرها الأول



من أولها إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مغفرةٌ وأخِرٌ كبيرٌ﴾ مفصدين عظيمين من مقاصد الدعوة الإسلامية وهما

١ - التعريف بالله وصفاته.

٢ - اسدب إلى حشيه، والتحدير من عاقبة الكفر به

وهكذا تنظم العقيدة بطريقتها الإيمانية بالله، والإيمان باليوم الآخر عن أن هذين الأصلين يرجعان عند التحقيق إلى أصل واحد هو التعريف بالله مُتَبَيَّنًا ومُعَيَّنًا، مُعْطِيًا وَمَسْتَعًا، مرعونا ومرهونا، ثم تعود السورة في شطرها الثاني من قوله تعالى ﴿وَسِرُّهُ مَوْجِئَةٌ أَوْ كَهْرُومَةٌ﴾ إلى آخر السورة تناول هذين المعنيين أنهما بهذا الترتيب نفسه ولكن في لون جديد.

#### القسم الثامن سورة القلم

بعد أن بشر لنا الأستاذ الكبير سورة الملك، وبشى حديثها عن الله ببارك اسمه وعن مصير الكافرين به. تناول تفسير سورة لقمة وبشى حديثها عن الرسول ﷺ وعن حال المكذبين له، فيمهل في آيات السبع الأولى من سورة القلم تطيب لقلب لرسول ﷺ تبرته من تهمة الشتم واحسون النبي رماها بها المكذبون، وشهادة له من الله به هو في الطرف الأقصى من هذه لهمة، ألا وهو علمه الراجح وحُلفه العظيم

وفي آيات التسع بعدها إلزام للنبي ﷺ بالثبات على طريقه المستقيم، وتبرير له من الركوع، ولو قليلاً إلى دعوة المبطلين، وكيف يركن إليهم وفيهم ما فيهم من مثالب الأخلاق وسفاسف الطباع؟

ثم كيف يهجم تكذيبهم له وهم لم يصلحوا في هذا التكذيب عن عقل ورؤية، وأما هو بطر الغنى وفتنة المال والبنين؟

وفي الآيات الإحدى عشرة التي بعدها استخلاص للعبارة من هذه القصص، بتطبيقها على قرش، تهليداً هم بتحول ما هم فيه من يسر ورعدة إلى محط ومجاعة، ثم قطعاً لطمعهم الكاذب في أنهم إن نُعْثُوا يوم القيامة فسوف تكون حاجهم في

لآخره كحالهم في الدنيا أو خيراً منها.

وفي آيات السمع الآخره تعود اسوره الكريمة إلى مثل ما بُدئت به توجيهاً للرسول ﷺ في شأن أمته، وثبت له على منهجه السوي، وترثته له ولكتابه من كل عيب ورين.

### القسم التاسع تفسير سورة النبأ

ويأتي تفسيره لهذه السورة الكريمة إبداعاً من إبداعاته، وإشراقاً من إشراقاته، وميضاً من ميوصلاته؛ فيبدأ بتمهيد موحٍ يؤكد فيه أن ميلاد الدعوة المحمدية صدمة قوية يعقول أشركين، مثار لدهشتهم وعجبهم منها ومن كل شيء فيها، عجبوا من محمد أنه رسول الله إليهم، وأن الملائكة تحينه بحبر السماء

وعجبوا من ثورته على دين قومه، ودعوته إلى نحو صوره، وكان من أكبر عجبهم حديثه عن الشاة الآخرة، وإعلانه أن الناس مبعوثون بعد موتهم محريون على أعمالهم.

براء هذه التحطبات الفكرية أمر الله سورة السأ تعجماً وتهويماً من نحوضهم، وإكباراً وتهديداً للشأن الذي يخصون فيه، وتلك هي عبرة السورة وممرها. والنتيجة لمطقية التي تنتهي إليها مقدماتها، أنبأنا السورة بسنها العظيم عن يوم البعث، ثم بسطت لنا دلائله وشواهد، ثم جعلته هو يوم الفصل وتقرير المصير، ثم صوّرت هذا المصير الأخير في صورتيه المتقابلتين:

نعيمٌ حالصٌ دائمٌ، أو شقاءٌ خالصٌ دائمٌ، فإذا كان هذا هو شأن ذلك اليوم، فهو وحده اليوم الحق، وكل الأيام بالقياس إليه سراب باطل، وطل رائل، ما أقصر أيام الدنيا إذا ولو طال، وما أروع لدائنها وآلامها وإن عظمت، فالعاقل الحذر، البعيد الطر، هو الذي يعمل هذا اليوم الأكبر ﴿فَسِ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَثَاباً﴾

استعد للقاءه، وتأهب لحسن القدوم عليه.

فتروذ براد الإيمان، وتحلّ بلباس التقوى، وما أروع الأستاذ الكبير حين بلغت

أطوار وفتح أنصار إلى رحمته الله الواسعة حين يحتم تفسير لسورة الكريمة هذا  
توجيه فيقول «وهما تنوجه الرحمة الإلهية إلى الناس جميعاً، فتبث إليهم مدارها  
الآخيرة بعد انتظار، وذلك ليقل منهم المذنب، ويجد المقصّر، ويُصعق السيء عن  
إساءته، ويردد الخس من إحسانه، وتسمى الآيات هذا العذاب قريباً وإن كان  
العقل يراه بعيداً. ذلك لأن كل طويل عند النهاية يتقاصر، وكل بعيد عند بلوغ  
أحده يتقارب ﴿أَقْرَبَتْ مِنْ تَحْتِهَا مِيزَانٌ ﴿٢٥﴾ قَدْ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا تُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ مَا أَنتُمْ  
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَثَرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة: ٢٠٥ - ٢٠٧]

يومئذ ينسى سابق النعيم، ويخطوي مديد زمانه، ويرى الناس ما مضى عنه كآله  
فترة أحلام ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ﴾.  
ذلك يوم ينظر المرء ما قدمت يداه...  
يوم يقرأ كل امرئ كتاب عمله، ويحاسب كل امرئ نفسه

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ هَاسِكٌ مُنْحَسِرًا مُتَدَمِّمًا ﴿١٠٠﴾ يَلْبِثُنِي كُتُبٌ ثُرْبًا﴾ يتمنى لو كان قد بقي  
في الدنيا تراثاً، ولم يُخلق إنساناً، أو يود لو أنه بعد البعث عاد تراثاً لكلا يحس هو  
ما يرى، وشدة ما يلقى، فهل بقيت على الله حجة؟ لقد أعذر من أندر  
القسم العاشر سورة التكوين.

يمهد الدكتور درار لتفسير هذه السورة بالربط بينها وبين سورة الباء بقوله: كان  
حتم السورة السابقة سورة الباء إندازاً شديداً بيوم أوله فرج، يفر المرء فيه من أقرب  
لناس إليه، وآخره إما مرة تبيض منها وجوه، وإما حسرة تكفه منها وجوه.  
وكان من شأن هذا الإنداز المردوح أن يشير سؤالاً مردوحاً عن كنه الحادث  
الحلل، الذي يُورث أساس هذا الذهول عند الصدمة الأولى، وسؤالاً عن سر هذا  
الفرج أو الحزن البادي على الوجوه بعد ذلك

فجاء صدر سورة التكوين عن هذين السؤالين في جملة واحدة تألف من أربع

عشرة آية قصيرة

ثم تأتي الآيات من (١٥ - ١٩) بصروب من البيان والتقرير من شأنها أن ترد إلى النفوس طمأنينتها ونعمتها به، وأن يريح عنها عبء الأرباب فيه ويبين لشيع مطوف الشهادة في قوله سبحانه: ﴿يَنْتَظِرُونَ رَسُولَ كَرِيمٍ﴾

أنه ليست شهادة محملة مجردة ولكنها شهادة مفصلة مرهنة تشهد لرسول الملكي الكريم حنبل عليه السلام بحمسن حصان (لكرم، والقوة، والمكانة، والرياسة المطاعة في الملأ لأعنى، وأحياناً الأمانة)

وتتعل الآيات الكريمة إلى الحلقة الثانية من سلسلة الذهب أعني لرسول الشري محمد بن عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام فتشهد له بأربع حلال العقل والنسب ولأمانة والشره عن الأعراض العاجنة، ويؤكد الدكتور دراز في تفسيره هذه السورة أن محمد ﷺ اجتمع له الكمال الداني كله، سلامة العقل، وصفاء الخس، واستقامة الحق ومرهنة الصمير وعلم اليقين، ويبين أن آيات السورة تترقى في تشويه بشأن هذا الوحي القرآني، فلا تكفي بأنه حق صادر عن حق، بل تشيد هدايته اشاعة، ورسالته العالمية ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَكْرٌ يُخَيَّبُ﴾ (١٧) تذكره لخلق أحمين

ويجتم الدكتور دراز تفسير السورة بقوله: «تناولت السورة إلى هذا الحد ركبن عظيمين من أركان الإيمان، وكن البعث وركن الرسالة، ولكنها لا تريد أن تودع القارئ قس أن ترقى به إلى الحقيقة الثالثة الكبرى عمدة الألوهية العظمى، فهي هي دي جمعها ملك الختام ونحيي بها في أمس أوقات الحاجة إليها.

ذلك أن تعليق الانتفاع باندكر على مشيئة من شاء ما أن يستقيم، كان ربما يوحى إلى النفوس شيئاً من الغرور، فتعجب أن أمرها كله موكول إليها، وإن ها الخيرة كل الخيرة في سلوك سبيل التقوى وسبيل العجور، ولو مراعاة لمشيئة الله قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ حقيقة ناصعة لا يكابر فيها أحد ممن يؤمن بالله ولا يشرك به شيئاً.

ومهما تختلف وجهات النظر في مسألة القضاء والقدر، ومهما يأخذ بأوسع

معاني الحرية الممنوحة للإنسان، فإنه لا مفر من التسليم بأن مشيئة العبد تدعته لمشينة الرب، وإن هذه شعبية مظاهر كثيرة إيجابية وسلبية، وأدى هذه المظاهر تتمثل في أن رادتنا لا تركز إلى فعل أو ترك دون أن يمكن الله لها من هذا اركون ويجلي لها طريقه، وأنه لا بعض أن تسلك مسلكها كماخا وعلائا لمشينة الله. ولا لاقلت أوصاع العبودية والربوبية، فصدق الله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

القسم الحادي عشر «من وصايا لقرآن» «وثبات فقطرة»

فهي أروع روائع الأستاذ العلامة في التفسير فيما أرى، في هذه لمجموعة الشبهة عشرة التي أداها لشبح محمد عبد الله درار

وكان من الممكن أن يقف الشبح درار عند هذه الآية «وثبات فقطرة» ونقطة قصيرة مكتفياً بأن المقصود طهارة اللباس الذي يوارى به أبداننا، ولكن الدكتور درار يحترق الحُجب ويعوص في أحماق النفس الإنسانية، ويرى أن النفس يحيط بها أربع طبقات، كل واحدة منها تُعدُّ ثوباً لها، أداها إلى جوهرها طعمه من الدثار طبقة السير والأعمال، ثم طبقة الية والخبث، ثم طبقة اللباس الذي يكون ذلك الخبث

ولقرآن الكريم في آياته بماشدا أن يحرس على طهارة الطبقات الأربع جميعاً ﴿وَدَرُّوا عَلَيْهِمْ أَلْفَ تَرْتِيلَةٍ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ﴾، ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِدَّ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، غير أنه لما كانت عباية لقرآن دائي بالجوهر والمخبر أشد منها بالصورة والمظهر كان الهدف الأول هو اخبات الروحي الخلفي، جانب اسيرة والسريرة، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والسلف الصالح.

هكذا يمضي الدكتور درار في أحاديثه مفصلاً ما أحل، وشارحاً ما دق وخفي، حتى تخرج النفس بعد هذا الشرح المستفيض، طهرة نقية، وبيصاء ركية، وقد هُبيت إلى صراط مستقيم لا ترى فيه انحرافاً ولا عوجاً، بلا إهراط أو تفريط<sup>(١)</sup>

\*\*\*

(١) شيخ صالح عشماوي، من تقديمه لهذه المجموعة عام ١٩٧٨م، طعة دار الأضواء



# القسم الأول

## تفسير فاتحة الكتاب

### «دستور الدستور»

١ - كلمة من تفسير محمد عبد الله دراز لفاتحة الكتاب.

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي.

٢ - مقاصد سورة الفاتحة ... ومدى احتوائها على المقاصد الكلية للقرآن الكريم.

- المقصد الثفري «معرفة الله» - ثفرياً وعملياً.

- الجانب الإنساني ثفرياً وعملياً.

٣ - مقارنة بين أسلوب الخطاب في الفاتحة، وأسلوب الخطاب في القرآن.





## كلمة للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي (١)

الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية

نقد قرأت تفسيراً لمناحة الكتاب كتبه الدكتور محمد عبد الله درر، فأعجبي أن أجد من حسن الاستساط، ودقة التحليل، وبراعة التحيل ما جعلني أطالع الحديد حذاً، ومناحة الكتاب معروفة مشروحة، وقد فسر لها آلاف الشارحين في القديم والحديث، وأكثرهم بعلّة خبيطة يتداولون ما يقرأون، ونكس الرجل المستكر، يلقي بظرة وراء السطوح الخارجية ليرى في العنكب المستكة ما عاب عن سواه، حين نظر بلسورة لكريمة من جهة مقاصدها، ومن وجهة خطابها؛ لأن المناحة في رأيه تُوجر المقاصد الأساسية التي عدها القرآن، إذ تتضمن مقصدين بطريين هما: معرفة الحق ومعرفة الخير، كما تتضمن مقصدين عمديين هما: تقديس الحق، والالتزام بالخير، أما قوله تعالى ﴿لَمَسَّ نَفْسَ الْمَسْكِينِ﴾ ﴿الزُّمَرِ ١٠﴾ فيدبر في صدره ثلاثاً انتظمت أركان العقيدة لقرآنيه الثلاث، من حيث المبدأ، فالوسطة المأمدة، عرب العالمين هو المبدأ، والرحمن الرحيم هو مصدر الرحمة في الحياة، ومالك يوم الدين هو صاحب الأمر النهائي عند الحساب، فإذا كان الله وحده هو الذي أعطى كل شيء خلقه وتعهده بالإمداد حتى بلغ مداه، وإذا كان هو الذي يملك حرائر الرحمة في السماوات والأرض يصاعفها كيف يشاء، وإذا كان بيده فصل القضاء وتقرير المصير، فأني شيء أحق منه بسعوت الحياة والخلال، بل أي شيء غيره يستحق الحمد والشاء، والشيعة الطبيعية لذلك أن يصمحل في عينك كل ما ترى في الوجود من مظاهر رائمة، وأن تهتف في أعماقتك

(١) يقب هذه الكلمة لأستاذنا الحبيب من كتابه «نهضة الإسلام في سيرة أعلامها المعاصرين» الجزء

الخامس - طبع بمجمع البحوث الإسلامية (١٤٠٨ - ١٩٨٧م)

متجهًا إلى ربك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ٥]

بعد أولاً مؤدي واجبا، وستعين ثانياً مطالب بحقوق، وهذا هو الحجاب الإلهي بطريقته وعملته.

أما الحجاب الإنساني فتضمن المنهجين نظريًا وعمليًا، تضمنته السورة في كنهين هما ﴿لَنَضُرَّكَ أَلْسُنَ قَوْمٍ﴾ [الفاتحة ١٦]

ثم وصفته بأنه الطريق الموصل إلى رضوان الله، وأشارت إلى مثله التاريخية في سيرة ﴿أَلَيْسَ أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة ١٧]

ثم وضعت معيارًا لأنواع العرق المحرفة؛ فبيّنت أن الانحراف على ضربين، انحراف عن علم، وهو انحراف: ﴿أَلَمْ نُضَبِّهِمْ غُلَّتْهُمْ﴾ [الفاتحة ٧]، وانحراف عن جهل وصيش، وهو انحراف ﴿أَلَمْ نَأْتِ بِكَ﴾.

يقول الدكتور دراز: «إن سورة الفاتحة هي السورة الوحيدة التي وضعت أول الأمر لا على حساب الربوبية العليا، ولكن على لسان الشريعة المؤمنة تعبيرًا عن حركة نفسية جماعية متطلعة إلى السماء، بينما سائر السور تعبر عن الحركة المقابلة، حركة الرحمة المرسلة من السماء إلى الأرض، وهكذا حين سطر إلى القرآن في جمته براه يتمثل أمامنا في صورة مساجاة ثنائية الفاتحة أحد طرفيها، وسائر القرآن من طرفها الآخر، الفاتحة سؤال وباقي القرآن جواب، الفاتحة هي طلب الهدى، والباقي هو الهدى المطلوب.

هذه خلاصة -غير دقيقة- لا تعني عن صفحات رائعة كتبها الدكتور دراز في تفسير الفاتحة، لأن مقالاً علمياً للدكتور دراز يتضمن تفسير الفاتحة، لا يقوم باحتوائه تلخيص ما، فالمقال العلمي لدى الكاتب البصير لبيانات متعاقبة يسد بعضها بعضاً، وتقديم بعض البيانات دون بعض عرص للوع فقط، وهو عرص لا يهي بالأصل المرصود، وهبك قرأت قصة مية في صفحات أمتستطيع بتحصيلها

دون أن نُحلَّ بسننها العتي، كذلك المقال العلمي التحليلي لا يلخص، لا ليد عن المثال، لا لأن يعبر عن حقيقة المقال.

لقد عاش الدكتور محمد عبد الله درار حياته مؤمناً بمفكرًا، وقد ورث عن والده شعفه بكتاب الله، فأخذ عنه ضرورة التلاوة لسنة أجراء منه كل يوم، وقراءة مفكر منه هذا الجزء اليومي، لا بد أن نفتح عليه بها بصيرة، ويمده بأوفر الراد الشهي لدنك كانت محاضراته في تفسير القرآن الكريم بكنية اللغة العربية مهوى بطلاب جميعًا، وأكثرهم كان يترك المحاضرات في المواد المختلفة ليسعى إلى دروس درار في التفسير، ومع أنه كان يشرح للطلاب تفسير الكشاف، فإن توله لهذا التفسير كان يجعله شيئًا آخر غير المظور في الصفحات، وكم كن رائعًا أن يتوجه الدكتور درار لأداء سجود التلاوة عند ماسته، وأن يعلم طلابه دنك فيتسلحوا بالنوصوء قبل اندرس ليسجدوا لله طائعين.

لقد كان الدكتور درار بقطًا مختارًا، عرفه الناس بتعددته العلمي مؤلفًا ومحاضرًا وأستاذًا، كما عرفوه بربيه القوي، مسلمًا رقيق العاطفة قوي البقي، وترك القارئ يطالع هذه الصفحات من لتفسير، فهي نظرات عالم كبير تمكن حب القرآن من عقله وقبه فجاء بالجديد العريف، أ.هـ.

أ. د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية

\*\*\*

## المبحث الأول

### نظرات في فاتحة الكتاب الحكيم<sup>(١)</sup>



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿الْفَاتِحَةُ ١-٧﴾.

خير ما تفتح به الأعمال، وتُسبح به المقاصد، الوجه إلى الله العلي القدير، ثناء عبده بما هو أهله و ستمداً للمعمورة من قوته، واستلهاً للمرشد من هديته.. وتلك هي المخطوط البارزة في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾ ثناء على الله . ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٢﴾ ستعانة بالله. ﴿اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٣﴾ استرشاد سور الله

عند هذه النظرة العابرة يقف أكثر الذين يتلون هذه السورة، أو الذين يستمعون إليها، ولعل كثيراً منهم لا يدركون من تسميتها بالفاتحة، لا أنها تحل المكان الأول في صدر المصحف.

ولكن هلم بنا نُلقي على هذه السورة الكريمة نظرتين أخريين نظرة في موادها ومقاصدها مقارنة بمواد القرآن ومقاصده، ونظرة في وجهة خطتها، مقارنة بوجهة الخطبات القرآني، وسجد لها بذلك شأنًا أهم وأعظم

#### مقاصد السورة

ولبدأ بالطرف في إحصاء المقاصد الكلية للقرآن الكريم، وفي مدى احتواء

(١) نشرت في مجله "المجلة"، العدد ٧ ذو الحجة ١٣٧٦ هـ - يوليه ١٩٥٧ م

## الغائجة على هذه المقاصد

فاشؤون اسي باوها الفرائ، على نوعها وكثرها، يستطيع أن تُجمعه في أربعة مقاصد، هي في الحقيقة كل مطالب الدين والفلسفة و لأحلاق؛ مقصدان بطريين: هما معرفة الحق، ومعرفة الخير، ومقصدان عمديان ثمرهما هاتان المعرفة إذا قُدِّرَ لهما أن تُثمر، فثمره معرفة الحق هي تعديس الحق واعتاقه، وثمره معرفة الخير هي فعل الخير والتزامه.

## المقصد النظري. معرفة الله تعالى

فالمقصد النظري الأساسي للقرآن الحكيم هو تعريفنا بالحقيقة العليا، صعودنا إليها على معراج من الحقائق الأخرى فهو يعرفنا بالله وصماته عن طريق توحيه أنظارنا إلى آياته في ملكوت السماوات والأرض؛ في خلق الإنسان والحيوان والنبات، في سير الشمس والقمر والنجوم، في تكوين السحاب، في تسخير الطير، في تصرف الرياح، في ظاهري الحياة والموت، وفي سائر نطوهر النفسية والكوية الخارجة عن إرادتنا، وعن إرادة الكائنات كلها، والتي لا يستطيع العقل السليم أن يفتر وجودها، ولا بقاءها ولا تناسقها وتماسكها ووحدة نظامها، لا بوجود قوة عاقلة مدبرة حكيمة، تقصص على زمام الأمر كله، وتوجه العالم كله على هذا السحر الموحّد المعين، المختلف المؤتلف دون ملايين الملايين من الأوضاع الممكنة التي لا بد لها من أن تتناوب على الكون في كل لحظة لو ترك أمره لمحض المصادفة والاتفاق، أو لو ترك أمره لقوة عمياء صماء طائشة، لا عقل لها، أو لقوة محربة مدمرة لا رحمة لها، أو لقوة عابثة لاهية لاعبة لا هدف لها.

والمرآن حين يربا صبح الله في ملكوته لا يقف باعد هذه اللوحة العالمية في صورها الحاصرة، ولكنه يوجه نظرنا إلى طرفي الرمان الكوني، يبطلنا على صورة العالم في ماضيه وفي مستقبله، في بدايته وفي نهايته، كما يوجه نظرنا إلى طرفي الرمان الإنساني فيرىنا صورة من صبح الله في الأفراد والأمم في ماضيها وفي مستقبلها

القريب والبعيد في إسعادها وإشفاقها، في إيفائها وإمانتها، في ثبوتها وعقوبتها

هذه النظرة الشاملة إلى صبح الله في النفس والأدي، وهذه المعرفة بالله في مطهري عدله ومصلحه، في صفتي حلاله وحلاله إذا وقعت موقعها من النص نفاستها حتى أن تتحد لها موقفاً عملياً تجاه هذه الحقيقة المقدسة العليا، وما ذلك إلا موقف التوقير والخشوع أمام هذا العدل والحلال، وموقف الولاء والحب أمام هذا الفصل والجمال، فمن عرف الله حشمت له نفسه، واطمأن له نفسه. وذلك هو روح العبادة وجوهرها، الخشوع التام عن طوع وإختيار، وعن رضى ومحنة.

إذا كان هذا الأصل النظري الأول هو معرفة الله، فالأصل العملي الأول الذي يثمره هذا الأصل هو توقير الله. ومن جملة هذين الأصلين يتألف الجانب الإلهي بمصريه النظري والعمل.. والقرآن يفصله تفصيلاً، وسورة المائدة إجمالاً في شطره الأول ﴿تَعْبُدُونِي أَنعْبُدْكُمْ﴾ الركني الرابع ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الْيَهُودَ﴾. وهذه هي المعرفة الأساسية. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، وهذا هو الموقف العمل الذي يثمره تلك المعرفة.

وقبل أن نتقل إلى الجانب الإنساني، الذي يتناوله الشطر الثاني من السورة، يجمل أن نقف وقفة يسيرة أمام هذه الحقائق الدرية التي يتألف منها هذا الجناح الأول من السورة لكي تتمتع عقولنا وقلوبنا بتدقيق معانيها، واجتلاء حمل مواقعها، ولبدأ هذه الصفات الحسنى ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ تلك بقرن الثلاث انتظمت أركان العقيدة القرآنية الثلاثة في ترتيب بالغ العناية في الإبداع والإحكام. المبدأ، فالواسطة، فالمعاد.. الوحيد، فالسوء، فالخراج ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ ليس إله قبيلة أو شعب أو إله حبر أو شر، أو إله نور أو ظلام محض، ولكن رب كل شيء. مآرته ومصوره، منقلبه في أطواره، مبلغه وعاقبته، محله بحاجاته، مبتليه أو معافيه، وبالحملة مربي كل شيء بأنواع التربية الظاهرة والباطنة،

هذا هو التوحيد الخالص، وهذا هو ركن المبدأ ﴿الرحمن الرحيم﴾

ليس رحمةً رحيمًا محسب، ولكنه هو الرحمن الرحيم، ليس واحدًا من جملة الراحين ولكنه هو المصدر الوحيد للرحمة ثم هو ليس ذو رحمة واحدة، ولكنها رحمتان معبرتان في لفران رحمة وسعت كل شيء، ورحمة يختص بها من نشاء؛ والرحمة الأولى وسعت الإنسانية جمعها، لا أقول وسعتها بعمه الوجود والحياة ولررق المادي محسب، ولا أقول وسعتها بعمه اهدية المطرية وكفى، ولكن بعمه اهدية السوية نفسها وذلك بإرسال الرسل إلى كل الأمم ﴿وَعَزَّيْنَاهُ بِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النس ٣٦]، ﴿وَمَنْ أَمَّةٍ إِلَّا جَاءَهَا بَيِّنَاتٌ﴾ [طبر ٢١] هذه هي الرحمة الأولى؛ الرحمة الأساسية العامة، التي هو بها «رحمن» بمعنى الخرائن بالرحمة، بسطة اليدين بالعمه ﴿وَمَاتَحْكَمْ قَبْلَ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾

(إبراهيم ٢١).

ورحمة أخرى خصوصية إضافية، علاوة يمسحها لمن يستحقها، تلك هي رحمة الاصطماء والاجتماع، والقيادة والإمامة والتوفيق والرشاد، والمريد من العصل ﴿اللَّهُ يَضْطَمِي مِنْ أَلْفِهِكُمْ رُسُلًا وَمِنْ أَلْفِهِكُمْ حُكَّاءٌ﴾ [الحج ٧٥]. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَفْعَلُ﴾ [الأنعام ١١٢] ﴿اللَّهُ يَخْتِمْ إِلَيْهِ مَنْ نَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [التورى ١٣] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادْنَاهُمْ هُدًى﴾ [محمد ١٧] ﴿يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ [طبر ١] ﴿يَبْلُطُ الرِّزْقُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [التورى ١٢] وهذه هي الرحمة التي هو بها رحيم، على هاتين الرحمتين يقوم ركن السوات فهو رحمة عامة للمرسل إليهم ورحمة خاصة للمرسلين، ومن هتدى هديهم ولهذا هو الواسطة بين المبدأ والمعاد. ﴿مَنْ يَزِدْكَ الْيُسْرَى﴾ إليه وحده ترجع الأمور وبينه تقرير المصير الأخير، يقف الخلق جميعًا بين يديه مسؤولين، هديهم ويحريمهم بما كانوا يعملون. وهذا هو الركن الثالث والأخير؛ ركن المعاد والآخر.

عرفنا الآن معنى هذه الصفات الثلاث ومواقعها في سبيلنا فسطر إلى موقعها  
في حوضها، لنرى كيف وقعت بين قصصين، «أخذ الله» و«بك نغنى»، فكانت  
بأيدينا لما فيها، ونمهيئاً لما بعدها فسرلها من قصة احمد مرلة البرهان من  
الدعوى، وسرلها من قصة العادة مرلة القوة المحركة من الحركة المطلوبة

وفي الحق أنه إذا كان الله وحده هو الذي أعطى كل شيء خلقه، وهو الذي كمل  
كل شيء، وبعبارة بالإمداد أنا فتا حتى أبلغه مداه. وإذا كان هو وحده الذي يملك  
حرائر الرحمة والسعة كلها، وهو الذي يعق منها، وهو الذي يصاعدها لمن يشاء،  
وإذا كان هو وحده الذي يبدء فصل القصص، وتقرير النصير، فأى شيء أحق به  
سعون الجلال والجلال؟ بل أى شيء غيره يستحق هذا الشاء والإجلال؟ الحمد  
والثناء كله حق مستحق خالص مخلص لله . تلك إذا قصبه معاً برهانها.

هذا البرهان الاستقرائي، الذي يستقضي مظهر العظمة والرحمة كلها في  
الأرمة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، فيحصرها في الله، هو في الوقت نفسه  
قوة دامة تأخذ بأفطار نفسك ونوجهك إلى عبة معينة عملية، فإن نظرة إلى  
ماصيك وقد أتى عليك حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً فتعهدك الخلاق في  
مختلف أطوارك حتى بلغت أشدك وأصبحت سميقاً بصيراً حصيماً ميباً مستأهلاً  
لخلافة الأرض، لا بد أن تقاصاك حق الاعتراف له بالفضل والجميل، قيات  
بواجب الرضاء، ونظرة إلى حاصرك وإلى مستقبلك القريب وأنت تنقب كل آيا في  
رحمتك، وتطمع كل آن في المرید من نعمته، لا شك تثير فيك بحوة باعثة الحب  
والرجاء ونظرة إلى مستقبلك البعيد وأنت واقف أمامه في ساحة القصص، وقد علق  
مصيرك في كفتي ميزانه، لا بد أن تسعث في روعك مريخاً من الرعة والرهة  
والاستحياء.

مادام يكون موقفك إذاً من هذه الخليفة المحيطة العامرة، وأنت كلها انتهت إلى



أمسك أو إلى يومك أو إلى عدك لم تر إلا يد جلالها أو يد حماها؟!

الشحنة لطبيعية التي لا تستطيع دفعها عن نفسك بعد هذه المقدمات الثلاث، هي أن نضمحل في حيث كل ما ترى في الوجود من مظاهر رائعة وظواهر رائعة، وأن ترتفع فوق العالم كله بهمتك، وأن تتحول كل رعتك ورميك إلى هد لمسح الأول والوحيد لكن قوه ورحمة، وهناك لا يسمعك إلا أن ينطق لسانك في حب حاشع قائلاً أيها الحق الخدمع المانع لك كلي، لك صلاتي وسكبي، ولك عجايب ويمني، إليك أعود، ولك وحدك أركع وأسجد. على أنك لو كنت أوسع أفقاً، وأبسط قلباً، لوجدت نفسك لست وحيداً في هذا الموقف، ولرايت العالم كله حولك راكعاً ساجداً أمام هذه العظمة الدهرة. لا تقل إذاً إليك أعود، ولكن قل: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾، وهذه هي النتيجة الحقيقية التي أعلنها القرآن الحكيم: ﴿إِيَّاكَ مَعْبُودٌ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ﴾، لا تعبد إلا إياك، ولا تستعين إلا إياك!

ماذا أقول؟ لا تستعين إلا بك! إي لا أكاد أسمع من يهمل في أدني مهمت يقول بي، أما ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾، فقد فقهاها، وأما ﴿وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ﴾، فهي النفس مهاشيء، إذ من ذا الذي يطبق هذا الاستغناء التكلي عن معونة الخلق؟ أليس الناس كلهم يعين بعضهم بعضاً، ويستعين بعضهم بعض، ليس التعاون هو أساس الحياة؟ أليس القرآن نفسه يقول: ﴿وَتَعَوَّزُوا عَلَى الْيَزِّ وَاتَّقُوا﴾ (نائدة ٢).

بي أنا أستعين بك، وأنت تستعين بي، ولكننا كأمة، وناس ولعلم أجمع بمن يستعين وراء طاقاتها المحدودة، وحيلها المحدودة؟ ثم إي حين أستعين بك وتستعين بي، فمن ذا الذي يبعث الناعثة في قلبك لمعونتي وفي قلبي لمعونتك؟ ومن ذا يسر لي ولك وسائل هذه المعونة ومن ذا الذي يُججج هذه المعونة ويؤتها ثمرتها؟ لله وحده في الحقيقة وفي النهاية هو المستعان.

﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ﴾، بإجماع هاتين الكلمتين بطل اشرك كنه شرك

العبادة عبر الله، وشرث الاستعانة والاستشفاع به لم يأت به الله وإحاطة هذين  
لكميتين بطلت العقائد المتطرفة كلها عقيدة آخر المحصن، الذي يكرر قدرتنا  
ومسؤولينا وبطلت عقيدته الاحتيار المحصن، الذي يدعي الاستعانة عن معونة ربنا  
فنحن نعمل ونتوكل، نعبد ونستعين

نعبد أولاً، ونستعين ثانياً، يؤدي واجب ثم يطالب بحقوقنا. ألا فليستمع  
أولئك الذين لا يباؤون يطالبون بحقوقهم، ولا يبدأون بأداء واجبهم . لا هم لم  
يتأدرو بأدب القرآن ألا فليصحيحوا موقفهم من فاتحة الكتاب، التي يرددونها في  
صلاتهم كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل.

هكذا عرفها الله بصيغته في الآفاق وفي أنفسنا، عرفها فيها صنع، وفيها يصنع  
وفيها سوف يصنع عرفها بعقولنا وفلوبنا، ثم نوجهها إليه بعرائض، وبرعاياها  
هذا الجانب الإلهي نظرياً وعملياً، يمثل نصف المهمة المرآئية، وقد رأينا كيف  
جمعت سورة الفاتحة في شطرها الأول.

غير أن الإنسان ليس كائناً روحياً محضاً، حتى تكون كل رسالته في الحياة أن  
يتأمل في صنع الله، وأن يمثل إعجاباً به، إنه كائن مردوح: عبد الله وسيد لنكون،  
إنه خليفة في الأرض، مسؤول عن عمله في خلافته، كما هو مسؤول عن موقف  
عبوديته. الله يخلق ويصنع، والإنسان يعمل ويكتسب: حياته الطبيعية تنقاصه أن  
يعمل، وحياته لنفسية تنقاصه أن يعمل، وحياته في أسرته وفي بيته وفي أمته وفي  
الأسرة الإنسانية وفي علاقته الروحية، كل هذه جميعاً تنقاصه أن يعمل.

### الجانب الإنساني: نظريته وعملية

فلنتقل إلى هذا الجانب الإنساني، إلى عمل الإنسان، هو جانب يتألف كذلك  
من عنصرين: عنصر نظري تعليمي، نرى فيه سادح الأعمال الإنسانية في مختلف  
صورها، حيلها وديميمها، حميدها وديميمها، وعنصر عملي تنفيدي، هو صدى تلك

المعرفة، وثمرة تحريكها لعرائمها.

ولسأ بالعصر النظري كيف عرض القرآن عليها صورة العمل الإنساني؟

إنه يتبع في ذلك منهجاً مردوخاً، يجمع بين القيم الذاتية والقيم العرقية للأخلاق والسلوك. منهج القيم الذاتية الذي يحاطب الضمير، يدعو إلى العفوية باسم العفوية، مصوراً ما فيها من جمال واعتدال، وينهى عن الرديلة باسم الرديلة، مبيهاً ما فيها من ذس وانحراف. ومنهج القيم العرقية الذي يحاطب العاطفة، ويرعب في الفصيلة، وينهر من الرديلة باسم المصلحة الحقيقية، وبحكم النظر إلى عواقب الأمور وآثارها في العدل والأجل، ويصرب بذلك الأمثال الكثيرة، ويقص من أجل ذلك السير التاريخية في مختلف العصور.

والعجيب من شأن سورة العنكب أنها على فرط إيجازها قد انتظمت منهجين جميعاً في كلمتين. ذلك أنها حين حثت إليها طريق العفيلة بيّنت لنا أولاً قيمته الذاتية، بوصفته بالاعتدال والاستقامة ﴿صِرْطَ السَّبِيحِ﴾ ثم بيّنت ما في عاقته من نفع وحدوى، بوصفته بأنه الطريق المؤصل إلى رضوان الله وبعمه، وأشارت في الوقت نفسه إلى مثله التاريخية في سيرة أهله الذين نصوا أنفسهم لتقديم الحسة ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ من البيبين والصدّيقين وأشهداء والصالحين.

ثم م تكتب بذلك بل وصفت معياراً لأنواع الطرق لمحرفة، فيب أن الانحراف على ضربين؛ انحراف عن قصد وعلم، عداً واستكباراً، واتباعاً للهوى، وهذا هو طريق ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذين رأوا سبيل الرشده فلم يتحدوه سبيلاً، ورأوا سبيل انمي فاتحدوه سبيلاً؛ وانحراف عن جهل وطيش، وهذا هو طريق ﴿الضَّالِّينَ﴾ الذين لا يترقبون عند الشك، بل يقتفون ما ليس لهم به علم، فيخطئون خط عشو، دون تثبّت ولا تبشّر، لا ريب أن كلا لصريين مدموم، وإن كان بعضهما أسوأ من بعض؛ العالم المحرف مأرور، والجاهل المحرف غير معذور.



والعالم المستقيم هو المبرور المأجور.

هذه المشارب الثلاثة محد دائيًا أمثلتها في الناس، لا في الخلق ولسلوك  
فحسب، بل في كل شأن من الشؤون في الاعتقاد والرأي والتعليم والإحسان  
والنماء والحكم، والقضاء وهكذا جاء في الحكمة النبوية أقاصي في الحجة وقاصي  
في السار: فالقاصي الذي في الحجة رحل عرف الحق فقصى به، واللدان في النار رحل  
عرف الحق فقصى بخلافه، ورجل قصى للناس على جهل<sup>(١)</sup>

من استحكمت معرفته هذا الأصل النظري، وتبينت له مسالك الهدى  
والاستقامة، ومشارب الاغوجاج والصلالة، مادا يكون موقفه العلمي منها.

لا ريب أن العاقل الرشيد يلتمس من هذه الطرق أقومها، ويطلب أسهمها،  
ويتوجه بعريمته إلى أحسنها وهذا الانتماس والطلب والتوجه هو الذي ترجمته لنا  
سورة الفاتحة في كلمة واحدة «**اهدنا الصراط المستقيم**»!

وهكذا يرى السورة الكريمة قد انتظمت فيها المقاصد القرآنية الأربعة الجانِب  
الإلهي نظريًا وعمليًا، والجانِب الإنساني نظريه وعمليه... كل ذلك في أوجز عبارة  
وأحكم نسق.

سورة الفاتحة إذن هي خريطة القرآن وفهرست مواده، إنها جوهرة القرآن  
ونواته ولب لبابه فهي بحق «أم القرآن».

كاست هذه هي النظرة الأولى، قارئًا فيها بين مواد الفاتحة ومواد القرآن.

ورقيت نظرة ثانية مريضة، نقرر فيها بين أسلوب الخطاب في الفاتحة، وأسلوب

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأقسام، باب في القاصي بطن، الحديث رقم (٣٥٧٣)، وأخرجه ابن  
ماجه، كتاب الأحكام، باب «الحاكم بمنهج مصيب الحق» (٣، ٩٣)، حديث رقم (٢٣١٥) عن  
بريدة رضي الله عنه، ولفظه «القصة ثلاثة أثنان في النار وواحد في الجنة، رحل عم الحق فقصى به  
فهو في الجنة، ورحل قصى للناس على جهل فهو في النار، ورحل حار في الحكم فهو في النار»

الخطاب في القرآن - ماذا يرى في هذين الأسلوبين؟

### مقارنة بين أسلوب الخطاب في الفاتحة والقرآن:

نرى اتجاهين مختلفين قدم الاختلاف - سورة الفاتحة هي السورة الوحيدة، لم يوصفت أول الأمر لا على لسان الربوبية العليا، ولكن على لسان البشرية المؤمنة، تعبيراً عن حركة جمعية جماعية متطلعة إلى السماء، سيما سائر السور نعتت عن الحركة المقابلة، حركة الرحمة المرسنة من السماء إلى الأرض وهكذا حين نظر إلى القرآن في جمته براه يتمثل أمامنا في صورة ماجة ثانية، الفاتحة أحد طرفيها، وسائر لقرآن طرفها الآخر؛ الفاتحة سؤال، وبقي القرآن جواب؛ الفاتحة هي طلب الهدى، والباقي هو الهدى المطلوب.

فنفذ هذه النظرة إلى هاتينها، فإنها ستعود إلينا بحصيلة ثمينة من اجتر العبيسة.

أول ما يلتقطه من هذه الجتر أن القرآن (وهو دستور الإسلام) لو جاء بدون الفاتحة لكان دستوراً واعداً على الأمة، طرئاً عليها، يعرض نفسه عليها عرضاً، أو يسمح لما محه فليكن مع ذلك حقاً كله، وحباً كله، وهدياً كله، نكه لو لم تطلبه الأمة، ولو لم تعلن حاجتها إليه، لكان لها أن تستقبله كما تستقبل البضاعة المعروضة بغير طلب، وأن تقول له راهدة فيه لا حاجة بي إليك. أما الآن فالموقف يختلف كل الاختلاف إن موقع الفاتحة هنا موقع القرار الجماعي الذي تعلن به الأمة المؤمنة حاجتها إلى هذا الدستور وتؤكد مطالباتها به، وإن موقع القرآن كله بعد الفاتحة هو موقع القول والاستجابة لهذا المطلب فيما هو إلا أن أعلن المؤمنون مطلبهم هذا قائدين ﴿فَهِدْ لَصِرْظَ الشَّقِيهِ﴾، وإذا بالقرآن يرف إليهم هلمته وهدايته قائلاً لهم: دويكم الهدى الذي مطلوبه، فكانت أول كلمة في القرآن بعد الفاتحة هي ﴿وَبَلِّغْ﴾ ﴿تَصْحَفُكَ لَإِنَّ رَبَّكَ بِمِيقَاتِكُمْ لَقِيْلٌ﴾ [سفر ٢]، وهكذا جاءهم على ظمأ وتعطش، فكان

أنفع لعلتهم وكان أكرم في نفسه وعلى الناس من أن يتعرض للمعرضين عنه، أو أن يلزم من هم له كرهون، وكان فوق ذلك كله أقطع لحججهم ومعاديرهم في إعماله وسيانته لو أهملوه أو بسوه فيها بعد، وذلك أنه لم يلزمهم إلا بما التزموا، ولم يُجْزَهم إلا بما طلبوا، وحير الدساتير ما سمع من حاجة لأمة، وكان تحفيظاً صريحاً لمطامعها الرشيدة.

لم تكتب الأمة المؤمنة بأنها طالت هذا الدستور، ولكنها احتارت وحددت السلطة التي تقوم بوضع هذا القانون الأساسي، ونوحت بحطاب إلى هذه السلطة نفسها، وصفت في صلب قرارها على المؤهلات المعترة التي كانت سبباً في هذا الاختيار والتحديد، فلقد طلبت أن يكون هذا التشريع من عمل المشرع الأعظم الأكرم، المعروف بحبرته السمة في التربية العالمية «نَبِيٌّ مُبَارَكٌ»، ومعطاه الشامل على مطالب الرعية «أَرْشَدِي كَرِيمٌ»، ثم أعدت في صلب قرارها أن المسؤولية النهائية لجميع السلطات التنفيذية ستكون أمام هذه السلطة التشريعية العليا «نَبِيٌّ مُبَارَكٌ».

ثم لم تكتب الأمة المؤمنة بهذا كله، بل إنها وصفت الإضرار الذي يلزم أن يقع هذا التشريع في داخل حدوده، ورسمت المبدئ الأساسية التي يجب أن يقوم عليها، فطلبت بأن يكون تشريعاً لا يميل مع الهوى يمة أو بسرة، تشريعاً لا يقوم على فكرة المحاربة بمرء أو لطائفة أو شعب، ولكن يمثل لعدل الصارم، والصرط المستقيم.

وأخيراً لم تنس في وصف هذا التشريع تلك الأوصاف العامة والألقاب الكلية، بل حددت مودحه ومثاله من الواقع التاريخي، فطلبت بأن يكون من فصيلة التشريعات الفاصلة المعروفة التي جرت فائدتها، وتحقق حسن عاقبتها، شرعه الذين أجمع الله عليهم بالتوفيق والرشاد.



إذا نظرنا إلى العائجة من هذه الراوية فإنه يحق لنا أن نقول إن القرآن قد كان هو الدستور، والعائجة هي أساس الدستور.. بل لو صح هذا التعبير لقنا إننا دستور الدستور.

\*\*\*





## القسم الثاني

### التفسير الموضوعي لسورة البقرة

- ١ - سورة البقرة نموذجاً على تماسك بتيان القرآن واحكامه
- ٢ - الهدف من اختيار السورة.
- ٣ - ضرورة احكام النظر في السورة كلها.
- ٤ - القرآن وثابته بين المختلفات.
- ٥ - حسن الموقع والتجاور.
- ٦ - نظام عقد المعاني في سورة البقرة اجمالاً وتفصيلاً.
- ٧ - مقدمة السورة.
- ٨ - المقصد الأول من مقاصد السورة.
- ٩ - المقصد الثاني من مقاصد السورة.
- ١٠ - المراحل الأربع التي سلكها القرآن في دعوة بني اسرائيل.
- ١١ - المقصد الثالث من مقاصد السورة.
- ١٢ - المقصد الرابع من مقاصد السورة.
- ١٣ - الخاتمة.
- ١٤ - الخلاصة.



## التفسير الموضوعي لسورة البقرة

### سورة البقرة نموذجًا على تماسك بنيان القرآن وأحكامه

سورة البقرة هي أطول سور القرآن كافة، وهي أكثرها جمعًا للمعاني المختلفة، وهي أكثرها في لتربيل مجرمًا، وهي أعدها في هذا التنجيم تراخيًا.

تلك هي سورة البقرة التي جمعت نصيًا وثمانيًا ومائتي آية، وحوت فيها وصل إليها من أسباب نزولها بيف وثمانيين جمعًا، وكانت الفترات بين مجرمها سبع سنين عددًا<sup>(١)</sup>

### الهدف من اختيار السورة: رسم خط سيرها، وإبراز وحدة نظامها المعنوي:

اعلم أنه ليس من ههنا الآن أن نكشف لك عن جملة الوشائج المعنوية والمعوية التي تربط أجزاء هذه السورة الكريمة بعضها ببعض، فتت دراسة تعصبية ها عنها من كتب التفسير ذلك ولو شاء لأرباك في القطعة الواحدة منها أسباب ممدودة عن أيها وعن شياثلها تكتبها إلى الحار في القريب واجار اجس، في شبكة من العلاقات يحار الساطر إلى حيوطها، مع أيها يتحد؟ ولا يدري أي هو الذي قصد بالقصد الأول.

وإنما يريد أن تعرض عليك السورة عرضًا واحدًا ترسم به خط سيرها إلى غايتها، وتبرر بها وحدة نظامها المعنوي في جملتها، لكي ترى في صوء هذا البيان

(١) فيها ذكر تحويل العدة، وذكر عيام رمضان، وذكر أول فتنه وقع في الإسلام قبل منه قوله تعالى ﴿يَتَفَلَتُونَكَ إِذْ أَنْتَ أَعْيُنُهُمْ الْفِتْنَةُ يَكِيدُونَكَ إِذْ دُكِّنَ بِكَ كَذِبٌ عَظِيمٌ فِي أَوَّلِ آيَةِ السَّعَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وكل أولئك كان مرسوم في أوائل السنة لثامه من هجرة. وفيها تلك الآية الخاتمة التي نزلت في آخر السنة العاشرة من الهجرة، وهي آخر آية نزلت في القرآن بطلاق ﴿وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوهُمْ فِي دِينِكُمْ إِلَى الْقِيَامِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وفيها ما بين ذلك



فيها من حسن الخور بين لئول واللون ما يروقو وبوقه ولكنك لو مدّ بصره أبعد من ذلك إلى طرائف من نقوشها لرأى من حسن لتشاكل بين الحمدة والحمدة، ما لم يره بين الواحد والواحد، وليس له من موقع كل لون في مجموعته بوزاء كل لون في المجموعة الأخرى ما لم يتبين له من قل حتى إذا ألقى على الخلة كلها نظرة جامعة تنظم أطرافها وأوساصها بدائه من تنسق أشكافها ودقة صنعها ما هو أبهى وأهر فكذلك ينبغي أن يصنع الدطر في تدبره لعظم السورة من سور القرآن.

### القرآن وتأليفه بين الاختلافات

(وكلمة أخرى) تمسّ إليها حاجة الباحث في السق إذا أقبل على تلك لماسبت الموصوعيه بين أحراء السورة وهي أن يعلم أن الصلة بين الحرة والحرة لا تعني اتحادهم أو ثنائيلها أو تداخليلها أو ما إلى ذلك من الصلات الخيمة محب، كم طه بعض الباحثين في المناسبات، فجعل فريق منهم يذهب في محوطة هذا النوع من الاتصال مذاهب من التكلف والتعسف وفريق آخر متى لم يجد هذه الصلة من وجه قريب أسرع إلى القول بأنه في الموضع "افتصاناً محضاً جريئاً على عادة العرب في الافتصاف.

ألا إن هذا الرأي بشعبته لأوغل في الخطأ من سابقه"، وإن الأحده على علته في لقرآن بفغلة شديدة عن مستوى البلاغة التي تميزها القرآن عن سائر الكلام.

(١) بل زعم بعضهم أن الافتصاف هو الأصل في القرآن كنه، ففي السبعيني في لإتقان في بحث المسألة بين الآيات والسور عن أبي العلاء محمد بن عامر أن القرآن إنما وقع على الافتصاف سدي هو طريقه العرب من لا تعادل إلى غير ملائم وكذا نقل عن عمر الدين بن عبد السلام أن النظر في مسألة الآية لا يجس إلا في القصبة التي ركب عن سبب واحد، أنه احتجفت لأسباب فاربط بها ضرب من التكلف؛ لأن القرآن ركب في سبع وعشرين سة في أحكام مختلفة لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأسى ربط بعضه ببعض قد حالها لانة ووهوها

(٢) وهو نصيب دائرة البحث في المسببات بالتبها بين المعاني المتجاورة حمصه عدد أصيب إلى سبب انه م طريق معين في المسألة، وهو أن تكون من قبل التجانس المعنوي رافقت المسألة خيقت وحر تها؛ ولذلك أفضى هذا الرأي بأصحابه إلى أحد الطرمين المدمومين بكلف أو الخروج

فلو أن داهنا ذهب يمحو تلك انوارق الطبيعية من المعاني المحتجفة انني  
بتنظيمها القرآن في سورة منه إذا لخرده من أولى حصائصه، وهي أنه لا يسترسل في  
الحديث عن الحس الواحد امرسالاً يرده إلى الإطالة لمدة كيف وهو الحديث  
الذي لا يحل؟

ولو أنه من أجل المحافظة على استقلال هذه المعاني - ذهب بفرقها، ويقطع  
أرحامها، ويريل الندعي المعوي والنظمي من بينها، إذا لخرده من خاصته  
الأخرى، وهي أنه لا يتعل في حديثه انتقالاً ظاهرياً يخرج به إلى حد انفارقت  
الصبيانية التي تجمع شتى الأحاديث على غير نظم، والتي لا تدع نفس السامع  
تستشرف إلى احتتام كلام وافتتاح كلام. كيف وهو القول الرصين المحكم؟

كلا، بل الحديث فيه كما علمت ذو شجون ولكنه حين يجمع الأحساس  
المحتجفة لا يدعها حتى يبررها في صورة مؤتلفة، وحتى يجعل من اختلافها نفسه  
قواماً لا تلافيف. وهذا التأليف بين المحتلعات ما زال هو «العقدة» التي يطلب حلها  
في كل فن وصنعة جميلة، وهو المقياس الدقيق الذي تقاس به مراتب البراعة ودقة  
الدوق في تلك لمون والصناعات فإن تقويم السق وتعديل المراح بين الألوان  
والمناصر الكثيرة أصعب مراتب وأشد عناء منه في أجراء اللون الواحد والعنصر  
الواحد.

وعلى هذه القاعدة ترى القرآن يعتمد تارة إلى الأصداد بخور بينها، فيحرح  
بذلك محاسنها ومساوئها في أجلى مظاهرها، ويعتمد تارة أخرى إلى الأمور المختلفة  
في أنفسها من غير تضاد فيجعلها تتعاون في أحكامها بسوق بعضها إلى بعض مساق  
التظير أو التمهيد، أو الاستشهاد أو الاستنباط. أو التكميل أو الاحتراس، إلى غير  
ذلك وربما جعل امرن معين في الوقوع التاريخي، أو تجاوز شينين في الوضع  
المكاني، دعمة لافتراضها في النظم، فيحسه الخامل بأساب الروول وطبيعة المكان

حروحا وما هو بحروح، وإياها هو إجابة لحاجات النفوس التي تتداعى فيها تلك المعاني فإن لم يكن بين المعين مست ولا صهر بوجه من هذه الوجوه وبحوها، رأيته يتلطف في الانتقال من أحدهما إلى الآخر إما بحسن التحلص ولتمهيد. وإما بإمالة الصيغ التركيبية على وضع "" يتلاقى فيه المتاعدان، ويتصافح به المتساكران.

وهذه كلها وجوه حسة لو نظر إليها بين أحاد المعاني لأعنى بعضها عن بعض في إقامة النسق.

### حسن الموقع في التجاور

على أن روعة النظم القرآني كما علمت لا تقوم دائماً عن حسن التجاور بين الأحاد، بل ربما تراه قد أتم طائفة من المعاني ثم عاد إلى طائفة أخرى تقابلها، فيكون حسن الموقع في لتجاور بين الطائفتين موجبا لحسن المقابلة بين الأوائل من كل

(١) وقد يعرض في هذا الوجه الدعوي، سراز، دفعه لو مثل المرء البان عن وجه الحسن فيها لعجز عن وصفه، بل لو مثل ابن موضح الوصل بها لصعب عليه لتحديد بقاعدة علمية على أنه يرتد إلى تلك الألعاب الاصلاحية والأسئلة الفصولية وحس منه ووحدانها ثم انصت بهذه الموضع تلاوه أو استنسخ ما شعر به شيء من الخروج أو الانتفاذ به عن الدوى أو يتعثر فيه لسمع، بل يحس بهذا بروج الاتصال وحلاوة الانتقال من قبل أن يهدي ساحة محدودة أو عنه معيه ومن طالت مرأوته لأساليب الكلام وتذوقه لطعمه حتى رسحت فيه منكة التمييز بين الحيد منه والتردي. وجد من نفسه أهليه هذا الحكم، إن لم يكن على نحو من الاستدلال لمطعمي، فعلى صرب من الاستحسان العقلي. ولا سيما إن كان ممن يعيب في عروقه قطرات من الدم العربي وفي نفوسهم اثرة من حاسة العربية، فمن أخطأه وجدان هذا حسن الإحاطة في موضع ما من العرب فلا يبرح لا نفسه، ولا يعجز بالحكم من أن يأخذ أهله وليذكر دائماً أنه بمقام من يجدد نحو استنوب القرآن من استحسان أو توفيق أنها يحرم في مراعاة الدعوي من صحبه أو احلال، وما في دراسته لطعمه من نقص أو كنه. وأنه ليس بادنى انما صير من مودين أمثاله تختبر لغة القرآن، كيف وقد درج أهلها الذين سجنوا اللغته وكان فيهم الحكم الذي ترصى حكومته هذا. ولكنهم وقف عثم الشريح عن إدراك سر الخلق في بعض الأعضاء انما طية لعدم لاهد، لو طمشتهم. ومن وسع أحداً من علماء الشرح إهاب أو طبعين أن يحكموا بحلوها عن الحكمة، والمائدة؟ كلا، فوهم لما سهرتهم عجائب الصنع في مائر أجاء اسدون لم يسلمهم في القليل الذي جهلوه، لا أن يعرفوا على الجملة بأن له الة حكمه لم يكشفها انعم، ثم لا يثبت أن يكشفها لمن أعانت همة البحث وأيده التوفيق

سهما، أو بين الأواحر كذلك، لأن الأول من هذه والآخر من ذلك

وملاك الأمر في ذلك أن تنظر إلى البصام المجموعي الذي وصفت عليه سورة  
كلها كما وصيكت به من قبل ونحن ذاكرون لك الآن بمودجها منه لو وصفتها بصب  
عبيك واحديه في سائر السور لكن ذلك بغم الدليل في دراستك وبالله التوفيق

### نظام عقد المعاني في سورة البقرة إجمالاً وتفصيلاً:

اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدها من مقدمة، وأربعة مقاصد،  
وخاتمة. على هذا الترتيب.

(المقدمة) في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أن ما فيه من الهدية قد بلغ  
حدّاً من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو  
من كان في قلبه مرض.

(المقصد الأول): في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام

(المقصد الثاني) في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول  
في هذا الدين الحق.

(المقصد الثالث): في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.

(المقصد الرابع): ذكر الوارع والبارع الديني الذي يبحث عن ملازمة ذلك  
الشرائع وينهى عن مخالفتها.

(الخاتمة): في التعريف بالدين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد،  
وبيان ما يرجي لهم في آجلهم وعاجلهم

(١) عرفت في رأس البحث الأول أن نطق القرآن بطلوع كل شيء وعين بعضه، فالإشارة هنا يصح أن  
تنوجه إلى القرآن هذه، وأن تنوجه إلى سورة البقرة خاصة وقد أردت بقدها على هذا الاحتمال  
فقد «المر الكريم» «بعد تسبب» لأن الإشارة منه عن لاحتها أيضاً



## المقدمة في عشرين آية (١-٢٠):

﴿الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَ مِمَّا دُونِهِ الَّذِينَ هَؤُلَاءِ أُمَمٌ حَتَّى لَوْ عَلِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا عِلْمَهُمْ لَأَخَذُوا مِنْهُمُ الْمَخَذَ﴾ (١) ﴿لَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (٢) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (٣) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (٤) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (٥) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (٦) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (٧) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (٨) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (٩) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١٠) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١١) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١٢) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١٣) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١٤) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١٥) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١٦) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١٧) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١٨) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (١٩) ﴿وَلَا يُلَاقِيهِمْ فِي شَرِّهِمْ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَمْسِكُ إِلَهُ السَّامِ وَالْأَكْثَرِ﴾ (٢٠)

### ١- إيقاظ الأسماع وتوجيه القلوب

بدأت أسورة الكريمة بثلاثة أحرف مقطعة لا عهد للعرب بتصديرها مثلها في الإنشاء والإنشاد؛ وإياها عهدوها من القراء الكاتيين في بدء تعليمهم لسهجي الناشئين (أ. ل. م).

ومهما يكن من أمر المعنى الذي قصد إليه هذه الأحرف، واسر الذي وُضعت لها من أجله، فإن تقديمها بين يدي الخطاب مع عراة نظمها وموقعها من شأنه أن يوقظ الأسماع ويوجه القلوب لما يلي هذا الأسلوب العريب.



## ٢ التنويه بالمقصود

وألحقت بهذه الأحرف الثلاثة حمل ثلاث

أما أولاً من إعلان لسامع أن ما سيأتي عليه الآن هو حبر كتاب أخرج للناس،  
وأنه ليس في الوحد ما يصلح أن يسمى كتاباً بالقياس إليه ﴿ذلك أنقص﴾

وأما الآخرين فيدعيان هذا الحكم بالحجة والبرهان ليس تفاصل الكتب إما  
هو سقياس ما تحويه من حق لا يشوبه باطل أو ليس كمال هذا الحق أن يكون بيراً  
لا يشتر شبهة، أو ليس أكمل الكمال بعد هذا وذاك أن يكون ذلك الحق مما تمسُّ إليه  
حاجة الناس في إزارة السيل وإقامة الدليل إذا ما انتهت عليهم السبل وتفرقت  
مسالك عدنكم القرآن هو جماع هذه العصائل الثلاث، فهو الحق المحض الذي لا  
باطل فيه، بل هو الحق اللائح الذي لا شبهة باطل فيه، ثم هو بعد ذلك اهتدي الميسر  
الذي يجرح الناس من الظلمات إلى النور: ﴿لَا زَيْتٌ فِيهِ هُذًى﴾.

هكذا كان موقع هذه الحمل الثلاث بعد تلك الأحرف الثلاثة موقع التنويه  
بالمقصود بعد التنبيه إليه.

وكذلك المربي الصالح يبدأ خطابه أجليل الشأن باستنصات الناس واسترعاء  
أسمعهم أو شتي، باتحاد الوسائل المشوقة التي تثير فيهم بواعث الإقبال على طلب  
الاستفادة

## ٣- بيان أثر القرآن في المؤمنين،

أول ما تشوف إليه لخص بعد سماع هذا الوصف الطبع للقرآن وهدايته هو  
تعرف الأثر الذي سيحدثه في الناس ومقدار إيجابتهم لدعوته فمست الحاجة إلى  
أن يساق الحديث لبيان هذه الحقيقة المحسنة، وهي انقسام الناس في شأنه إلى فئت  
ثلاث: فئة تؤمن به، وأخرى كافرة، وثالثة مترددة حائرة، لا إلى هؤلاء ولا إلى  
هؤلاء.

فكيف ترى ينتقل من الحديث عن الكتاب إلى الحديث عن الناس؟ أيجعل الحديث عنهم حديثاً مؤثماً المتناقضاً بحراً؟ أم يسوقه مساق الاستدراك على ما قبله؟ شيء من ذلك لم يكن، ولكن انظر إليه وقد مزج الحديثين مرتجاً عجيباً يدع أدق الناس قطعة لتصريف وجوه القول لا يعطن لما حدث مسهما من الانتقاد ذلك أنه في أول الأمر لم يعرض لذكر الصائحتين الأخيرتين، بل أعرض عنهما، كأن القرآن لم يرسل من أجلهما، ثم عمد إلى لطائفة الأولى فجعل الحديث عنها من ثمم الحديث عن هداية القرآن بمصه قائلًا إنه ﴿عَنْكَ يَفْلَسُ﴾ ﴿يَهْدِي بِقَدَمِهِ﴾، فكانت هذه اللام الخارئة هي المعزة السرية التي انزلت عليها الكلام وانصب انصباباً واحداً إلى نهاية الحديث عن المؤمنين.

#### ٤- الحديث عن الكافرين:

ونقد كان قصر الانتعاج بهداية القرآن على هذه الطائفة وحدها بعد وصف انقرآن بأنه الحق الواضح الذي لا ريب فيه حرياً في ردع الرأي أن بعدد من الممارقات التي تثير في نفس السامع أشد العجب، إذ كيف تكون الحقائق القرآنية بهذه المرتبة من الوضوح ثم لا تنفذ إلى قلب كل من يسمعها؟!

ومن جهة أخرى فقد كان موقف هذا النبي الرحيم ﷺ في جده البالغ في دهره أمته، وحرصه الشديد على هدايتهم، مصوراً له في عين من يراه بصورة الطمع في يمان الناس أحمق، الظان أن هذه الأمية ستصح في متناول يده متى أحد في أسباب العادية، كأنه يرى أن ليس بينهم وبين هذه الهداية إلا أن يصل صوت القرآن إلى آذانهم فإذ هم مسلمون ذلك مع أن القرآن يكاد يحدد الآن مهمته ويقول: إن الذي سيستمع بهده إيمانهم المثقون، فكان هذا التحديد مطية لأن يتهل الرسول ﷺ إلى ربه قائلًا: «استجابت اللهم»، ولم لا يجتدي به الناس أجمعون!

وجب إذاً أن تقرر أخيفه بصورة حاسمة لكل طماعية وتردد مريجة بنفس

من طلب ما لا يسر إليه، وأن تبين مع ذلك الموضع الطبيعية من عموم هدانة القراء، بأسلوب يتره القراء بعينه عن شذوثة القصور، ويرد القصص إلى قابلية القبل لا إلى قاعدية الماعل، وهل يعص من مهارة الضيف أن يعرض المريض عن تناول الدواء منه فيموت بحمله؟ وهل يصبر الشمس ألا يسفع بورها العُمي أو المتعمون؟ ﴿وَلَا تَبِينَ كُفْرًا وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَا تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

هكذا انتقل الحديث عن المؤمنين الذين سقت هم الحسى، إلى الكافرين الذين حقت عليهم كدمة العذاب، لا على وجه افتراض الحديثين في القصد من أول الأمر، إذا لعطف أحدهما على الآخر، بل على وجه يسي فيه بعض الكلام على بعض، إحادة هذا السؤال الذي نطقت به الحال، وإزالة بذلك التعجب الذي أثاره سابق المقار وهذا هو ما يسميه علماء البلاغة بالاستفاد البياني

#### ٥- الحديث عن المنافقين:

وجرى الحديث عن هؤلاء إلى هياته، فالصم الشكل إلى شكله، وعطفت الطائفة الثالثة على أختها؛ لأهم في الجاني عن الهدى مشتركون، تشابه قلوبهم وإن احتسبت ألسنتهم ﴿وَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أمّا بالله وبآلئوه الآخر وما هم بمؤمنين.

#### ٦- التقابل في الحديث عن الطوائف الثلاثة (المؤمنين، الكافرين، المنافقين):

وارجع الآن قليلاً إلى نظام الأحاديث عن الطوائف الثلاثة، لترى كيف تقابلت أوضاعها أتم التقابل، فقد اشتمل الحديث في كل طائفة على ثلاثة عناصر مرتبة على هذا الحط: وصف الحقيقة الواقعة، بيان السبب فيها، فالإخبار عن نتائجها المنتظرة.

«محققة» الطائفة الأولى أهم قومٌ حصلوا فصيلة التقوى مركبها العلمي والعمل. «وسبب ذلك» استمساكهم بالهدى وإمدادهم بالنوفيق من رهم «ومآل أمرهم الفوز والملاح».

«وَحَقِيقَةُ» الطائفة الثالثة أنهم محروكون من أساس التقوى وهو الإيثار، وأهم مُصِطَرِّوْنَ عَلَى دَنَسِ إِصْرَارٍ لَا يَتَّبِعُ مَعَهُ إِدَارَ «وَالسَّبَّ» عَدَمُ انْتِفَاعِهِمْ بِهَا وَهَبْهُمْ لَهُ مِنْ وَسَائِلِ الْعَدَمِ، فَلَهُمْ فَلَوْتُ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يَصُورُونَ بِهَا، وَهُمْ إِذَا لَمْ يَسْمَعُوا بِهَا «وَعِدَّةُ أَمْرِهِمُ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ».

«وَحَقِيقَةُ» الطائفة الثالثة صفة مركبة من ظاهر خير ودخل سوء فهم يقولون بأنفسهم إنا هم مؤمنون، وليس في قلوبهم من الإيثار شيء ولكل من لوصف «سبَّ» «وَحَرَاءُ» أَمَا دَعَاؤُهُمْ لِإِيَّانٍ فَسَهَا قَصْدُ الْمَحَادَعَةِ، وَحَرَاءُ الْخِدَاعِ عَائِدٌ بِهِمْ. وَأَمَا بِرَّ رَهْمُ الْكُفْرِ فَسَبَبُهُ مَرَضٌ قَدِيمٌ، وَحَرَاءُ رِيَادَةِ الْمَرَضِ وَالْعَذَابُ لِأَلِيمٍ.

وكما بي في الطائفة الثانية أنها بلغت من الإصرار والعبادة مبلغاً لا يجدي معه الإدارة، يبي في الطائفة الثالثة أنها بلغت من انحرور والجهالة المركبة مبلغاً لا يتبع به نُصْحُ النَّاصِحِينَ. فهم المفسدون ويرعمون أنهم المصلحون، وهم السوء ويرعمون أنهم الراشدون. ومن ثلث بشعاء سقيم يعتقد أنه سليم.

ثم كما حتم الكلام في شأن الطائفة الأولى بأن سجل هم وصف الهدى والفلاح، حتم الكلام في شأن الطائفتين الأخريين بأن سجل عديهما "، وصف الصلاة والخسران.

(١١) معنى جمهور المفسرين عن أن قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَاطَةَ بِالْهُدَى﴾ مشاربه إلى أقرب لطائفتين في الذكر، وهم المنافقون ولكن المروي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم أنه راجع إلى الكفار مطلقاً وهذا هو الذي عوّنا عليه لأنه أقعد في المعنى وفي النظم أم في معنى فلاه لا وسطه بين الهدى والصلاة ﴿فَتَأْتِيهِمْ بَغْضَاءُ اللَّهِ أَجْمَعِينَ﴾ وهذا كما هو عليه عن الهدى بالكسب، وفي الصلاة مشركين، فتحصر الإشارة بالعص مع إمكان دحوقها إلى جميع صرخات تخصصر بغير موجب وأما في نظم فلاں ماؤها للطائفتين يتم به حسن لمدسه بين الإلتزامين في قوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَاطَةَ بِالْهُدَى﴾ ثم به يتم حمل الصفة في تمزيق الأقسام ثم جمعها، ثم تفردها ثم جمعها هذا رأيه يفرق الطائفتين في أوصافها الخاصة، ثم يجمعها في هذا الوصف المشترك وسواء يعود إلى تفردها في ضرب الأمثال، ثم يجمعها مرة أخرى مع سائر العدم في البدء الآتي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّعِبُوا وَارْجِعُوا﴾



بعض القوم أعينهم لهذا الضوء الباهر، بل لأمر ما ضلوا نور أنصارهم وبطلت  
سائر حواسهم عند هذه المفاجئة. فذلك مثل النور الذي طلع به محمد عليه السلام في تلك

(١) وهذا يقف عن ما ذكره المصنف، فقد جعلوا مستوفد النار مثلاً للذهب في أحدي تكيف لطق  
بكلمة لإسلام حد ثا فلم يجمع بـ لا يس في دية، ثم نفى أحده وأبقى إلى عمدته، وقد هو في  
العميات، أحسن دليل، هكذا اعتبروا الصيائر المجموعة في قوله ﴿ذهب الله يورهم﴾ [سج  
عائمة بل ﴿أنرى استوفد﴾ مراعاة معناه، بعد أن عادت إليه الصيائر لفردة بمرأه، بطله  
وسن لا يرغم بطلان هذا تأويل، ولا سكر إسماعه اللغة به ولكن لوجه ندي عرضه ههنا في  
شرح مثل يجمع إلى صحته المعنى و اللغوية أنه مشط من الظلم العربي نفسه وبحسبه مع ذلك  
أقرب لأسلوب القرآن، اليق بجراته، فإن لم يكن فليكن أحد لوجوه لي يهتم لها القرآن  
أما كيف استبطنا هذا المعنى من الظلم فإليك بيانه:

قد نصر إلى اثنين فرأيا الأسلوب فهي يتجه النجاة متواترة، إذ وحده في صدر كل معنى حديثاً  
عن شيء مفرد، وفي عجز كل معنى حديثاً عن جمعة، ثم نظراً إلى مثل انشائي قرأيت التصدير  
المجموع فيه ليس راجعاً إلى مرجع التصدير المفرد، بل هو راجع «نفاق» فسرير إلى أمر مفهوم من  
محموى الكلام هو انعم الدين بن عليهم الصب (ومعلوم أن هذه التشبيهات لم تكن البسيطة  
فيها إلى معانيه فمجموع ما مجموع لا يعني فيها ما قلناه البطله لأحادية آيين ما قبل تكاف وما  
يبها من الترتيب بل من يكون الاختلاف بينهما كما هـ أمراً مضموناً بلبعاء في وجيز الكلام  
يقصدون به الشيء من أول الأمر على ما سيحدث في التشبيه من طي وبعدهم وأخيره، والشيء على  
أن يشبه به ليس هو مدحون الكاف وحده، وإنما هو قصة متعددة، مفصول، عند المدحون أحد  
فصوله ذلك ليفي السامع محتجاً باتساعه وشوقه إلى تمام الكلام الذي به يظهر له لطائف بين  
طري الشيء، وبه يمكنه رد كل شيء إلى شبهه - هذا الصرب في أسلوب القرآن كثير، منه قوله  
تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْيَرُبِيِّ﴾ [المز ١٧١]، وقوله ﴿لَأَن تَمَثَّلَ الْحَيَوَاتِ  
أَلَدَتَا كَمَا﴾ [يوس ٢٤]، قوله ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة ١٩]

حشد عدد إلى مثل الأول فعلى كل صبي أن يكون هو أيضاً سائر على هذا النهج حسبما يرشد  
إلى تعدل لأسلوبين؟ فيكون التصدير المجموع فيه ليس حديثاً إلى الذي استوفد سائر بل إلى  
القوم الذين استوفدت النار من أجلهم، ليس السامع من اسم إلى كلمة (ما حوته) يرداد شعوراً  
بأن هـ ذلك هو متشبهاً بهم؟ إذ سرعان ما يتمم الدهن من المكان إلى المكان هذه الخطوة الأولى  
لم تلت أن خصها بالخطوات التالية وهي أن النور الذي ذهب الله به إذ كان هو نور أولئك القوم،  
وم يكن هو ضوء النار التي استوفد تلك النار إذ لم نظماً ولم يذهب صوره في يكون  
مضرب المثل بهذا الضياء الذي بقي هو ذهب غيره؟ ألا يكون هو ضوء هداية للجميع التي  
أبى الله إلا أن سمها ولو كره الكافرون ثم من يكون مضرب مثل مستوفد النار؟ ألا يكون هو  
الهادي لأعظم صنوات الله عليه فقد استوفد شعله هداية للإسلامية، أي عالج إيقاظه أمام  
روابع من نفس وأعاصير من مغاربات العيشة، فلما أوفدها وأصابت بما حوته رعمت بـ =

لأمة الأمة على فترة من الرسل، فصحب له البصائر المستيرة هنا وهناك، لكنه لم يوافق أهواء المستكبرين الذين ألغوا العيش في ظلام الجهلية، فلم يرفعوا له رأساً، بل يكسوا عبي رؤوسهم ولم يفتحوا له عينا بل حرقوا عليه صنما وعميانا ﴿فمن هو لذين آمنوا بغير شيء وهم لا يؤمنون﴾ (آية ١٠٠) ﴿فقر وهو غنيهم غنى﴾ (نصب ١١)

وصرب مثلاً للمتردد بين المحادعين مغموم جاءهم السماء بعيث مهجر في ليلة ذات رعود وبروق، وأم العيث فم تفتوا له بالآء، ولم يبالوا منه ببلاء، فلا شربوا منه قطرة، ولا استنوا به ثمرة، ولا سقوا به ررعا ولا ضرعا، وأم تلت الثقبات الحوية من لصبات ولرعد والبرق فكانت هي منار اهتمامهم، ومبدع تفكيرهم؛

= أيوف أعداء حق، ليس أكل الخيل والحسد ملوهم، فاهتمت بهائهم، وكانوا كئيبا ذنوب هي تألفا وإشرافا، أرادوا هم ظلمة وانكاشا

عدهم خدعت أركان التوبة، وسقط هذا المص الحديد على أنه حين يمكن فهم لأية عليه بحسب البعة والعمل ونسب معهود القرآن أيضا في حربه النور والظلمة مثلاً يهدي والإيمان وخطبه، بمعنى مثلاً للجهل والكفر، بيد أن اتفاق نقاسم التي بأدب على جعل مستوقد بار مثلاً للمسلمين جعلت تأنبا أن يصره مثلاً لرسول الأمير، من غير شاهد يؤيد ذلك من نكتات أو المسه. وما يرحب هذه الحالة التي تحث في صدر وتعد اطمئنان غلب في هذا النص حتى ظهرت شاهد لصريح، الصحيح في حديث النبي عن نفسه، حيث يقول ﷺ إنها مثلي ومثل لمن كثر رجلي سوقه نازا على صاحب ما حوته جعل العرش، وهذه ندوات التي تقع في النار يقع فيها، فجعل يرفعهم ويمنع فيصحب فيها، فإن أحد يحجركم عن سر وأسم تشحموه فيها، رواد الشحان مع التمثيل به في الحديث من وجه غير الوجه الذي في الآية، ولكن هذا لا يصير، إذ لمثل الواحد يصر بلعان متعددة بأعداد محله، والذي يعيا إس هو وضع التمثيل به بنبي الكريم ﷺ، وهو صريح في صدر حديث كما يرى، بيدك ردود الفهم ركوت إلى صحته

وبعد فباب - علم الله - حب الخلاف ولا شهوة الإعراب، ونكهة أمانة العلم والنصيحة بكتاب الله تعالى حيث على أن يكون به أحسن ما نعلم، ثم شجعت على أن سمحل بالعلم هذا الذي قساه بالعلم، بمرصه في العرس من أنظر الفاردين، كما عرصة في السور على أسبع الطالين، لعل هؤلاء وجدون فيه من مواضع العهد والتحصين ما لم يجده أوثق. وهذا الباب من أبواب سحر والاستبطاء الذي لا يمس أصلاً من أصول الدين ولا يحل حراماً أو يحرم حلالاً من يراد مفتوح لكل مسلم أعطاء الله مهنة في كتابه، على شريطة العصد والأناء في سير العمل، ومع الاستعداد في هذا السير بحسب حين من النعمة والشرع، على أحد الذي وصف، والسهج بندي رسماء وبالله التوفيق.



وَبَدِيتْ جَعَلُوا يَتَرَصَّدُونَهَا، وَيَذْبُرُونَ أُمُورَهُمْ عَنْ وَفَعِهَا، لَا يَسِي لِكُلِّ حَالٍ  
لِوَسْطِهَا سِيْرَ نَارَةٍ، وَوُفُوقًا نَارَةٍ، وَاحْتِصَاءَ نَارَةٍ أُخْرَى

ذلك مثل القرآن الذي أنزله الله غيثاً تحيا به القلوب، وثبتت به شجرات  
الأحلاق الركية والأعيان الصالحة؛ ثم اتلى فيه المزمين باجتهاد والنصر وحمل هم  
الأيام دُولاً بين مسلم والحرب، وبين العلب والنصر في كان حظ بعض الناس منه  
إلا أن يسوا شعوره على حلودهم دون أن يشربوا حته في قلوبهم أو يتدقروا ما فيه  
من عداء لأرواح والعمول، بل أئمتهم أنفسهم وشعلتهم حطوطهم العاجلة،  
فحصر وكن تفكيرهم في قد يحيط به من معاصم يمشون إليها، أو معارم يتفوها، أو  
مأرق تقمهم منه موقف الروية والانتظار، وهكذا ساروا في التدبير به سيرة متعرجة  
منفتحة منفتحة عن قاعدة الربيع والخضر، والسلامة الدنيوية

[illegible]

دلت أبدأ دأب المسافقين في كل أمرهم: إن توقعوا ربخاً عاجلاً التمسوه في أي

صفت وحدوه، وإن توقعوا أدى كذلك تكبروا للفتنة التي يباهم في سيدها شيء من المنكروه ورد أطلم عليهم الأمر قاموا بعيداً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أما الذي يؤمن بالله وليوم الآخر فإن له صلة واحدة يولي وجهه شطرها، هي قبلة الحق لا يحشى فيها لومة لائم.

وليس يبالى حين يُقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعه

هـ تمت المقدمة بعد أن وصف القرآن به هو أهله، ووصفت متبعية ومحال به كلاً به بسحفه ولا مرة أن وصف هذه الطوائف جميعها راجع في المال إلى لسان عبي نقرآن، فإن الشيء الذي يكون مُتبعوه هم أهل الهدى والعلاج، وتخالصهم هم أهل الضلال والخسر لا يكون إلا حقاً واصحاً لا ريب فيه.

فما هو ذلك الحق الذي لا يتبعه إلا مهتد مهلج، ولا يُغْرِص عنه إلا صالٍ حاسر؟ بل ما هو ذلك الحق الذي صربت له لأمثال بالصياء الباهر والبعث الكثير؟

لا شك أن هذا كله تشويق أي تشويق لسماع الحقائق التي يدعو القرآن الناس إليها، فانظر على أي نحو ساق بيانها،

نقد كان طاهر اسباق يفصي بأن يقال إن هذه الحقائق هي أن يعبدوا ربهم وحده ويؤمنوا بكتابه وببيه.. إلخ؛ جرياً على أسلوب العيبة الذي جرى عليه في وصف الكتاب، وفي وصف الناس، ولكنه حوّل مجرى الحديث من الأحبار والعبية إلى البداء والمخاطبة قاتلاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

أتعرف شيئاً من سر هذا التحويل؟

إن ذلك الوصف الدقيق الذي وصف القرآن به الطوائف الثلاث اعتبر وكافرين ومجادعين، قد نقلهم عبد السميع من حال إلى حال، فبعد أن كانوا عبياً في

مداً حديث عنهم أصبحوا الآن معد ذلك الوصف الشَّيْرُ حاصرين في حبال السامع كأنهم رأي عين، وفي مكان ينادون منه فاستحقوا أن يوجه الحديث إليهم كما يوجه إلى الحاصرين في الحس والمشاهدة. هذا من الناحية العامة وأما من الناحية لأخرى فإن هذه الأمثال البليغة التي صُرفت في شأن المعرضين خاصة قد أرزقهم أمام السامع في صورة عجيبة تعث في نفسه أقوى التواعث لنصحهم ومخبرهم حتى إنه لا يشفي صدره إلا أن يناديهم أو يسمع من يناديهم أن افتحوا أعينكم أيها القوم وتعالوا إلى طريق النجاة وهكذا استعدت النفس أتم استعداد لسماع هذا النداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ الآيات إلى آخر المقصد الأول

### المقصد الأول من مقاصد السورة: في خمس آيات (٢١/٢٥) :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِي مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَرَكًا وَالْسَّمَاءَ بِرَاءً وَأَرْسَلَ مِنَ الْمَنَاءِ فَارُجَ هِمٍ ۝ مِنَ الْغُرَّتِ بِرَدًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لَهُمْ أَسْدَادًا وَأَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ ۝ قَدْ حَكَّمْتُ فِي رُبِّي وَأَنَا عَلَى عَهْدٍ فَأَنَا بِشِرْكِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ۝ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ الْغُلُوِّ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ ۞ فَإِنْ لَمْ تَقْعَلُوا وَلَمْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَدُ ۝ أُولَئِكَ الْكُفَرَاءُ ۝ ۞ وَتَبَيَّنَ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ وَمَعَكُمْ أَسْلَمْتُمْ ۝ أَنْ لَمْ يَكُنْ غَرِيًّا مِنْ غَيْبِهَا ۝ الْأَنْهَارُ حَكْمٌ يُرَوُّ مِنْهَا مِنْ شَرِّهِ بِرَدًا فَأَنَا هَذَا الَّذِي يُرَفُّ مِنْ قَبْلِ وَأَنَا ۝ مِنْ مَنَظَرٍ ۝ وَلَهُمْ مِنْهَا أَنْزَجٌ مُطَهَّرٌ ۝ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ ۞﴾

### ١- الأركان الثلاثة للعقيدة الإسلامية

في هذه الآيات الخمس نسمع نداءً قوياً موجهاً إلى العالم كله ثلاثة مطالب

١- أن لا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً

٢- أن آمنوا بكتابه الذي نزل على عبده.

٣- أن اتقوا أليم عذابه، وابتعوا جريل ثوابه.

هذه المطالب الثلاثة هي الأركان الثلاثة للعقيدة الإسلامية، تراها قد أسطت

مُرْتَبَةً على تربيها الطسعي من المبدأ إلى الواسطة، إلى العاية وبرى كل واحد من لركيين الأولين قد أقسم على أساس من البرهان العقلي الفاطح لكل شبهة. أما



وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأُخْرِجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢١﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَنْبِئْ كَهْمُوكُمْ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٤﴾

### ١ وصف طريقة القرآن في الهداية

فكان من الحق أن يعود إلى وصف طريقة القرآن في هذه الهداية، ليقول: بها هداية كاملة بالبيان الراقي الشامل لكل شيء، فانظر كيف مهَّدَ لهذا الانتقال تمهيدًا يتصل من أول السورة إلى هذا الموضع:

أما المقدمة فقد وصف فيها الفرق الثلاث وصفًا شاملاً ضرب لبس أمثالهم، وحقق أن الذين كفروا اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم

وأما المقصود فقد برَّز فيه أن الله وحده المثل الأعلى الذي لا يشاركه فيه شيء من الأنداد، ثم وضع فيه العيصل بين النبي والمنسي حيث المعجزة العالمية التي لا يستطيع أحد من دون الله أن يأتي بمثله، ثم ذكر مثل الدر التي أعدت للكافرين، ومثل الجنة التي وعده للمتقون.

فترأى قد تناول في هذه الأمثال صروتاً شتى من الخصائص، علوية وسعلية، مادية ومعنوية حتى كانت نهاية الحديث أن عرَّضَ ما في الجنة من أنواع المتع واللذائد الشخصية والجنسية، تلك المعاني التي قد يستحي المرء من ذكرها، وقد بجالها الخامل نافية عن سنن الخطاب الإلهي الأعظم، عفاً عن أنه الحق الذي لا يستحي من الحق، وأنه الرحيم الذي يشرن برحمته إلى مستوى العقول البشرية؛ فيبين هم كل ما يحتاجون إلى بيانه مما يحبون أو يكرهون، وما يرحون أو يحذرون

وهكذا اساق الحديث من ذكر هذه البهجة المتعاقبة إلى استساغ القاعدة الكلية منها، بين أن هذه هي طريقة القرآن في هدايته، فهو يصرب الأمثال كلها، ويبين

الحقائق خلوها ومُرّها، واصطفا كل شيء في موضعه، مستمياً له باسمه، لا يبالي أن يتاور في بيانه حلائل الأمور أو محفراتها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَيَّضَةً فَسَاوِقَهَا﴾.

حقاً إن شأن هذا الكتاب في تفصيل الحق والباطل والصار والنافع شأن كتاب الأعمال في تفصيل الحسرات والسيئات كلاهما لا يعادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وكما أن وصف القرآن بالهدى إجمالاً قد جرّ هناك إلى ذكر انقسام الناس في قول هدايته، وإلى السعي على من أعرص عنه، كذلك وصف طريقته في الهداية قد جرّاه هنا إلى مثل هذا التقسيم ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾، وإلى السعي على الصالحين بذكر مساوئهم وتفصيل نقائصهم ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

وكما أن بيان أوصافهم هناك قد جلاهم أمام السمع في صورة تحرك داعيته لسمع مدائحهم بالصبح والتعليم، كذلك بيان أوصافهم هنا قد استمرّ النفوس إلى سماع محاطتهم بالتمجيب والإنكار . ﴿كَيْفَ تَعْفُرُونَ بِآثِهِ﴾ الآيات.

## ٢ عود الكلام إلى المقصد الأول بأركانه الثلاثة، ولكن في ثوب جديد

(أما في الركن الأول) فقد سمعته هناك يأمر بعبادة الله، وتسمعه هنا يهين عن الكفر بالله.

وهناك دكّرهم بنعمة إيجادهم بمجملته، وها يذكرهم بها مفصلة متممة، وهناك عرفهم بنعمة تسخير الأرض والسماء لهم، وها يعرفهم بذلك في شيء من التفصيل.

(وأما في الركن الثاني) فقد ذكر هناك سوة هذا النبي اخاتم النبيين، وها يذكر نبوة ذلك النبي الأول آدم، ليعلم أن نبيا لم يكن بدعاً من الرسل، وأن أمر لنشرع والسوات أمر قديم تتصل بشاة الإنسان. وقد مهّد لهذا البيان بذكر تاريخ تلك

استأه العجبة وما جرى في شأنها من الحديث مع الملائكة، ذلك الحديث الدال على مريد العناية الإلهية بهذا النوع الشرعي؛ إذ احذره الله خلافة الأرض وأثره على سائر خلق بعصبة العلم. ليكون الامس بذلك حارياً مع الامساك بالمعنى المذكورة في المركز الأول على أحسن نسق، ثم اتصل من هذا التخصيص إلى شرح ما بدأ به من حسد إبليس وعداوته القديمة للإيمان الأول ومحادثة إياه بوسواسه، وما انتهى إليه أمر الخدع والمخدوع من اثلاثتهما، وانتلاء دريتهما بالتكاليف وهو كما ترى حديث يطلب بعصه بعضاً، ويأخذ بعصه بأعناق بعض

(وأما في الركن الثالث) فقد رأيت هناك يصف الحجة والبار بهما من وصف رابع أو مروع، وتراه هنا يكتفي عن وصفهما بذكر اسمهما وتعيين أهلها باطناً وضع لأجزئة مع وضع التكاليف في سلك واحد، ومتخلصاً أحسن تلخيص من أحدهما إلى الآخر، بتقرير أن اتباع التكاليف أو عدم اتباعها هو مناط السعادة أو الشقاوة في العقبي

ولقد حتم الكلام هنا -كما حتمه في المقدمة- بشأن المحالين؛ تمهيداً للاشتغال مرة إلى بدء فريق منهم ودعوتهم إلى الإسلام وهو المقصد الذي

المقصد الثاني من مقاصد السورة: في ثلاث وعشرين ومائة آية (١٦٢-٤٠)؛

يَسِيْرُ شَرَكًا يَلْ اَذْكُرًا يَتَقِيْ الْاَيْمَنُ عَلَيْكُمْ وَاقُوْا بِهَيْبَةِ رَبِّكُمْ فَارْهَبُوْهُ ۗ وَهُوَ يُعَلِّمُ  
بِمَا اَسْرَرْتُمْ يُصَوِّرُ لَكُمْ مَا تَشَاءُوْنَ وَلَا تَكُوْنُوْا اُولَ الْكَافِرِ بَ ۙ وَلَا تَشْرُوْا بِمَا بِرَاقِيْكُمْ فَبِئْسَ مَا تَكْتُمُوْنَ ۚ وَلَا تَكْلِسُوْا  
الْعُرْفَ بِالْجُلُوْا وَتَكْتُمُوْا الْحَقَّ ۚ اَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ۚ وَاصْبِرُوْا الصَّلٰوةَ وَهُوَ الْاَكُوْةَ وَارْكَبُوْا مَعَ الْاَكُوْبِ ۚ ﴿١١﴾  
اَلْمُتَّقِيْنَ النَّاسَ بِالْهَرِ وَتَسْتَوِيْ اَنْفُسَكُمْ ۚ اَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ اَفَلَا تَتَّقُوْنَ ۚ ﴿١٢﴾ وَاصْبِرُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةَ وَارْهَبُوْا  
بِكِبَرِهِ ۚ لَا تَعْنِ الْحَقِيْبِ ۚ ﴿١٣﴾ الَّذِي يَطْلُوْنَ اَنْفُسَهُمْ مَلْعُوْا رِيْجَهُ وَاهْتَمُّوا بِالنَّوْرِ ۚ ﴿١٤﴾ يَسِيْرُ اِنْشَرَاءً اَذْكُرًا اَنْفُسِ الْاَيْمَنِ  
اَنْفُ عَلَيْكُمْ وَاَيُّ مَصْنَعِكُمْ عَلِ الْعَلِيْبِ ۚ ﴿١٥﴾ وَاقُوْا بِرَبِّكُمْ لَا تَجْرِيْ مِمَّنْ عَرَفَسَ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَيْئًا وَلَا يُؤْخَذُ  
مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُعْذَرُوْنَ ۚ ﴿١٦﴾ وَادْعِيْكُمْ اِلَى صِرَاطِكُمْ ۚ اَلِ مَرْغُوْنَ بِمُؤْمِنِيْكُمْ مِّنَ الْعَدُوِّ يَذْهَبُوْنَ اِلَيْهِكُمْ  
وَيَسْتَعِيْرُوْنَ مِنْكُمْ فِيْ ذٰلِكُمْ سَلٰةً مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمًا ۚ ﴿١٧﴾ وَادْعُوْا رَحْمَةً بِكُمْ اَلْبَتَرُ فَاَحْسِبْكُمْ وَاعْرِضْكُمْ اَلِ  
مَرْغُوْنَ ۚ اَنْتُمْ مَطْرُوْبٌ ۚ ﴿١٨﴾ وَادْعُوْا عِنْدَ مَوْجِ رَسِيْقٍ اِلَيْهِ ثُمَّ اَعْمِدْكُمْ اَلْبَتَرُ ۚ اَنْتُمْ مَطْرُوْبٌ ۚ ﴿١٩﴾ ثُمَّ





يُؤْمِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُنشِئُوا عَلَيْهِمْ فَطْرًا ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 الْكِتَابُ الْمُبِينُ ۚ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عَدُوِّنَا لَوْلَا إِتْرَافُ يَدَيْهِمْ فَمَا جَاءَ بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ  
 ثُمَّ تَبَدَّلَ لَعْنَهُمْ ثَمَرًا ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ عَهْدُهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْيُنُ النَّاسِ ۚ  
 وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَيْمَانِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 الْأَعْرَافُ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 الْقُرَى ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 فَلْيَا يَحْشُرْكُمْ وَأَنْتُمْ تُكْفُرُونَ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتُكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 بِالْآخِرَةِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 وَنَبِيٍّ يُبَيِّنُ لَهُمْ أَمْرَهُمْ وَنَهْيَهُمْ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 كَذَّبُوا بِآيَاتِهِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 بِهِ فَتُحَرِّقُ عَلَى الْكُفَرِيِّ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 لَهُمْ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 وَلَمْ تَقْنَلُوا ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 لِيَجْعَلَ مِنْ أَقْبَرُ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 بِمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَقَاتُوا الْيَوْمَ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 وَالطَّائِفِينَ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 بِمُخْرَجِهِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 عَلَيْكَ وَإِلَازِي اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَنُورٌ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 وَنُورٌ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ  
 وَلَا تُفْسِدُونَ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ هَؤُلَاءِ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ



يُصْرَفُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ أَنشَأَ بِرَبِّهِمْ رُتْبَةً يَكْلَمُوا فَاسْتَفْتَوْا قَالُوا إِنَّا جَاءُوكَ بِبَشِيرٍ مِمَّا لَا تَبَالُ  
عَهْدِي الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا لَبِيبَ ذَاتِ الْغَيْبِ لِقَابًا مِمَّا مَكَرُوا مِنْ مَعَدٍ بِرَبِّهِمْ فَصَلَّىٰ وَعَاهَدُوا إِلَىٰ بِرَبِّهِمْ  
وَأَسْمِعِلْ أَنْ يَطُورَ نَسِيَ لِلْعَالَمِينَ وَالْمَكِيدِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ بِرَبِّهِمْ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْذِرْ  
أَهْلِيَّ مِنَ الْغُرَبَاتِ مِنْ مَعَدٍ مِنْهُمْ بِأَلْفِ نَفْسٍ فَاسْمَعْ أَصْوَاتَهُمْ قَالُوا لَمْ نَسْمَعْ أَصْوَاتَهُمْ وَلَقَدْ نَاسُوا الْبَصِيرَ  
﴿٢٨﴾ وَإِذْ رَفَعَ بِرَبِّهِمْ الْعَوَاجِدَ مِنَ الْغَيْبِ وَاسْمِعِلْ رُتْبًا ضَلَّ بِهَا لَبِيبُكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٩﴾ رَسَا وَأَجْعَلَا  
لِلْبَصِيرِ لَكَ وَمِنْ دُرَيْدًا أُمَةً مُبِينَةً لَكَ وَأَرَادَا مَا بَيْنَكَ مِنْ غِيَاً بِكَ أَنْ تَنْتَهِبَ لِرَبِّهِمْ رُتْبًا وَأَعَدْتَ  
بِهِمْ رَسُولًا بِهُمْ سَلُّوا عَلَيْهِمْ هَاسِكٌ وَتَعَبَتْهُمُ الْكِبَرُ وَتَفَكَّهُمْ وَزَكَّيْتَهُمْ بِكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْمُحْكِمُ ﴿٣٠﴾ وَمِنْ  
رَبِّهِمْ غَمٌّ بِرَبِّهِمْ لَا مِنْ سِوَةِ نَفْسِهِ وَنَعِدَ اسْمُطِفِئَةً فِي الْأَنْفِ وَبِهِ فِي الْأَمْرِ لَيْسَ لِصَالِحِينَ ﴿٣١﴾ إِذْ قَالَ  
لَهُ رُتْبَةً أَسْمَاءُ قَالِ اسْمُكَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا بِرَبِّهِمْ بِهِ وَبَعَثُوا بِسْمِ اللَّهِ أَصْحَابُكُمْ لَكُمْ الَّذِينَ  
فَلَا تَشُكُّونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِسَيِّدِهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ  
مَدِينٍ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُنَا وَحَدُّوا لَكَ مُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا  
أَفْتَىٰ قَدْ حَلَّتْ لَهَا مَا كُنْتَ وَلَكُمْ مَا كُنْتُمْ وَلَا تَشْكُلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٣٥﴾ وَهَانُوا حُكُومًا فُودَ أَوْ بَصَرِي  
هَذَا أَفَلْ تَلِ بِنَةَ إِبْرَاهِيمَ خَبِيرًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا هَاسِكٌ بِهَاسِكٍ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ بِرَبِّهِمْ  
وَأَسْمِعِلْ وَاسْمِعِ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أَوْىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُورِثُوا لِسَبُوحٍ مِنْ رَبِّهِمْ لَا يَتَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ  
بَيْنَهُمْ وَعَمَّا لَمْ تَشْكُلُونَ ﴿٣٧﴾ هَاسِكٌ بِهَاسِكٍ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ بِرَبِّهِمْ وَلَا يَتَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ  
بَيْنَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٨﴾ جِئْتُمْ أَفْقًا وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ اللَّهُ جِئْتُمْ بِهِمْ وَعَمَّا لَمْ تَشْكُلُونَ  
﴿٣٩﴾ قُلِ اسْمَاعِيلُ فِي اللَّهِ وَفُورٌ رُتْبًا وَرُحْمَةً وَلَمَّا أَعْلَمَ رُتْبَتَكُمْ تَحْمِلُونَهُمْ وَبِحُكْمِهِمْ أَمْ يَتَوَلَّوْنَ  
بِأَبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا فُودَ أَوْ بَصَرِي قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ أَمْرًا اللَّهُ وَمَنْ  
أَفْقًا مِمَّنْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ يَصَدِّقُكُمْ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِفَعْلٍ عَمَّا تَحْمِلُونَ ﴿٤٠﴾ سَلَّمَ أُمَةً قَدْ حَلَّتْ لَهَا مَا كُنْتَ  
وَلَكُمْ مَا كُنْتُمْ وَلَا تَشْكُلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ سَبَّحُوا الشَّعْءَ مِنَ النَّاسِ مَا وَبَّهَهُمْ عَنْ مَعْنَاهُمْ أَلَىٰ كَانُوا  
عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ تَهْدِي مِنْ بَيْنَا إِلَىٰ مَرْجِعٍ مُتَعَمِّرٍ ﴿٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا أُمَةً وَسَفَاحًا لِيُذَكِّرُوا  
شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكُونَ رَسُولٌ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا عَلَيْهِ لِي كُنْتَ عَلَيْهِ لَا يَقَعُ مِنْ مَتَاعِ الرُّسُولِ  
بِمَنْ يَقْبَلُ عَنْ عَقِيبَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ لِكُفْرِهِمْ لَا عَلَىٰ أَلْسِنٍ هَدَىٰ أَفْقًا وَمَا كَانُوا اللَّهُ يَجْعَلُ بِمَسْكَنَةٍ إِنَّكَ أَفْقًا  
وَالْكَافِرِينَ لِرُتْبَةٍ رَجِيمَةٍ ﴿٤٣﴾ قَدْ رَأَىٰ تَعْلُبَ وَخَوَفَكَ فِي السَّحَابَةِ هَوَاسَكَ بِنَةَ رَحْمَتِهِ قَوْلٍ وَجَهَنكَ سَطَرَ  
الْمَسْجِدَ الْعَزِيزَ وَبَيْنَتْ مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ مِنَ رَبِّهِمْ وَمَا  
لَكُمْ بِمَعْنَىٰ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَنشَأَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْبَ يُبْغُوا بِمَسْكَنَةٍ وَمَا أَنْتَ بِمَنَاجٍ بَيْنَهُمْ  
وَمَا تَضَعُهُمْ بِتَرْجِيحٍ قَبِيلَةٍ بَعِيرٍ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ قَالُوا هُمْ مِنْ قَبْلِ مَا جَاءَكَ مِنْكَ أَنْتَ أَوَّلُهُمْ بِمَا لَمْ يَكُنْ  
لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ الْكَيْبَ يَقْرَبُونَهُ كَمَا يَقْرَبُونَ أَنَاءَهُمْ وَلَقَدْ رَفَعْنَا بِهِمْ لِيَكُونُوا الْحَقُّ وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْكِرِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا كُنْتُ وَجْهَهُ فُودَ قَالُوا قَالُوا الْحَبِيرُ أَنْ مَا



• تفصيل الحديث عنهم

(ثم) قسم الحديث إلى أربعة أقسام:

(انقم الشف) يذكر فيه أحوال المعاصرين منهم للبعثة المحمدية.

(القسم الرابع) يذكر فيه حاصر المسلمين في وقت العدة

١- ذكر رسالة اليهود (٧٤-٨٩)

[illegible]

عَبِيدُكُمْ هُوَ أَنْتُمْ الرَّجِيمُ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ سُبْحَانَكَ لَا تُؤْمِنُ لَكَ شَيْءٌ رَأَى اللَّهُ جَهَنَّمَ فَأَخَذَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَادَىٰ بِأَمْرِهِمْ أَنْ يَخْلُقُوا مِنْ طِينٍ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَأَخْبَرُوا أَنَّ طِينًا مِنْهَا كَانُوا أَنْفُسُهُمْ تَكُونُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذْ نَادَىٰ مِنْ جَانِبِ آلِ هَارُونَ أَنْ خُذُوا مِنْ مَعْنَىٰ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا أَرْضَكُمْ فَخَلُّوا وَاسْكُنُوا أَرْضَ الْمَدْيَنَةِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْغَنِيِّ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَأُولَئِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾ وَإِذْ نَادَىٰ مِنْ جَانِبِ آلِ هَارُونَ أَنْ خُذُوا مِنْ مَعْنَىٰ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا أَرْضَكُمْ فَخَلُّوا وَاسْكُنُوا أَرْضَ الْمَدْيَنَةِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْغَنِيِّ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَأُولَئِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ نَادَىٰ مِنْ جَانِبِ آلِ هَارُونَ أَنْ خُذُوا مِنْ مَعْنَىٰ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا أَرْضَكُمْ فَخَلُّوا وَاسْكُنُوا أَرْضَ الْمَدْيَنَةِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْغَنِيِّ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَأُولَئِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ نَادَىٰ مِنْ جَانِبِ آلِ هَارُونَ أَنْ خُذُوا مِنْ مَعْنَىٰ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا أَرْضَكُمْ فَخَلُّوا وَاسْكُنُوا أَرْضَ الْمَدْيَنَةِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْغَنِيِّ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَأُولَئِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ نَادَىٰ مِنْ جَانِبِ آلِ هَارُونَ أَنْ خُذُوا مِنْ مَعْنَىٰ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا أَرْضَكُمْ فَخَلُّوا وَاسْكُنُوا أَرْضَ الْمَدْيَنَةِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْغَنِيِّ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَأُولَئِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ نَادَىٰ مِنْ جَانِبِ آلِ هَارُونَ أَنْ خُذُوا مِنْ مَعْنَىٰ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا أَرْضَكُمْ فَخَلُّوا وَاسْكُنُوا أَرْضَ الْمَدْيَنَةِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْغَنِيِّ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَأُولَئِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ نَادَىٰ مِنْ جَانِبِ آلِ هَارُونَ أَنْ خُذُوا مِنْ مَعْنَىٰ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا أَرْضَكُمْ فَخَلُّوا وَاسْكُنُوا أَرْضَ الْمَدْيَنَةِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْغَنِيِّ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَأُولَئِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ نَادَىٰ مِنْ جَانِبِ آلِ هَارُونَ أَنْ خُذُوا مِنْ مَعْنَىٰ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا أَرْضَكُمْ فَخَلُّوا وَاسْكُنُوا أَرْضَ الْمَدْيَنَةِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْغَنِيِّ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَأُولَئِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

استهل الخطاب في هذا القسم بشاهي آيات يُعرف فيها بني إسرائيل بتفاصيل

الحس التي امتس بها عليهم مرة بعد مرة وهي تلك النعم التاريخية القديمة التي اتصل  
أثرها وسرى معها من لأصول إلى العروج، فجعل يذكرهم بأيام الله فيهم، يوم  
أجابه من آل فرعون، ويوم أوجاههم من أيم وأعرق أعداءهم فيه، ويوم واعدتهم

بإبرار الكتاب عليهم، ويوم حقق وعده بإثرائه، ويوم قبل توبتهم عن الردة واشترك بالله، ويوم قبل توبتهم عن المرد على نبيهم واقتراح العطايا عليه وإثبات لعم حيلة - سادعة للديب ولا حقه - تليى بذكر أفعال القلوب، وتحرك الهمم لشكر المنعم وامثال أمره.

وقيل أن يتقل من تذكيرهم بتلك العم الخيلة المظمعة للشاركين في المريد، إلى تذكيرهم بجرائمهم وما حقق بهم من ضرور الكمال الموحدة للامثال والاعتبار جعل بين الحديثين برزخاً مزج فيه ذكر بعض العم بذكر ما قبلها به، بعد أن أعد النفس لمسير على هذا البرزخ بالتعدية يسيرة، فيها رمز الإعراض وعدم الرصد، فينبأ أنه - تعالى - متعمهم فوق هذا كله متعاً حسناً إذ طلل عليهم العمام، وررقهم من الطعام والشراب ورقاً هيباً من حيث لا يحتسبون، ومن حيث لا كذب ولا نصب. فطمعوا أنفسهم وبطروا تلك العمة وحرقوا كلعة الشكر بتدليلها هرواً ولعناً، واقترحوا بدل ذلك الرزق الساعم عيشة الكدح والنعاء، فألزمهم الله ما الترموه، وضرب عليهم الذلة والمسكنة.

وهنا مختصر الحديث نذكر المحالعات والعقوبات، فذكر أنهم باءوا بعصب من الله؛ لأنهم كفروا بآيات الله وقتلوا النبي، (غير أنه استثنى المؤمنين منهم من هذا العصب) وتمردوا على أوامر التوراة جملة حتى أزعجوا عبيها، ثم توبوا عنها بعد ذلك حتى صاروا جديريين بأن يرسل بهم ما نزل بأهل السبت لولا فصل الله عنهم، وأنهم تباطأوا في تنفيذ أمر ربهم، وبلغ بهم الجهل بمقام بيوتته أن طمأوا في بعض تبليغه عن ربه أنه هازل فيه غير جاد.

### حلقة الاتصال بين القسمين الأول والثاني (٧٤)

وأراد القرآن أن يصل حاضرهم، بما صيهم فاطر كيف وضع بينهما حلقة الاتصال فيه هذه الآية التي حتم بها القسم الأول. ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ يَوْمَ تَدْعُوكَ فِيهِ كَأَنكَ زَارٌ وَأَشَدُّ قَسْوَةً﴾، فقوله ﴿يَوْمَ تَدْعُوكَ﴾ كلمة حدثت مبدأ تاريخ القسوة ولم يحدد





[illegible]



لطمع في إيمانهم، سواء منها ما كان مختصاً بهم، وما كان يشاركهم فيه غيرهم من أسلافهم، أو من الصاري أو الوثنيين.

ثم لا بدع رعيًا من مراعاتهم إلا قفى عليه بما يليق به من الرد والتفديد.

(وقد بدأ هذا الوصف) بتقسيمهم إلى فريقين. علماء يحرفون كلام الله ويتواصون بكتبان ما عندهم من العلم لئلا يكون حجة عليهم وجهلاء أميين هم الصاري الأمازي و الأوهام، وضحايا التضليل والتليس الذي يأتيه علماءهم، فمن ذا الذي يطمع في صلاح أمة جاهلها مصلل مخدوع يأخذ باسم لذين ما ليس بدين، وعادها مصلل خادع يكتب الكتاب بيده ويقول هذا من عند الله؟!

(وثنى) بيان منشا احترامهم على كل موقفة، ألا وهو عروورهم برعهم أن الدار لن عنهم. لا أياً ما معدوده. ولقد أمر النبي ﷺ أن يوسع هذا الرعم دحف وإطالاً، وأن يتدرج معهم في هذه المحادثة على درجات المطلق السليم والبحث المستقيم؛ فيبدأ بمحاضاتهم الرهان على ما رعمو، ثم ينقصه بيان مخالفة لقانون العدل لإلهي الذي لا يعرف شيئاً من الظلم ولا المحاباة لأحد، بل الخلق أدمه سواء كل امرئ رهين بعمله، ومن يعمل سوءة أو حسنة يجز به. ثم يعارضه بقلب القصية عليهم مبياً لهم أنهم من أولئك الذين كسوا السيئات وأحاطت بهم خطيئاتهم: ألم يؤخذ عليكم الميثاق بتقوى الله والإحسان إلى الناس فتوليتهم؟ ألم يؤخذ عنكم الميثاق بترك الإثم ولعدوان فاعتديتم؟ ثم امتم بعض الكتاب وكفرتهم ببعض، وحكمتهم أهواءكم في «شرائع»، فكلما جاءكم رسول بما لا هوى أنفسكم استكبرتم.

(ثم أتبع ذلك سائر هئاتهم) فذكر:

١ - تصاعهم عن سماع الحق مدعوى أن قلوبهم مغلقة

٢ - كفرهم بالكتاب الجديد لأنه أنزل على غيرهم، بعد أن كنت أعناقهم

مشرئية، له يتصرون ظهوره على عديبي ينصرهم على المشركين

٣ - دعواهم القبيح بواجبهم وهو الإيمان بما أرسل عليهم وكفى، مع أنهم كاهرون حتى بما أرسل عليهم، وبذلك شنتهم مدد عبدوا العجل وأشربو حبه في قلوبهم.

٤ - رعمهم أن لهم امداد الآخرة حاصنة، ثم مافقتهم أنفسهم في ذلك كراحتهم الموت وشدة حرصهم على الحياة

٥ - عداوتهم لحريل؛ لأنه أرسل الكتاب على غيرهم، مع أنه إنما أرسل بعلم الله  
٦ - تكرار نبذهم للعهود.

٧ - اشتد بهم نكت السحر وترك كتب الله وراء ظهورهم.

٨ - بيّهم الستهم في خصاب الرسون بكلمة ' تطوي على الاستهزاء به والطعن في دينه وإن كان ظاهرها التعظيم له، أو يراد منها إحراجه بكثرة الأسئلة والمقترحات كما سنل موسى من قل (وقد سبق هذا في قالب تحدير المؤمنين من أن يقولوا تلك الكلمة).

٩ - حقدهم وأثرتهم هم وسائر المحالين من أهل الكتاب واشركين وكراحتهم أن ينزل الوحي على غيرهم، مع أن الله يختص بسوته من يشاء، وبه أن يسخ شريعة ويأتي شريعة أخرى مثلها أو خير منها

(١) هي قول راعاء وهي كلمة ظاهرها الأدب، ونكتها في العربية ما معناه أخرى حفاء وفي العربية كلمة شتم قريبة منها (عظ راع) عند اليهود معناه شتم شريير ولفظ (راع) معناه الشر والشقوة فإن أضيف إلى ضمير المنكسب صار لسانهم 'راعوا' ومعناه في الخطاب أنت صرنا وشتمونا ونحن والله أعلم كانوا يبنون الستهم في سطق ما يرمونها من الصفة لعربية ستر، ليسهم وانكفاء لرمز المعهوم في ستم فأمر الله المؤمنين أن يحاطوا الرسول ﷺ بقول (انظروا) حتى لا يجدوا نقول سبلاً إلى اطلاع بعض دي وجهين، أو أيضاً قول (راعاء) كلمة بقوها اسائل مستعصي يطلب بها إصغاء المسؤول إليه حتى يعرف هو من أسئلته، وتلك عادة اليهود عند إكثارهم من السؤال فأمر الله المؤمنين أن يحاطوا على حسن الاستماع حتى لا يبتعدوا عن السؤال، وأن يقولوا (انظروا) وهي كلمة يعولها المتعلم إذا أراد التثبث بما بعد له لا الريادة عليه

١٠ - رعة كثير منهم في أن يردوا المؤمنين كهارًا.

١١ - رغم كل من اليهود ولصارى أنه لا بدخل الحة غيرهم أممي بتصونها  
بغير برهان.

١٢ - طمس كنت الطمست في أحتها بقول اليهود ليست البصارى على شيء،  
وقول لفسارى، ليست ليهود على شيء، وطمس المشركين في كتبهم.

١٣ - اشتراك الطوائف لثلاث في السعي لإحلاء مساجد من ذكر الله.

١٤ - اشتراكهم في الجهل بالله ومستهم الولد إليه

١٥ - اشتراكهم في لتوقف عن الإيمان بالرسول - عليهم السلام - حتى  
يكلهم لله بغير واسطة أو يرسل عليهم أية مدجثة

(ثم ختم هذه الصفات) بأذعائها إلى اليأس من إيمانهم، وهو أنهم يطعمون في  
تحويل برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أنواع أهوائهم، فكيف يطعم هو في استماعهم إلى  
هؤلاء؟ كلا ولكن حسه أن الراسخين في العلم منهم وهم الذين يتلون الكتاب حق  
تلاوته يؤمنون بهذا الهدى الذي جاء به، والكامرون هم الخاسرون

## ٢ ذكر قدامى المسلمين من لدن إبراهيم (١٢٢-١٢٤)

وَبَيْنَ يَدَيْهِ إِلَهُ الْأَكْبَادِ يَسْتَبِيحُ إِلَهُ الْأَعْنَتِ عَيْكُزَ وَأَبَ صَسْكَزَ عَلَى الْفَلَّاحِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ  
شَيْءٍ وَلَا يُقْبَلُ فِيهَا حَدَلٌ وَلَا تَعْمَلُكُمْ شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِإِبْرَاهِيمَ رَئُوفٌ بِكَلْبَتِهِمْ فَأَنْتَهُنَّ قَالَ إِيَّايَ  
يَا بَطْلُكَ الْفُلَانِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الْفُلَانِيَّةَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ مَنَافَةً لِلنَّاسِ وَأَنْتَ وَآلُكَ وَآلُكَ  
مِنْ مَقَابِرِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتَكَ لِلْعَامِينَ وَالْعَمَلُ الْفُلَانِيَّةَ وَالْمُطَهَّرُ الشُّعُورُ ﴿١٢٥﴾  
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرِ مَنْ أَرْضَ مِنْهُمْ بِأَقْرَبَ وَالْجَمْعُ الْكَلْبُ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ  
قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ الْآرِثِينَ وَالْعَبْدُ الْفُلَانِيَّةَ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا  
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٦﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَسَاجِدَنَا وَبِئْسَ  
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَانصُرْ جِهَةَ رَسُولِنَا وَلَاقُوا عَظِيمًا وَانصُرْ جِهَةَ رَسُولِنَا وَلَاقُوا عَظِيمًا وَانصُرْ جِهَةَ رَسُولِنَا  
وَرَزَقْنَاهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٨﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَوَّاهُ فَقَدْ قَلْبًا مُصْطَفِيَةً فِي

الذَّبَّ فِيهِ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِعْ هَذَا نَسَمْتُ لِرَبِّ الْفَلْعَيْنِ ﴿١٣٣﴾ وَوَعَىٰ بِهَا  
إِبْرَاهِيمَ نَسَمُهُ وَيَتَقَوَّبُ عَيْنَايَ إِنَّ اللَّهَ مُطِيعٌ لِّكُمُ الْيَوْمَ فَلَا تَشْوَشُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْمِعُونَ ﴿١٣٤﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ  
حَضَرَ زُكُوفُ النَّوْثِ إِذْ قَالَ لِسَيِّدِهِ مَا تَسْمَعُونَ مِنْ نَسَمِي فَأَنْتُمْ نَسَمْتُمْ إِلَيْهِمْ وَإِلَيْهِ أَتَابَكُمُ الْبَرْزَخَ  
وَالْإِسْتِغْنَاءَ وَاسْتَوْدَعَهُمْ وَجَدَا زَعَمَ لَهُ مَسْمِعُونَ ﴿١٣٥﴾ فَكَانَ أَمْرُهُ مَدْحَتَ لَهَا مَا كُنْتُمْ وَلَكُمُ مَا كُنْتُمْ وَلَا  
تُسَلُّونَ عَنْهَا كَأَنَّهُمْ سَلُّونَ ﴿١٣٦﴾ ﴿١٣٦﴾ ١٢٢ ١٣٦

شأن المصلح الحكيم في دعوته شأن الرارع، يبدأ بالأرض فيقتلع أشواكها  
وسقمها من حشائشها الصارة قبل أن يلقي فيها البذور لصحبة أو يعرس فيها  
الأشجار الراجعة، وكذلك الداعي الحكيم يبدأ بالنفوس فينويها عن الباطل  
وللصناد، ثم بوجهها إلى طريق الحق واهدى فهدان دوران يقوم في أحدهما  
بانتطهير والنحلية، وفي الثاني بالتكميل والصحبة، وأنت قد رأيت الكلام في دعوة  
بي إسرائيل قد مضى إلى هذا الحد في بيان عوحي الطريق الذي يسلكونه، ورأيت قد  
أوسع البيان في ذلك حتى أتى على نهاية الدور الأول أليس من الحق إذ أن يبدأ  
الدور الثاني فيبين الطريق السوي الذي يجب أن يسلكوه

ثم رأيت كيف احتسم البيان السابق بذكر هدى الله والعلم الذي علّمه ليه  
ودكر الطريق الذي يُرجى إيمانهم به من أهل الكتب، وهم الذين يتلون الكتاب حق  
تلاوته، أليس هذا الاحتتام نفسه مطلقاً تشرف النفس منه على هذا الافتتاح؟

ثم رأيت الحديث في الدور الأول منقسماً إلى قسمين؛ قسمٌ يتحدث فيه عن  
ماضي اليهود، وقسمٌ يتحدث فيه عن حاصرهم ألا يكون من حسن انتفال أن  
يقسم الحديث الثاني إلى القسمين عن ماضي المسلمين وعن حاصرهم؟

ذلك هو ما تراه فيما يلي:

بل ستري ما هو أتم معاملة ومشاكلة، فيجري الكلام في القسم الأول هذا على  
سبيل الخطاب مع بني إسرائيل، والكلام في القسم الثاني على منس لتحدث عنهم،  
كما جرى هناك في المسمين سواء.



وأكرم من هذا، كنه أنك ترى الآيتين الكريمتين اللتين صدر بهما أول الحديث هناك قد صدر بهما أول الحديث هناك ليدعوهم إلى اعتناق الحق بمثل ما دعاهم به إلى احتساب الباطل، ولينقرر في نفس السامع من أول الأمر أن الحديث ميعود كما بدأ، ولكن في طريق تعديل ذلك الطريق، وبمعنى جديد هو عدلٌ لذلك بمعنى تقديم ﴿يَسِي إِسْرَءِيلَ أَكْزَرُ أَهْلَ بَيْتِ نَحْتِ عَلَيْكُمْ وَأَنْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْآخَرِينَ﴾ (١٣) وَأَنْقُوا بِرَمًا لَا تَجْرَى شَرْفٌ نَحْتِ نَحْتِ وَلَا تَقْلُ مِنْهَا شَفْعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُعْزَرُونَ ﴿١٤﴾ ﴿وَإِذْ أَنْشَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ يُنْجِيهِ﴾.

وهكذا أنشأ يدعو بني إسرائيل إلى طريق السلف الصالح، لا بأسلوب الأمر والتحريض الذي جُرَّب من قبل فلم يسجح فيهم، بل بأسلوب قصصي جذاب يعرض فيه ذلك التاريخ المجيد لإبراهيم -عليه السلام- وأبائه وأحفاده في المعصور الذهبية التي لا يخضع أحد من أهل الكتاب ولا لمشركين في تعظيمها وعبتها ومحة الانسحاب إليها (مكرراً على لسانهم جميعاً تلك الكلمة العدة التي تركها إبراهيم باقية في عهده، فتوارثها أبنائه وأحفاده بوصي كل منهم بها بيه، كلمة الإسلام لله رب العالمين).

وتراه في أثناء عرصه لتاريخ إبراهيم -عليه السلام- وإمامته لسان لا يسى أن يحكي كتاباته التي دعا بها ربه أن يجعل من ذريته إماماً للناس كما جعله هو.

ثم تراه حين يروي قيام إبراهيم وابنه وإسماعيل ساء البيت المعظم الذي جعله لله حرماً آمناً ومثابة للناس وقلة لصلاتهم، لا يسى أن يحكي تصرعهم إلى الله أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة وأن يبعث فيهم رسولاً منهم يعلمهم ويركهم.

عمهداً بهذا، وذلك لتقرير تلك الصلة التاريخية المثبة التي تربط هذا النبي وأمه بذيئيك السبي الخليلي. لا صلة السوة السمية فحسب، بل صلة المبدأ وراطة الوحدة الدينية أيضاً، فهم من ذريتهما، ووجودهم تحقيق لقول دعوتهم، وملتهم ملتهم، وقبلتهم قبلتهم، ومثابهم في حجهم مثابهم.







الحجة، تدلّ على أن أصول هذه الملة أوسع من أن ينقل أحداً في شيء منها.

فانتقل عنها وشيئاً إلى إبطال عدولهم الأخرى في مسألة (لكمة العظمة) التي عليها يدور لعمل شعيرين، هما أعظم شعائر الإسلام وأطهرها (الصلاة والحد)، والتي قد تقرر ما لها من الأصل الأصيل في الدين بالحداد إبراهيم وإسماعيل إياها مثابة ومصلى ولكن هذا لم يكن كافياً لإسكات المحادّين الذين اتخذوا من تحوّل المسلمين إليها وتركهم القبلّة التي كانوا عليها مطعماً على النبوة فتسوّا به بعض ضعفاء المؤمنين، فمست الحاجة إلى مزيد بسط في شأنها فنقرّر به الحجة ونُدْخِلْ به الشهادة، ولندلّك تراه بوجه إليها أكثر الشطرين من عبادته.

فيأمر النبي ﷺ بآدئ ذي بدء أن يجيب المسائل عن حكمة هذا التحويل جواب عزة ورياء، يرد الأمر فيه إلى من لا يسأل عما يفعل، قائلاً لهم: إن أحببت كلها سواء، يوجه الله منها إلى ما يشاء، وهو الذي يهدي إلى الصراط المستقيم.

ثم أحد يأمر النبي ﷺ نارة، والمؤمنين نارة، ويأمرهما معاً نارة أخرى، في أسلوب مؤكد مفصل أن يشتوا على هذه القبلّة حيث هم، وفي كل مكان يقيمون فيه حصراً، وفي كل مكان يرحلون منه سراً.

وطبق يشر في نصاعيف هذه الأوامر المؤكدة ما شاء من تعريف بأسرار التشريع القديم والجديد، فيقول: إن تشريع تلك القبلّة الوقتية ما كان إلا اختباراً لإيمان المهاجرين؛ لينبئ من يتبع الرسول ﷺ عن يقين على عقبيه، وأما تشريع هذه القبلّة الساقية فإنه يبطوي على الحكيم البالعة والمقاصد الخليفة، فهي القبلّة الوسطى التي تليق بكم أينما ألهه الوسطى، وهي القبلّة التي نرصّها يا أيها النبي والتي طالما قلبت وجهك في السماء مستشرفاً إلى الوحي بها، وهي القبلّة التي يعدم أهل الكتاب أب الحق من ربهم، وإن كانوا يكتفون ذلك حسداً وعناداً، وهي القبلّة التي يشهد الله بأنها الحق من عبده، وأحبراً هي القبلّة التي لا ينفي لأحد من المصنفين

حجة عليكم أما تطلمون فمن ينقطع جدالهم في شأنها ما بقيت عداوتهم لكم، ولكن لا تحشوهم، بل وطئوا أمتكم على التصحبة في سبيل الله، واصرروا ولا تحربوا عن من سيفضل مكم في هذه السبيل؛ فإن الموت فيها هو الحياة الباقية ثم أوما بي أن الجدال في هذه الفسلة ليس صدًا عن الشعائر التي في دحل المسجد حرام فحسب، بل هو كدلت صدًا عما حوله من الشعائر ﴿إِنَّ الصَّدَّ وَالْمَزْوَةَ مِنَ شَقَائِرِ أَلْفٍ﴾.

ثم أكد أمر هاتين لشعيرتين عن نحو ما أكد أمر الفسلة بالتحريض بأهل الكتاب الذين يعلمون أصلهما في تاريخ إبراهيم، ولكنهم يكتمون ما أمره الله من البيات وهم يعلمون.

أرأيت هذه المراحل الأربع التي سلكها القرآن في دعوة بني إسرائيل كيف رتبها مرحلة مرحلة، وكيف سار في كل مرحلة منها خطوة خطوة.

فارجع النظر مرة أخرى إلى هذه المرحلة الأخيرة منها، لتتظر كيف استخدم موقعها هذا لتحقيق غرضين مختلفين، وجعلها حلقة اتصال بين مقصدين متباينين. فهي في حمتها مساجاة من الله للنبي والمؤمنين في خاصة شأنهم وفيما يعيهم من أمر دينهم، ولكنه جعل لهذه السجوى طرفين، ثوّن كل طرف منها بنو المقصد الذي يتصل به، فالتقى المقصدان فيها على أمر قد قبز.

ألم تر كيف بدأها بأن قصّ على المؤمنين مقالة أعدائهم في بعض حقائق الإسلام، وعمد إلى هذه الحقائق التي تماروا فيها، فجعل يمحج عذر لشبهه عن وجهها حتى حلاها بفضاء للباطرين فكانت هذه الدية كما ترى نهاية لتلك المعارك الطويلة التي حُورب فيها الباطل في كل ميدان

ثم رأيت كيف ساق الحديث فجعل يثبت أقدام المؤمنين على تلك الحقائق النظرية والعملية، ويحرضهم على الاستمسك بها في غير ما آية.. أفلا نكون هذه

للهية بداية بقصد جديد بعدها يراد به هداية المؤمنين إلى معالم الإسلام مقصده

نفس إن ذلك هو ما توحي به سياقه هذه المحوى المتواضعة، التي مدت في حطاب المؤمنين مَدًّا وحوثت بحرى الحدث معهم رويدًا رويدًا، حتى صار كل من أنقى سمعه إليها مثبًا، يسمع في ظلها نداء خفًّا أن هرعنا اليوم من الأعداء جهادًا، وأقبل على الأولياء تعليلًا وإرشادًا، وأن قد طويبا كتب المجار، وجنا مفتوح كتاب الأبرار، وأن هذه الصفحة الأخيرة من دعوه بني إسرائيل لم تلك إلا طبيعة من كائنات الحق، تعيد أن سيتلوه حيثه الحرار، أو شعاعة من فجر الهدى سيتحول الرمان من سواد الليل إلى بياض النهار، ألا ترى أيذان قد أصبح حالًا من تدث لأشباح الإسرائيلية التي كانت تراءى لك في ظلام الباطل تهاجمها وتهاجمت. هل تحبهم من أهم من أحد أو تسمع لهم ركرا؟

أو لا ترى هذه الأشعة الأولى من شمس الشريعة الإسلامية قد انبثقت يسوق بعضها بعضاً أصول جامعة نظرية، تسعها طائفة من فروعها الكبرى العملية.. ألم يأت لسائر الفروع أن تجيء من حلقها حتى تبلع الشمس صفاها؟

هكذا تفتحت الأذان لسماع شرائع الإسلام مفصلة. فلو أنها أُقبلت عليها الآن  
عدًا وسرًا ما حسب الحديث عنها حديثًا مفصلاً.

بكر القرآن، وقد وصع على أدق الموارد اللغوية وأرفقها بحاجات النفوس، لم يشأ أن يهجم على المقصود مكتفياً بهذا التمهيد، بل أراد أن يقدم بين يديه شقة تستنجم النفس فيها من ذلك السر العبد. وتأخذ أهبته لرحلة أخرى إلى ذلك المقصد الجديد. فانه أرفقها يلي:

المدخل إلى المقصد الثالث: في خمس عشرة آية (١٦٣-١٧٧)،

[illegible]



ما مضى من تعظيم أمر الكعبة والمقام والصفا والمروة كان من شأنه أن يُنقضي في روع  
 يحدث العد بالإسلام معنى من معاني الوثنية الأولى في تعظيم الأحجار والموائد،  
 ولا سيما وهذه الأماكن المقدسة كانت يومئذ مئة للأصنام ولأصنام من حولها  
 ومن حولها، فوجب ألا يترك هذا التعظيم دون تحديد وتقييد، وألا يترك هذه  
 الخدمات لمسية دون دفع وإبعاد، حتى لا يبقى شئ في أن قيام لمصبيين عند مقام  
 إبراهيم وبوحيه وحوهم نحو الكعبة، وتوسع انطاعين بأركانها، وطواف الحجج  
 والمعتبرين بين الصفا والمروة، كل أولئك لا يقصد به الإسلام توجيه لقلوب إلى  
 هذه الأحجار والآثار، ترلقاً بعبادتها أو رجاء لرحمتها أو طلباً بشفاعتها، وإنما يقصد  
 تعظيم الإله الحق وامتنان أمره بعبادته في موطن رحمته ومطأن بركته التي تزلزلت  
 فيها على عباده الصالحين من قبل، ثم تحديد ذكرى أولئك الصالحين في النفوس،  
 وتمكين محبتهم في بقلوب، باقتناء آثارهم، والتأسي بحركاتهم وسكناتهم، حتى  
 يتصل حاصر الأمة بياصبيها، وحتى تنتظم معها أمة واحدة تدور حول محور واحد،  
 وتتحه إلى مقصد واحد هو أعلى المقاصد وأسمىها **﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهُ وَجْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾**  
 أتدرون ما هو ؟ به يمس الكعبة وليس الصفا والمروة، وليس إبراهيم ولا مقام  
 إبراهيم، ولكنه **﴿أَرْحَمُ الرَّحِمِ﴾** الذي وسع كل شيء رحمة ونعمة **﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ وَأَحْيَا النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ وَالْمَلَائِكَةَ خَلَقَ مَا يَشَاءُ وَمَا أَرَلِ اللَّهُ مِنَ الشَّيْءِ مِنْ قَدَرٍ  
 فَأَنْتَ بِدَارِ الْأَرْضِ بَدْمُونِيَّ وَتَنْتَ بِمَكَايِمِ حُدُودِهَا وَتَحْرِيبِ الْإِنْتِجِ وَالنَّحْبِ الشَّعْصَرِيِّينَ النَّسَاءَ وَالْأَرْضِ  
 لَا يَسْتَوِي الْقَوْمُ يَسْتَوُونَ﴾**، والذي بيده القوة كلها والسأس كله لا يعدد عدايه أحد ولا  
 يوثق وثاقه أحد **﴿وَلَوْ رَئَى الْوَيْلَ مَسْجِدَ بَنِي إِسْرَءِيلَ الَّذِي بَنَوْا لَفَدَتْ عَنْهُمْ آخُوهُمُ أَجْمَعِينَ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾**.

#### هذا من جانب المقصد الذي وقع الصراع منه

وأما من جانب المقصد الذي أقبلنا عليه فإن هذه الخطوة كانت أساساً وتقدمة  
 لا بد منها قبل الشروع في تفصيل الأحكام العملية، لتكون توجيهاً للأبصار إلى  
 الساحة التي ينبغي أن يتلقى منها الخطابات في شأن تلك الأحكام ذلك أن المرء إذا

عرف له سيدًا واحدًا وأسلم وجهه إليه وجب ألا يصدر إلا عن أمره، ولا بأحد التشريع إلا من يده. ومن كانت له أرباب متفرقون، وتربع فيه شركاء متشكسون تقاضاء كل واحد منهم نصيبه من طاعته، وكثرت عليه مصادر لأمر المصاع. فأمر للأناء والعشرة، وأمر للعرف والعوائد الموروثة والمستحدثة، وأمر لِسادة والكبراء، وأمر للشياطين والأهواء. ولذلك عررها بالخطوة ثنية.

### (الخطوة الثانية) تقرير وحدة الأمر المصاع

وهي ركن عقيدته لتوحيد في الإسلام، فكما أن من أصل لتوحيد ألا تتحد في عبادتك إفا من دون الرحمن الذي يده الخلق ولررق والصر والعم، كذلك من أصل التوحيد ألا نجعل لغيره حكمًا في سائر تصرفاته، بل تعتقد أن لا حكم إلا له، وأن يده وحده الأمر ولهي، والحلال ما أحله الله، والحرام ما حرّمه الله، ومن استحل حرامه أو حرم حلاله فقد كفر. وكما أنه لا يليق أن يكون هو الخالق ويعبد غيره، والرازق ويشكر غيره، لا يليق أن يكون هو الحاكم ويطاع غيره.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِن ثَمَرِ الْأَرْضِ حِينَ جَاءَ وَلا تُلْوُوا حُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾

ولقد سلّك في تقرير هذه الوحدة التشريعية نحوًا من مسلكه في تقرير وحدة الإلهية.

فقد أهداه بأن تعرف إلى الناس بعمّة الله الشاملة ورحمته لكامله في سهولة الشريعة وملائمتها للمطرّة، إذ إنه في سعة الاختيار لم يحرم عليهم من اطعام إلا أربعة أشياء كلها رجم حيث، وأحل لهم ما وراء ذلك أن يتبعوا سائر ما في لأرض من الحلال الطيب، وفي ضيق الاضطراب جعل المحظورات كلها تنقلب مباحات مرفوعًا عنها الخرج ﴿فَمَن أَضْطَرَّ غَيْرُ مَا جَ وَلا عَادِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وباهيث بهذا الأسلوب تليينًا للقلوب وحملًا ها على الخضوع لأمر هذا الرب الرؤوف بعباده أضمن يحمل لكم الطببات ويحرم عليكم الخبائث أحق أن

مطاع، أم من ﴿بِمَرْكَبِهِمْ﴾، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ عَلَى سُرٍّ﴾، ﴿لَا يَخْلِفُونَ﴾، أم من ﴿يَهْدِي إِلَى صِفِّ أَحْمَرٍ أَوْ بَيْعٍ﴾، أم من ﴿لَا تَقُولُوا شَيْئًا وَلَا يَنْبَغِي﴾

(ثم حمها) يعرفهم مدح عصه وانعامه عن يكتبه أمره وسبه ويبدلها بغيره  
أمر وسبه، وبأحد على ذلك الرضا والسحت ﴿أَوْجِبْهُ﴾ في نظونهما، لا كذا ولا  
يُسَكِّنُهُمْ أَفْئَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا تَرْحَمُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٨﴾

واسطر في مسجع هذا التقرير إذا تأمل في وجه اختيار حديث المدح  
ولمكاسب من بين صروب الحلال والحرام يرى من لطائف موقعه هما ما يعرف به  
أنه هو معروضة الوثقى التي ضد بها وثاق البيان، وسدت بها أفراح بين خطواته  
السابقة واللاحقة.

فهو من الوجهة العملية أحد تلك الفروع التي يستقل إليها الحديث عم  
قريب، فذكرها هاهنا بعد شعاراً بقرب الشروع في المقصد الجديد، ثم هو من الجهة  
الاعتقادية يتصل اتصالاً تاريخياً وثيقاً بعقيدة التوحيد التي هو بصدددها، ذلك أن  
أهل الجاهلية من وثنيين وكتابيين لما اتبعوا خطوات الشيطان فأرضعهم عن توحيد  
المعبود حتى اتخذوا من دون الله أنداداً يحوسم كحب الله لم يطل عليهم الأمد حتى  
فتح لهم باب التشريك في التشريع بعد التشريك في العبادة فجعلوا يُحَرِّمُونَ من  
الحلال والأحكام حلالها ويُحِلُّون حرامها، بل جعلوا عند ذبح أنعامهم يهلون بها لعباد  
الله - يهتمون بأسماء آلهتهم - ويستحلون طعمتها بذلك، فجمعوا فيها بين مصاد  
ثلاث المعصية، البدعة، والشرك الأكبر

كان باب التحريم والتحليل في المطاعم والمكاسب كان هو أول باب قُتِعَ في  
اجاهلية للشريع بغير إذن الله، ولذلك كان هو أول باب سَدَّه القرآن بعد باب  
الشرك الأكبر فترى الهي عن والبص عليه وبان الحق فيه تالياً للذكر العقائد حتى



في السور الملكية كسورة الأنعام<sup>(١)</sup>، والأعراف، ويونس، والحمل، وغيره

وبما ردد موقعه هذا خُصّاً أن عبته في سياق ذكر الوحيد وقع عدلاً لحجي، حكم  
لقبله في سياق ذكر مئة يرهيم، فكلاهما فرعٌ عظيم يتصل بأصل عظيم ألا ترى  
كيف جسم الكلام في شأنه يمثل ما حتم به هناك من وعيد المعاندين ﴿تَدْنِي يَحْشُرُونَ  
مَا أَمَرَ اللَّهُ﴾ أو لا ترى كيف أن الإسلام جعل مسائلتي القنعة ولذبايح كديهما من  
الشعائر التي يتميز بها المسلم عن غيره كما يتعبّر بالشهادة والصلاة «من صل  
صلاته، واستغفر غنا، وأكل ديبحت فدنتك المسلم الذي به دمة الله ورسوله»<sup>(٢)</sup>

على أن بدعة التحريم بالرأي في هذا الباب لم تقتصر على لفظة لخارحة عن  
الملة، بل إن بعض المسلمين في عصر النبوة كادت نصيبهم عدوى لأمم فلهم؛ إذ  
هموا أن يترهوا، ويحرموا على أنفسهم الطيبات من الطعام وغيره، لا تحريم لما أحل  
الله فيها بل رهادة فيها وحملاً للنفس على الصبر عنها بضرب من التذر أو البهيم  
أو العريضة المصقمة، فرد عليهم القرآن هذا الاستداع وأعلق به، علافاً، حتى لا  
يكون مدرجة لما وراءه، وبشبههم أن من قضية توحيدهم لله أن يرلو على حكمه فيما  
أحل لهم، قياماً فيه بشريعة الشكر، كما يرلو على حكمه فيما حرم عليهم قياماً فيه  
بشريعة الصبر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا سَبِّحُوا مَا بَدَأَ الْفَلَاحَ وَشَكَرُوا لَهُمْ كَلَّكُمْ فِيهَا  
قَبُولُكُمْ

(١) قرأ في سورة الأنعام سبباً وعشرين آية أولها قوله ﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ رَاسِياً مُسَبِّحِينَ﴾ وفي سورة الأعراف قوله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الآية (٣٢، ٣٣)، وقوله: ﴿مَنْ خَلَفَ مِنْ بَنِيهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْذَنُونَ عَنْهُمْ  
هَذَا الَّذِي﴾ الآية (١٦٩)، وفي سورة يونس قوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أُنزِّلَ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ  
فَتَعْلَمُونَهُ حَرَاماً وَحَلَالاً﴾ [يونس، ٥٩، ٦٠]، وفي سورة الحمل قوله ﴿وَلَا تَشْرَبُوا بِمَنْهِي اللَّهِ ثَمّاً  
فِيلاً﴾ [الآية ٩٥]، وقوله ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالذَّهْنَ﴾ [الآية ١١٥، ١١٦]

(٢) رواه البخاري عن أنس بن مالك، ك / الصلاة، ب / فصل استعان الصلح يستعمل بأطراف ر حبه  
(٣٧٨) رواه مسلم عن البراء، ك / الأصحح، ب / وفيها (٣٦٢٦)،

ونظر كيف كان خطاب الناس عامة بهذا لأصل ولواحقه توطئة لخطاب المؤمنين خاصة به وبما سيلوه من الأحكام، كما أن خطاب الناس عامة بأركان الإسلام في صدر السورة كان توطئة لما تلاه من خطاب سي إسرائيل خاصة بدعوتهم إلى الدحول فيه قلت وقلت هل ترى أحسن من هذا النسق المتقابل المتعادل؟

والآن، وقد أحدث النص أمتها ليلقى سائر الأوامر والنواهي انظر كيف خطا إليها الخطوة الثالثة والأخيرة.

### (الخطوة الأخيرة) إجمال الشرائع الدينية

وترى فيها عجائب من صنعة النسق:

١- انظر إلى حسن التخصّص في ربطه بين المقصد القديم، والمقصد الجديد على وجه به يتصلان لفظاً، وبه يتصلان حكماً.. فهو في جمعها لفظاً كأنه يصع إحدى قدميك عند آخر الماضي، وثانيتهما عند أول المستقبل. ولكنه في تعريفها حكماً بأداة السعي والاستدراك، كأنها يحول قدميك حيث إلى الأمام ﴿بَسَّ إِلَهٌ أَنْ يُولُوا وَيُؤْمِنُوا﴾. ﴿بَسَّ إِلَهٌ أَنْ يُولُوا وَيُؤْمِنُوا﴾.

يقول: إن مسألة تعيين الأماكن والجهات في مظاهر العبادات تلك مسألة التي شغلت بال المحالفين والمؤلفين بقداً ورداً ليست هي كل ما يطرب الاشتغال به من أمر الله، بل هي شعبة واحدة من حملة الشُّعب التي تشتمل عليها حصة واحدة من جملة حصاله، وإياها الر كلمة جامعة لخصال الخير كلها، بطريقة وعمية، في معاملة المخلوق، وعبادة الخالق وتركية الأخلاق، فبتلك الخصال جميعها فليشتغل المؤمنون الصادقون.

٢- ثم انظر إليه حين أقدم على تفصيل تلك الخصال كيف أنه لم يقبل عليها دفعة واحدة، بل أحد بتدرج إليها في رفق ولين، فتقدم بكلمة فوق الإجمال ودون

٣- وانظر إلى سرد قوعد الإيمان ها كيف عدل بها عن برئها المصوغ الذي رعه في صدر السورة عبر مرة، فتراها يجمع بين الطرفين الإيمان بالله واليوم الآخر، وحتم بالواسطة الإيمان بالملائكة والكتاب والرسول؛ ذلك لأن من هذه الوسائط تعرف الأحكام الشرعية، وعن يدها تؤحد، فأحرها لتصل بها تدت الأحكام؛ حتى لا يحول بين الأصل وفرعه حائل؛ ولدت راعي تريب أركان هذه الوسطة فيما بينها. فصدّر بالملائكة وهم حملة الوحي، وثى بالكتاب وهو الوحي المحمول، وثلث بالرسول وهم مهبط الوحي ومن ها اتصل بيان تدت الشرائع التي وصلت إلينا عن طريق النبوة.

[illegible]



[illegible]

قَالَ لَيْسَ هُوَ الْمَعْرُوفُ (١٣٨) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَنْكِحَ رَجُلًا أُخْرَى مِنْ طَلَّقَهَا وَلَا يُجَازِ عَمَلُهَا أَنْ يَنْكِحَ  
 إِنْ طَلَّقَ أَنْ يَنْكِحَ حَذُودَ اللَّهِ وَقَدْ حُدِّدَ اللَّهُ يُنْكِحُ بِقَوْلِهِ يَنْكِحُونَ (١٣٩) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَسْنَ لِبَنَاتِكُمْ  
 بِمَعْرُوفٍ أَوْ مَرْحُومٍ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُكْرَهُنَّ بِزَوْجٍ لَفَسَدُوا وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تُلَاحِظُوا عَلَيْهِمْ  
 اللَّهُ عَزَّ وَادْرَأْهُ يَقْبِضُ اللَّهُ عَيْنَكُمْ وَمَنْ أَرَادَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكُفْبِ وَالْجَنَاحِ يَبْظُرْ بِهِ وَأَعْمُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنْ  
 اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٤٠) وَإِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَسْنَ لِبَنَاتِكُمْ وَلَا تَحْشَرْنَ أَنْ يَنْكِحَنَّ أُولَئِهِنَّ إِذَا رَضُوا بِهِمْ  
 بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ بِوَعْدِ اللَّهِ مِنْ كَلِمَتِكُمْ قَبْلُ يَوْمَ اللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ ذَلِكَ لَكُمْ وَاللَّهُ يَتَّقِي وَأَنْتُمْ لَا تَتَّقُونَ  
 (١٤١) وَالزَّوَالِدُ بِرَبِّهِمْ أَوْلَهُمْ كَمَا لِيَ الْإِزَادُ أَنْ يَنْتِ الرِّضَاعَةُ وَعَنِ الْمَوْلُودِ لَهُ يَرْجِعُ وَيَكُونُ  
 بِالْمَعْرُوفِ لَا يَكُفُّ عَنْهُ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِرِضَا ذَاكَ وَلَا يُولَدُهَا وَلَا يُولَدُ لَهُ يُولَدُ وَعَنِ الْوَالِدِ وَمَنْ ذَلِكَ فَإِنْ  
 أَرَادَ بِهَا لَوْ رَضِيَ مِنْهُ وَتَوَلَّى وَلَا جَازِ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَ رَجُلًا أُخْرَى فَلَا جَازَ عَلَيْهِمْ إِذَا سَلِمْتُمْ  
 مَا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ وَأَعْمُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٤٢) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَعَذَّبُونَ أُولَئِكَ يَرْجِعُونَ  
 بِأَنْفُسِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِنْ نَفَسَ أَحَدُهُمْ فَلَا جَازَ عَلَيْهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا  
 تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٤٣) وَلَا جَازَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَزَمْتُ بِهِ مِنْ حَتَّى يَكُونَ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمٌ أَنَّكُمْ  
 سَتَذَكَّرُونَ وَلَكِنْ لَا تَرَوْهُمْ بَرًّا وَلَا أَنْ يَقُولُوا هَذَا مَقْصُودٌ وَلَا تَضْرِبُوا عَقْدَهُ الْيَسْكَاجَ حَتَّى تَلْعَ  
 الْكَيْسَ أَحْلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْتَ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْمُوا أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا جَازَ عَلَيْكُمْ  
 إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَكُمْ شَرْهٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ مَرَضٌ عَلَى التَّوَسُّعِ فَدَرُّهُ وَعَنِ الْتَقْرِيرِ فَدَرُّهُ مَعَ الْمَعْرُوفِ  
 خُفَا عَلَى تَحْيِيهِ (١٤٤) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْهُوَ وَقَدْ مَرَضْتُمْ لَهُ مَرَضٌ فَصَلِّ مَا مَرَضْتُمْ وَلَا أَنْ  
 يَنْتَ تَرَوْهُ تَوَسَّعُوا إِلَى يَدِهِ عَقْدَةُ الْيَسْكَاجِ وَأَنْ تَعْمُوا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَلَا تَعْمُوا الْقَصْدَ بَيْنَكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ بِمَا  
 تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٤٥) حَبِصُوا عَلَى نَفْسِكُمْ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَتَوَسَّعُوا إِلَيْهِ قَسَدٌ (١٤٦) إِنْ جَفَسْتُمْ فَرَحَالًا أَوْ  
 زَكِيًّا فَإِذَا أَمْسَمْتُمْ فَادْعُوا اللَّهَ كَمَا عَمِلْتُمْ مَا لَكُمْ تَكُونُوا تَعْمَلُونَ (١٤٧) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ  
 وَيَعَذَّبُونَ أُولَئِكَ يَرْجِعُونَ بِأَنْفُسِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِنْ نَفَسَ أَحَدُهُمْ فَلَا جَازَ عَلَيْهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ  
 فَلَسْنَ لِبَنَاتِكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَتَّقِي وَأَنْتُمْ لَا تَتَّقُونَ (١٤٨) وَالنَّطَقُ شَيْءٌ بِالْمَعْرُوفِ خُفَا عَلَى  
 التَّوَسُّعِ (١٤٩) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (١٥٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَرَّحُوا  
 مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَهُمْ يُوقُونَ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ فَلَسَ اللَّهُ قَضَى عَلَى الَّذِينَ وَلَكِنْ  
 أَسْأَلُ النَّاسَ لَا يَتَعَدَّوْنَ (١٥١) وَقِيلُوا يَا سَيِّدُ اللَّهِ وَأَعْمُوا أَنْ اللَّهُ يَتَّقِي عَيْسَى (١٥٢) مَنْ دَ الْوَيْ  
 يُفَرِّشُ اللَّهُ فَرَشًا حَسَنًا مُصَوِّمَةً لَهُ لَمَعَةٌ حَكِيمَةٌ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَنْشُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٥٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى  
 الْفَلَاحِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مَنْ يَنْتَ مَوْسَى إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا سَيِّدُ اللَّهِ قَسَدٌ قَل  
 عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَالِمِينَ لِقَوْلِ الْأَنْبِيَاءِ قَالُوا وَمَا لَنَا لَا نَقْبِلُ يَا سَيِّدُ اللَّهِ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ  
 وَبَرًّا وَأَمَّا بَيْنَا وَمَا لَيْسَ بَيْنَنَا مِنْكُمْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَعْرُوفِ (١٥٤) وَقَالَ لَهُمُ  
 نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَارُوتَ مِنْكُمْ قَالُوا لَوْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ أَنْ يَكُونَ غَلِيظًا وَخَشِيًّا بِاللَّذِينَ يَنْتَ

[illegible]

تُصَوِّفُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَبْعِينَ سَنَةً أَوْ فِي مِائَةِ سَنَةٍ حِينَ وَفَّقَهُ تَصَدَّقُوا لِمَنْ بَشَاءَ  
 وَلَهُ وَصِيٌّ عَلَيْهِمْ ۖ يَدْرُسُ تَصَدَّقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَبْعِينَ سَنَةً أَوْ فِي مِائَةِ سَنَةٍ وَلَا تُدِي لَهُمْ أَرْزَاقُهُمْ  
 حَتَّى رِيحُهُمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَأَنْتَ مَعْرُوفٌ وَمُعْتَصِرٌ ۖ حَتَّى مِنْ حَتِّهِمْ يَسْمَعُوا أَدَى  
 وَفَّقَهُ عَنِ حَبِيبٍ ۖ بِأَنْبَاءِ النَّاسِ ۖ مَنْ لَا يَطْغَوْا فِيكُمْ فَعَلِمَ أَنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا تَعْمَلُونَ ۖ وَلَا  
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَسَىٰ أَمْرُهُمْ أَنْ يَنْصَرِفَ عَلَيْهِمْ مَا كَسَبُوا مِنْهُمْ لَا يُعْدِرُونَ عَلَىٰ مَوَدَّةٍ  
 مِنْكُمْ حَتَّى لَا يَهْدُوا عَوْدَ الْكَلْبِ ۖ وَمَنْ لَدُنْ يُصَوِّفُوا أَمْوَالَهُمْ أَيْعَالَهُمْ فَرَسَاكِبُ اللَّهِ  
 وَيُثْبِتُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَسَلٌ كَمَنْ يَنْزِلُ أَسَافَةً وَمَنْ لَدُنْ يُصَوِّفُوا أَمْوَالَهُمْ أَيْعَالَهُمْ فَرَسَاكِبُ اللَّهِ  
 وَلَهُ يَنْصَرِفُونَ بِصَبْرٍ ۖ أَلَمْ يَكُنْ أَمْوَالُكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي سَفَرٍ مِنْ سَبِيلٍ وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
 لَهُ يَهَيِّئُ مِنْ حَتَّى تَنْسَرِبَ وَأَصَانَةُ الْكَبِيرِ ۖ وَلَهُ ذَرْبَةُ شُعْلَةٍ فَأَصَابَهَا نِجَاسٌ مِنْهُ نَارٌ فَانْفَجَسَتْ فَكَذَلِكَ  
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾ بِأَنْبَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا مِنْ طَائِفَةٍ مَا حَقَّقْنَاهُ  
 وَمِمَّا أَخْرَجْنَاكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ مِنْهُمْ وَلَنْ يَنْصَرِفَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ تُبَيِّنُوا لَهُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ  
 اللَّهُ عِنْدَ حَبِيبٍ ۖ لَنْ يَنْصَرِفَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ تُبَيِّنُوا لَهُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عِنْدَ حَبِيبٍ ۖ وَلَهُ يَنْصَرِفُونَ  
 وَمَنْ غَيْرُ اللَّهِ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ  
 أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ ۖ وَمَا أَمْنُهُمْ مِنْ تَحْقِيقِهِمْ لَوْ سَدَرْتُمْ مِنْ كَيْدِهِمْ فَفَكَرُوا ۖ وَمَا لَظَهَرِيكُمْ مِنْ  
 أَنْبَاءِ اللَّهِ ۖ يَنْصَرِفُونَ الْقَدْرَ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَهُمْ يَنْصَرِفُونَ الْقَدْرَ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَهُمْ يَنْصَرِفُونَ الْقَدْرَ مِنْ بَيْنِهِ  
 عَنْكُمْ مِنْ سَكِينَتِهِمْ وَأَنَّ يَنْصَرِفُونَ حَتَّى ۖ لَنْ يَنْصَرِفَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ تُبَيِّنُوا لَهُمْ وَلَنْ يَنْصَرِفَ مِنْهُمْ  
 مِنْ بَيْنِهِ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ  
 يَوْمَ يَنْصَرِفُونَ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ فَتَعْلَمُوا الَّذِينَ أَنْصَرَفُوا مِنْ سَكِينَتِهِمْ لَوْ سَدَرْتُمْ  
 سَكِينَتِهِمْ الْأَنْبِيَاءُ يَنْصَرِفُونَ الْحَكِيمُ مِنْ أَنْبَاءِ اللَّهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ  
 الْكَلْبُ مِنَ الْعَسَاكِرِ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ  
 وَالْهَكَامُ مِنْهُمْ وَعَلَايِكُمْ طَائِفَةُ أَمْوَالِهِمْ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ ۖ وَمَنْ يُؤَيِّسُ الْيَمِينُ مِنْ بَيْنِهِ  
 يَأْكُلُونَ زَرْعًا لَا يَأْكُلُونَ ۖ وَلَا يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ  
 أَرْبَابًا وَأَهْلَ اللَّهِ أَنْصَرِفُوا مِنْهُمْ وَأَهْلَ اللَّهِ أَنْصَرِفُوا مِنْهُمْ وَأَهْلَ اللَّهِ أَنْصَرِفُوا مِنْهُمْ وَأَهْلَ اللَّهِ  
 فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ سَائِرِهِمْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ  
 ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكُنْ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٤﴾ بِأَنْبَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا مِنْ طَائِفَةٍ مَا حَقَّقْنَاهُ  
 لَمْ تَعْلَمُوا قَدْ نَزَّلْنَا بِحُزْنٍ مِنْكُمْ وَهُمْ لَا يَحْزَنُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
 وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَى تَبَيُّنِهِمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
 تَرْجِعُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تَوَلَّيْ كُلَّ حَيْثُ مَا كَسَبْتُمْ وَهُمْ لَا يَحْزَنُونَ ﴿١٠٧﴾ بِأَنْبَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا مِنْ طَائِفَةٍ مَا حَقَّقْنَاهُ







موجر، استراه فيما يلي مبسوطاً في بيان مفصل

لهي صف ومائة آية، سرى لنا جديداً من المعاني، مهمته رسم نظم العمل للمؤمنين، وتمصيل الواجب والحرام والحلال هم في شتى مباحي الحياة في شأن الصرد، وفي شأن الأسره، وفي شأن الأمانه - ياناً مؤتلفاً تارة، وجوانباً عن سؤال تارة أخرى، متولاً في حفته عشرات من شعب الأحكام.

هذه الحكمة العامة في تأخير إقامة البيان، ريثما أرسيت قواعده، وفي تأجيل المروع حتى أحكمت أصولها، سدو من ورائها حكم جرنية، وأسرار دقيقة، لم أقل على هذه المروع، ينظر إلى تلاصق لائها في نيتها، وتناسق حياتها في قلاذئها، ثم رجع ينظر في وجه التقابل بين ذلك الإجمال السابق، وهذا التمهيل اللاحق.

**فلنأخذ في استعراض الحلقات الرئيسة لهذه السلسلة الجديدة.**

### **الحلقة الأولى: حلة الصبر**

لقد حتمت آية البر كما رأيت، بحصلة من حصان لبر، مُبَرَّت في إعراسها تغييراً، فكان ذلك توبيهاً بشأنها أي توبيه.. تلك هي حلة الصبر، التي شَعَبَتْها الآية المذكورة إلى ثلاث شعب الصبر في البأساء والصبر في الصراء، والصبر حين البأس فهل تعلم أنه الآن وقد بُدئ دور التمهيل، ستكون هذه الحصلة بشعبها الثلاث، أول ما تُغْنِي لسورة بشره من تلك الخصال، وأنها منشرها بشرًا مرتين ترتيباً تصاعدياً على عكس ترتيب النبي. لصبر حين البأس، ثم الصبر في الصراء، ثم الصبر في البأساء وهل تعلم أن هذا النظم التصاعدي نفسه سيتبع في سائر الخصال. الوفاء بالعهود و لعقود ثم إمامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والعدل والتصحية في سبيل الله؟ إليك البيان مفصلاً:

### **الصبر حين البأس (١٧٨- ١٨٢)**

لا تحسه هنا صبراً على المروح والقروح في الحرب، فذلك معنى سلبى

استسلامي؛ ولا نخسره صبراً في الوطن والفتن بالأعداء. فذلك جهد علمي، بجاني حقاً ولكن مرده إلى قوة العصل والعصب لا إلى قوة الخلق والأدب ليس لشديد الصلابة، ولكنه الذي يملك معه عند العصب<sup>(١)</sup>. هكذا سيحار الله لنا من مثل الصبر أمثاله، ومن مواربه أورتها في معايير القيم، ذلك هو صبط النفس حين البأس؛ كفها عن الاندفاع وراء ناعثة الانتقام، وردعها عما عن الإسراف في القتل ووفقاً بها عند الحد التهازل والنكافز العادل (الفصا ص ١٧٨-١٧٩) ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ يَزِيدُ فِي الْكُفْرِ الْوَيْسَارَ فِي الْقَتْلِ كَثُرٌ بِالْخَيْرِ وَالْبَرِّ وَالْإِنْسَانِ فَهُمْ غَنِيٌّ لَهُ مِنْ آيِهِ قُوَّةٌ قَاتِلَةٌ بِالْمَعْرُوبِ وَأَذَلَّهُ بِإِتْوَاهِهِمْ دُونِ غَشْيِهِمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِنْ لَدُنْهِ بِعَدَدِ ذَلِكَ عَدَّةٌ آيَةٌ ١٨٠﴾ وَلَكُمْ فِي الْقَصَاصِ حِكْمَةٌ لِيُتَوَكَّرَ عَلَى الْآيَةِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨١﴾

وإذ كان تداعي المعاني يسوقها من الحديث عن القتل، إلى الحديث عن هم بشرف الموت، داسب تسجيم الكلام ببيان ما يجب على المحتضر من الوصية لأقاربه برأبهم (الوصية ١٨٠-١٨٢) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْقُرْبَى حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ فَصَّ بِذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُتْلُوهُ إِذَا أَفْتَحَ بِحَبِّهِ عَمٍ ١٨١﴾ فَصَّ حَافٍ مِنْ مَوْصٍ جَفَّ أَوْ إِنَّمَا فَاضَلَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِذْ أَلَّهِ عَفْوٌ تَرَجُّدٌ ١٨٢﴾

### الصبر في الصراء

وكذلك سيحار الله لنا من أبواب الصبر في الصراء أعلاها، ليس الصبر على الأمراض والألام بطلاق. ولكنه الصبر على الطعام والمحضنة في طاعة الله (الصوم ١٨٣-١٨٧) ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ يَزِيدُ فِي الْكُفْرِ الْوَيْسَارَ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ آيَاتُهَا مُصَدِّدَاتٌ فَمَنْ كَذَّبَ بِهَا مِنْكُمْ فَبِمَا أَوْعَدَ سَقَرٌ مُبْدًةٌ مِنْ آيَاتِهِ أَمْ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ ذَرْبَهُ حَقَامٌ يَنْكَرُونَ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) بحاري عن أبي هريرة، ك / الأدب، ب / الخبر من العصب (٥٦٤٩)، ومسلم عن أبي هريرة، ك

/ امر والصلة و لاداب، ب / فصل من يملك معه عند العصب وأي شيء، (١٧٢٣)

تَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى  
وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أُسْبُعٍ  
أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا إِلَهُكُمْ وَلِتُحْكِمُوا لَدَيْكُمْ مَا  
هَدَىٰكُمْ وَمَعَصَكُمُ فَتُكْرِمُوا ۚ ثُمَّ إِذَا سَأَلْتُمْ عَنِّي فَيَوْمِي قَرِيبٌ أَجِيبُوا دَعْوَةَ اللَّهِ  
إِذَا دَعَا ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِهِمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٨﴾ لَبَّيْكَ اللَّهُ الصِّيَامُ الرَّفْعُ إِلَى  
سَبَاطِكُمْ مِّنْ يَّاسٍ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ يَاسٌ لَهُمْ ۖ عِلْمُ اللَّهِ أَمَّكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَصَحَّكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ  
وَعَقَابَكُمْ فَالَّذِينَ نَزَلُوا مِنَّا سَمِعُوا مَا كُنْتُمْ أَفْعَاءَ لَّهُمْ وَكُنُوا وَاشْرَوْا حَتَّى يَنْبِشَ لَكُمْ الْعَبْتُ الْأَيْسَرُ مِنَ  
الْحَبْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا النَّيِّمَ إِلَى الْبَلِّ وَلَا تَتَّبِعُوا هَمَّكُمْ وَأَمَّا عَنْكُمُ فِى السَّجْدِ يَتْلُو  
حُدُودَ آفُو فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِنَاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٩﴾ ، ويساق  
الحديث عن الصوم المؤقت عن بعض الحلال، إلى الصوم لدائم عن السحت  
واحرام (١٨٨) ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْخُصْمَائِ بِتَأْكُلُوا مَرْبَاحًا مِّنْ  
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٨٩﴾

### الصبر في البأساء

وعلى هذا النمط نفسه، سرى الصبر في البأساء ما ليس هو ذلك الصبر  
الاضطراري على الفقر والأزمات المالية والحوادث السماوية، ولكنه الصبر  
الاختياري عن التصحية بالأموال؟ إيفاقاً لها في سبل الله. والمثال لدي يختاره  
التبريل الحكيم هنا مثال مردوح<sup>(١)</sup>، يتظم الصبر في البأساء والضراء جميعاً، إذ يجمع  
بين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال (الحج إلى بيت الله ١٨٩-٢٠٣) ﴿ يَتَقَلَّبُكَ عِى  
الْأَهْلِيَّةِ قُلٌّ مِّنْ مَّوْقِفَتِ النَّاسِ وَالْحَيِّجِّ وَلَيْسَ إِلَيْكَ يَأْتِ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُوبِكُمْ وَلَكِنَّ إِلَيَّْ مَنِي  
أَشَقُّ وَأَنْتُمْ الْبُيُوتَ مِنْ أَيْوَاهِكُمْ وَأَنْتُمْ أَفْعَاءُ لِّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨٩﴾ وَفَتَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ وَلَا تَعْدُوا إِلَيْكُمْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكِبِينَ ﴿١٩٠﴾ وَتَلَّوْهُمْ حَيْثُ تَقِفُوهُمْ وَأَتْرَفُوهُمْ  
مِّنْ حَيْثُ أَتْرَفُوكُمْ وَأَلْبَسُوا أَشَدَّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْبَلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ لِلْعَرَبِ حَتَّى يَقْبَلُوكُمْ مِنْهُ فَإِنْ تَلَّوْهُمْ  
فَاتَلَّوْهُمْ كَذَلِكَ حَرَّمَ الْكُفْرَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ سَبَّهَا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَبِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
وَكُونُوا

(١) بل إن شبك ملك ربه منبت الألواد؛ لأنه سيدخل في ثيابه الصبر حين البأس في مجاهدته أعداء الله

أَلَدَبُ اللَّهِ هُوَ أَسْبَغُ مَا غَدَوْتُ، لَا عَلَى الطَّبْعِ ﴿١٢٦﴾ أَتَشْتَرُ الْحَرَامَ بِالتَّهْرِ الْحَرَمِ وَلَمْ تَشْتِ بِصَاحْتِ نَفْسٍ  
 غَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَمَّ بِمَنْشَى مَا تَعْدَى عَلَيْكُمْ وَتَقُوا اللَّهَ وَاعْتَمُوا إِلَى اللَّهِ مَعَ سَنِينِ ﴿١٢٧﴾ وَأَتَقُوا فِي  
 نَيْبِ اللَّهِ وَلَا تَنْفَرُوا بِأَيْدِيكُمْ نَهَيْكُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَى اللَّهِ يُحِبُّ النَّصِيحَ ﴿١٢٨﴾ وَأَتُوا الْحَجَّ وَالضَّرِيقَةَ فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ  
 قَدْ أَتَيْتُمْ مِنْ تَعْدَى وَلَا تَحْبَبُوا زُرْتُمْ حَتَّى مَعَ الْهَدَى بِحُلَّةٍ مِنْ تَحْتِ بَيْتِكُمْ مَهِيَّتٌ أَوْ يَوْمَ أَدَى مِنْ رَبِّهِ .  
 فَعِدَّةٌ مِنْ بَيْتِهِ أَوْ مَدْفُوعٌ أَوْ مَسْجُودٌ أَسْتَمَ مِنْ نَسَمِ الْخَمْرِ إِلَى الْحَجِّ فِي تَيْسَرٍ مِنْ الْهَدَى فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَصَامِ  
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَبَعْدَهُ خَمْسَةَ تِلْكَ مَعْرَةَ كَامِلَةً ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا حَاصِرٍ مَسْجُودٍ وَأَتُوا اللَّهَ  
 وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَكِيلٌ الْعَلَبِ ﴿١٢٩﴾ الْحَجُّ أَشْهَرُ مَقْلُونَتِ نَفْسٍ وَمَنْ مَهِيَّتٌ نَسَمٌ مَلَأَتْ وَلَا تَقُولُ  
 وَلَا جَدَالٌ فِي الْحَجِّ وَمَا تَقَعْتُمْ مِنْ حَتَرِ سَلَمَةِ اللَّهِ وَتَسْرُدُوا فَلَا تَحْتَرِ الرَّدَّ الْقَوَى وَأَقُولُ  
 بِتَأْوِيلِ الْأَلْتِيبِ ﴿١٣٠﴾ سَيَسْ خَلِيكُمْ حُكَّاجٌ أَنْ تَتَشَعُّوْا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ قَدَا  
 أَفْضَلُ مِنْ عَرَفْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ عَمَدَ أَنْتُمْ الْعَرَبِ وَأَذْكُرُوا كَمَا هَذَا بَعْثُكُمْ  
 وَإِنْ مَكُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَيِّنَ الْفَكَالِينَ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَيْسَرُوا مِنْ حَيْثُ أَفْكَاسُ أَلْتِيبِ وَأَسْتَعْبِرُوا  
 اللَّهُ بِكَ اللَّهُ عَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿١٣٢﴾ فَلَا تَأْخُذْ بَعَثُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ  
 وَأَسَاءَةَ بَعْثُكُمْ أَوْ أَنْتُمْ يَحْضَرُ قَبْرُ أَسْكَاسٍ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آيَاكَ فِي الْآيَةِ وَمَا لَكَ فِي  
 الْآيَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٣٣﴾ وَنَهَمُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آيَاكَ فِي الْآيَةِ حَكْمَةٌ فِي الْآيَةِ حَكْمَةٌ  
 وَقَدْ عَذَابُ آيَةٍ ﴿١٣٤﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ يَتَاكَبُوا وَاللَّهُ تَرْبِيعُ الْجَنَابِ ﴿١٣٥﴾ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي  
 أَيْتَامٍ مَقْدُودَتِ مَنْ تَعَدَّى فِي يَوْمِهِ فَلَا يَنْتُمْ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأْخُرُ فَلَا يَنْتُمْ عَلَيْهِ يَسْ أَلْتِيبِ وَأَتُوا اللَّهَ  
 وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴿١٣٦﴾ ، وَلَا تَسْ هَاهُنَا أَنْ تَطُرَ إِلَى الْعَبْرَةِ النَّطِيعَةِ الَّتِي  
 اسْتَقْلَبَ بِهَا الْحَدِيثُ مِنَ الصَّوْمِ إِلَى الْحَجِّ . تِلْكَ هِيَ مَسَانَةُ الْأَهْلَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ  
 مَوَاقِيتَ لِلصَّوْمِ وَلِلْحَجِّ جَمِيعًا (١٨٩) .

ولمفك بك هاهنا وقفة يسيرة، يشير فيها إلى شأن عجيب من شؤون لسق

القرآن في هذا الموضع:

ذلك أنه حين يدعى بذكر الحج، لم تنصل به أحكامه ولأه، بل فصل بين الشرع

في الحديث عنه وحكمه بسب آيات في أحكام الجهاد بالنفس وأمال في قتال الأعداء

(١٩٠-١٩٥) . فاصلة بحسبها الجاهل رفعة عربية في ثوب المعنى الحيد . ولكن

الذي يعرف تاريخ الإسلام وأسباب نزول القرآن، يعرف ما هذه العاصلة من

شرف الموقع وإصابة المحر؛ لا لمجرد الاقتران الرمي بين تشريع الحج وبين عزوة الخديبية في السنة السادسة من الهجرة؛ ولكن لأن أداء المناسك في ذلك العام كان عرقاً لم يهدأ، وأملأ لم يتحقق، إذ أحصر المسلمون يومئذ عن البيت، وهموا أن يبطشوا بأعدائهم الذين صدوهم عنه؛ ولولا أن الله نهاهم عن البدء بالعدوان وأمرهم ألا يقتلوا في المسجد الحرام إلا من قاتلهم فيه، فأنصرفوا راجعين، مستسلمين لأمر الله، متطربين لتحقيق وعد الله . فكذاك فليصرف القرى أو المستمع ههنا وهو منعطف لإتمام حديث الحج عن أن يعود إليه بعد فاصل، كما أنصرف المسلمون إذ ذاك عن مكة وهم إليها متعطشون، على أن يعودوا إليها من عام قبل . هكذا كانت هذه الآيات الفاصلة تذكراً حالداً لتلك الأحداث لأولى . وهكذا كان القرآن الحكيم مرآة صافية نطالع فيها صورة الحقائق من كل لون، نقبها طوراً من تصريح تعبيري، وطوراً من نهج وأسلوبه في تعجيل البيان أو تأخير. ثم كانت هذه الآيات الفاصلة في الوقت نفسه درساً عملياً في صبر المتعلم عن استداده، لا يعجله بالسؤال عن أمر في أثناء حديثه؛ ولكن يتلبث قليلاً حتى يتحدث له منه ذكرًا في سعة الموقنة . وهكذا لن يطول بنا الانتظار حتى نرى أحكام الحج والعمرة نجيء في إثر ذلك على شوق وظمأ، فتشبع وتروى بالبيان الشافي الوافي (١٩٦ - ٢٠٣) ويتم هذا لبيان تتم الخلعة الأولى من الأحكام أعني فريضة الصبر في الساء والصراء وحين البأس

#### استجابة (٢٠٤-٢١٤)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُخْلِدُ أَبَدًا فِي قُلُوبِهِمْ وَأَنزَلْنَاهُ فِي قُلُوبِهِمْ قُرْآنًا فَذَكَرَهُ أَتَى اللَّهُ حَدِيثَهُ أَنزَلَهُ إِلَى قُلُوبِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ إِلَهُكَ إِلَّا اللَّهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي بِنَفْسِهِ أَتَى اللَّهُ مَرْكَاتَهُ اللَّهُ وَأَنَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاصِينَ ﴿٢٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ وَلَا تَلْعَبُوا خُلُوفَاتِ السَّيْفِ إِنَّهُ لَعَنَ عَذْرَ ثَمِيمٍ ﴿٢٠٥﴾ قُلْ رَلَّكُمْ مِن سَيِّئِ مَا جَاءَ تَعْلَمُ الْبَيْتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٦﴾ قُلْ يَطْرُقُونَ إِلَّا أَلْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُيُومُ الْأَنْزَارِ

وَلِلَّهِ تَرْغِيعُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾ سَلَّ نَبِيٌّ إِسْرَافِيلَ كَيْفَ يَنْتَهِمُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ يَقُولُ شَيْءٌ لِّلَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ مِنْ  
اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٤﴾ رَبِّ الَّذِينَ كَفَرُوا تَحْبِوَةٌ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوَقَّهَهُمْ يَوْمَ  
الْقِسْمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعِزِّ حُسْبٍ ﴿٢٥﴾ كَانَ لِلنَّاسِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ عَمَّتْ أَفْئَةُ الْيَهُودِ مُتَّبِعِينَ وَهُدًى وَأَمْرًا  
مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِأَنفِخَ لِيَحْكُمَ نَبِيٌّ أَتَيْنَا مِنْ أَشَاطِينِ أَيْمَانِهِمْ حَتَّمُوا بِهِ وَمَا أَحْلَفَ بِهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْثَقُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ  
الْيَقِينُ نَبِيًّا يَنْهَاهُمْ فَعَزَّزَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أُحْسِنُوا بِهِ مِنَ اللَّهِ بِرُوحِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ بَصِيرَتَهُ  
تُسَبِّحُ ﴿٢٦﴾ أَمْ خَشِيتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا بِأَيْدِيكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ حَلَّوْا مِنْ قَبْلِكُمْ نَسْتَكُفُّهُمْ أَلَسَاءُ وَاصِرَاتٌ  
وَرُلُّوْا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَوْتٌ صَرَاتٌ إِلَّا أَنْ يَصْرَفَهُمْ تَوَفَّيْتُ ﴿٢٧﴾

### يثبت القلوب على ما مضى، ويوطئ لها السبيل على ما بقي

وكانت حكمة الله وتلطفه بنا في تربية موسى على طاعة أمره، ألا يصعد بها إلى  
الحلقة الثانية من فوراً هدا، ولكن بعد استرواحه فيها شيء من الموعظة لعدم  
يُثَبَّتْ بها قلوب عن ما مضى ويوطئ لها السبيل إلى ما بقي. وكان من حسن الموقع  
هذه الموعظة العامة، أنها اتصلت بالموعظة الخاصة التي حتم بها حديث الخج، والتي  
قسمت الناس من حيث أمالهم ومطامعهم إلى فريقين: فريق يطلب خير الدني ولا  
يفكر في أمر الآخرة، وفريق لا تسيه دنياء مصالح أحرار (٢٠٠-٢٠٢)، وجاءت  
الموعظة العامة تقسم الناس من حيث ما فيهم من خلق الأثرة أو الإيثار إلى فئتين:  
فئة لا تبالي أن تصحى في سبيل أهوائها بحياة العبادة، وعمران البلاد، وفئة على  
العكس من ذلك لا تصح أن تصحى بنفسها في سبيل مرصدة الله (٢٠٤-٢٠٧)

ونخص الآيات الحكيمة من هذا التظيم، إلى توجيه النصيح للمؤمنين بأن يخلصوا  
موسمهم من شوائب أهوى، ويستسلموا بكيبتهم لأوامر الله، دون تفريق بين بعضها  
وبعض، محذرة إياهم من الرلل عنها بعد أن هدوا إليها ووهوا عليها، مُعْرِية هم عما قد  
يصيبهم من البأساء والصرار في سبيل إقامتها، ضاربة هم المثل في ذلك سنة السلف  
لصالح من الأمم السابقة (٢٠٨-٢١٤)، هنا تمت الاسترواح بالموعظة العامة

### الحلقة الثانية الوفاء بالعهود والعقود

مستكون الحلقة الثانية في تمصيل الخصلة الثانية من الخصال العممية التي أجملت





نرى كيف سيكون الانتقال إلى هذه الحلقة الثانية؟ هل يصعد القرآن بنا نحو، إلى تفصيل هذه الشؤون المربية المشتبكة المتشعبة؟ كلا إن هذا البيان الترموي الحكيم لم يهجم بنا عايتها دفعة، ولكنه مبتلطف في الوصول بنا إليها على معراج من الأسئلة والأجوبة، تتصل أوائلها<sup>(٢١٥)</sup> بالأحكام الذصية. الإيفاق والجهود (٢١٥-

(١١) ارجع النظر كبريى في هذا العظم المهدى في البدن ثم سل علك هل كان في الامكان بان ينف عطف  
عظمه ثم نفع الاحداث التي تحدث بها مادته أو لو وقع بعضها ونحفت بعضها أو لو وقعت كلها ولم  
يسع في روع الغرض مدعته السؤال عن احكامها <sup>٩</sup> لقد كان القدم يسر في ان كان هذا عظيم فانه  
ماده حوادثه ومعت حجاب الغرض في طلب ما بها ولم يسر إلا ان يكون معي أصبت ان الذي بيده  
يضم به الاله مان هو الذي بيده سر الاله الخلق والأمر سار الله وبه يعلمين



واحد تلخص فيه مبع الأحكام في التأليف بين هذه المصروفات، حتى صارت شأنًا واحدًا ذا نسق واحد:

ذلك هو موضع القلة من فنيا الإيلاء، إلى فنيا الطلاق: ﴿وَمَنْ مَّرَرْنَا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ بَيْنَهُمَا نَقِيرًا ۖ وَالطَّلَاقُ يَرْفَعُ ۖ﴾ ألا ترى كيف أدير الأسلوب في حكم الإيلاء عن وجه معين، يطل لقارئ منه على أفق متلذذ يندر باحتيال العراق؛ فنيا جاء بعده الحديث عن أحكام العراق لم يكن عريثًا، بل وحد مكانه مهبطًا له من جبل، كأن حاتم حكم الإيلاء كانت بمثابة عروة منصوحة، تستشرف إلى عروة أخرى تشتت معها؛ فنيا جاءت فنيا لطلاق في إثباتها كانت هي تلك العروة المنتطرة وما هو إلا أن التفت لعروتان حتى اعتقتا وكانت معها حلقة مفرعة لا يدرى أين طرفها. وهكذا أصبح الحديثان حديثًا واحدًا.

نرى من عندهم محمدًا لو كان القرآن من عنده أنه سوف يُستعنى يومًا ما في تلك التفاصيل الدقيقة لأحكام الطلاق؟ ومن عنده أنه سيجد لهذا السؤال جوابًا، وأن هذا الجواب سيرفع في نسق مع حكم الإيلاء، وأنه ينبغي لاستقامة النسق كله أن يساق حكم الإيلاء، اندي وقع الاستثناء فيه الآن على وجه يجعل آخر شفيه هو ادبها إلى حديث الطلاق الذي سوف يُسأل عنه بعد حين؛ لكي ينضم الشكل إلى شكله متى جاء وقت بيانه؟ هيهات أن يحوم علم الشر حول هذا الأفق الأعلى؛ فإن ذلك شأن عالم العيب الشهادة، الذي أعطى كل شيء حلقه ثم هدى..

ونخصي السورة في هذا السط اخديد، معصنة آثار الطلاق ونواحيه كلها: عدة، ورجعة، وحل، ورضاء، واسترضاء، ونجسة، وصدائق، ومتعة إلى تمام هذه الحلقة الثانية (٢٣٧).

### الحلقة الثالثة إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقة

﴿حَمِلُوا عَلَى الْفَسَادِ وَالْفُسْخِ وَالْوَطَنِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ قَسِيمًا ۖ﴾ ﴿إِنْ جِئْتُمْ قَوْمًا لَا يُؤْمِنُونَ



[illegible]

حِكْمًا فِي الْأَرْحَامِ تَحْكُمُهُمُ الْجَاهِلُ لِقَبِيلَةٍ مِنَ النَّعْتِ تَعْرِفُهُمْ بِسَمْتِهِمْ لَا يَسْتَلُوكَ  
الْأَسْمَاءَ وَالْحِكْمَةُ وَدَّ سَيْفُهَا مِنْ حِكْمٍ فَإِنَّ أَقْبَىٰ بِهِ، غَيْرُ شَيْءٍ أَلْبَسَتْ يُؤْمَلُونَ أَتَوَلَّاهُمْ بِأَلْبَسَ  
وَالْهَكَوِيَّةُ وَغَلَايِكَةُ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ بِحَدِّ رِثَتِهِمْ وَلَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَغْرَبُونَ ﴿٢٣٨﴾

[البقرة: ٢٣٨ - ٢٧٤]

### هالكة تبدأ الحلقة الثالثة

﴿عَبَطُوا عَنْ مَشْكَرِ آبَاءِهِمْ وَقَتْلِهِمْ أَوْلَادَهُمْ﴾ (٢٣٨ - ٢٧٤)

لنظر: كيف تمت الحلقة بين هاتين الخليقتين؟

بما سمعنا من رأينا من التلث والتحكك، والاستعجم واتصاف بين الحلقة  
الأولى والثانية، سرى عن عكس ذلك بين الحلقة الثانية والثالثة، بقلة شبه حافظة  
بل لفتة حدّ ماعتة، قد يحسها الساطر اقتصاصاً، وما هي باقتصاص إلا في حكم لنظر  
السطحي. أما من تتبع معنا سير قافلة المعاني مد يدابنتها، وقطع معث نشي الطريق  
لذي رسمته آية البر من الرقاء بالمهود، والصبر في الأساء والصراء وحين البأس،  
فهو لا ريب سوف يستشرف معنا إلى ثلثة الباقي: إقامة الصلاة، ورياء الركاء، وبذل  
المان عن حبه في سبيل الله، وسوف يرى أن هذه الحلقة الثالثة قد جاءت من في  
رستها وفي موضعها المقدر لها، وفق ترتيبها في الآية الجامعة

سبوق قتل نعم، لقد جاءت في موضعها ورستها، ونكس الانتقال إليها قد تم  
دون إعداد نفسي، ولا تمهيد بياني

بقول: بل كان هذا الإعداد والتمهيد، في الآية الكريمة التي حتمت بها الحلقة  
السابعة ﴿رَأَى الْفَقْرُ قُرْبَ الْغَنَىٰ وَلَا سَوْءَ أَفْعَىٰ يُبْعَثُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٩﴾،  
فهذه لو تدبر معبرة ذهبية وصعب في وقت الحاجة إليها بعد أن استطال الحديث  
في تفصيل الحقوى وتواحيات المرلية؛ معبرة حيية بها لتقلنا من ضوضاء المحاسن  
والمحاصن، إلى سكون المسامحة والمكرامة؛ فكانت معراجاً وسطاً صعدت إلى أفق

أعلى، فمهبطاً للمعروح به فيها يلي إلى الأفق الأعلى. ألا تسمع إلى هذه الكلمات ﴿ولا  
سواء فصل بينكم﴾ (لا تروا الفصل - يكم) إن كل حرف في هذه الكلمات  
يؤدي بألفها كلمات حبيب مودع، كان قد أقام بها فترة ما، ليفصل في شؤونها؛ ثم  
أحد لأن بطوري صحيحه أحكامه، لتحول بها عنها إلى ما هو أهم منها؛ فقال لما  
وهو يطويها: دعوا، ابتداء في هذه الشؤون الخيرية الصغرى، سووها فيها بكم  
بقانون لبر والمفصل، الذي هو أسمى من قانون الحق والعدل؛ وحولوا أبصاركم  
معي إلى الشؤون الكلية الكبرى، التي هي أحق بأن يتوافر عليها لحرمة والقصد،  
وأحرى أن يشتغل بها العقل والقلب نعم، نعم. لقد كفاكم هذا حديثاً عن حقوق  
الروح والولد، فاستمعوا لأن إلى الحديث عن حقوق الله والوطن.

حافظوا على الصلاة - أقيموا في سبيل الله - جاهدوا في سبيل الله... «وبعد» فهل  
حديث الصلاة هنا يعتبر مقصداً أصلاً مستقلاً، أم هو جزء من مقصد آخر.

لكي يحسن الجواب عن هذا السؤال، يجمل بما أن مرجع البصر كلمة أخرى،  
لسطر في حمة الخصال التي جمعت في آية البر، والتي فصلت في الآيات من بعدها إلى  
قرب آخر السورة، ولتقارن بين حظوظها من عناية الذكر الحكيم. فماذا يرى؟

يرى التنويه بفصلني الإتيان واحهاد في سبيل الله لا يزال يُعاد ويردد في مطالع  
الحديث ومقاطعته، في حمله وفي تفصيله، ترديداً يهدي بأنه هو المقصود الأهم، والهدف  
الأعظم، من لتشريع في هذه السورة - فلو أننا في ضوء هذا الأسلوب، تمثلنا تلك البيئة  
وأحداثها، وتمثلنا القوم وهم تنبى عليهم شرائع هذه السورة وأحكامها، لتمثلاً معسكراً  
نائباً للجهاد المردوح، انبالي والدي، ولتمثلنا على رأس هذا المعسكر قائد، يقف حريصاً، لا  
يعزب عنه شأن من شؤون جنوده، خاصتها وعامتها، ولا يفتأ يلقي عليهم أوامره وإرشاداته  
في مختلف تلك الشؤون كما فرع من إقتانهم في بوارهم العارضة الوقتية، رجع بالحديث إلى  
جراه العتيد، في شأن مهمتهم الرئيسية..

صع هذه اللوحة الحديدية أمام عيبك.. فلن نكون عندك عجباً أن ترى الحديث في شأن جهاد يرد الآن على بضعة أشد من ذلك بساطة كان أئمة مشهورين وأن دعيه كانت دأته هاتمة، فإذا عاد ذكره بعد أن كان من حوله من الشواغل الوقتية، فربما يجيء على أصله وسحبه، فلا يسل عن عنه

ماذا يقول؟ شأن الجهاد! أليس الحديث سيفح الآن شأن الصلاة، وعدة الوفاة، لا بشأن الجهاد؟

بل يقول، ونحن نعلم ما يقول إن الحديث يعود الآن إلى شأن الجهاد، وإن الخطب هنا الصلاة وغيرها يتوجه إلى المحامدين من حيث هم مجاهدون، ليحل المشاكل التي شيرها موقف الجهاد نفسه، قبل أن يوجه إليهم الأمر الصريح بالقتال.

فأول هذه المشاكل مشكلة الصلاة في الحرب ألا يكون الجهاد رخصة في إسقاط هذا الواجب أو في تأجيله؟

يجيب الكتاب العزيز لا رخصة في ترك الصلاة ولا في تأجيلها، لا في سلم ولا في حرب، لا في أمن ولا في خوف: ﴿خَبِرُوا عَلَى أَسْمَاءَ وَتَلَقَّوهُنَّ الْأُنثَى﴾ (٢٣٨)، وإنا الرخصة عند الخوف في شيء واحد في صفات الصلاة وهيأتها. ﴿إِنْ جُفِرَ فَرِحَ لَا أَوْ كُنَّا فَرِحَ أَمْسَ فَادْكُرُوا أَنَّهُ كَمَا عَصَيْتُمْ مَا لَكُمْ تَكُونُوا تَكُونُوا﴾.

والصلاة كما نعلم قوة معوية عن العدو، وعدة من عدد النصر لا جرم كان من الحكمة أن تزود بها أرواح المجاهدين، قبل أن يؤمروا بالقتال أمراً صريحاً. والصلاة في الوقت نفسه طهارة للنفس من مساوئ الأخلاق، تنقيها من دنس لشع والحرق على حطام الدنيا لا جرم كان من الحكمة كذلك جعلها دعامة للوصية

(١) هكذا قال الله: ﴿وَأَنْتُمْ خَيْرُ الْبَشَرِ وَالْقَلْبُ﴾

(٢) وهكذا قال الله في وصف الإنسان: ﴿وَبَشَرٌ خَيْرُ مَخْلُوقٍ لَا تَكُونُوا تَكُونُوا﴾



لأنه، التي أمرنا بالسامح والكارم في المعاملات هكذا كان وضع حديث  
نصلاه مردوح القاصده دوة وعداء معاً، ينظر إلى الأمام وإلى الوراء جميعاً بل قد  
به مثل القاصده؛ لأنه في نظره لا يخلو لا ينظر إلى الآيه الأفعه وحدها، بل ينظر  
كذلك إلى الآيه الجامعة، ليحصل إحاطة في هذا الخاب

والخدي في الحرب تشعبه على الأقل محامدان؛ محافة على نفسه وعلى المجاهدين  
معاً، من أخطار الموت أو الحرمة؛ ومحافة على أهله من الصاع والعنة لو قتل  
بذلك اساق البدن بكريم يطرده عن قلبه كك الحافين أما أنه فقد وصي الله  
لروحته، بد، مات روحه، بأن تمتع حولاً كمالاً في بته، وكذلك مطلقه سيتقرر  
ها حق في لمعة لا يسى فليمر عسا من هذه الساجه (٢٤٠-٢٤٢)

وأما خوف الموت فلمعلم أن ابدي يطلب الموت قد توهب له الحياة ﴿لَنْ تَرَى  
لَدَيْنَ مَخَافٍ مِّنْ يَّبْسُوهِنَّ وَهَمَّ تُؤْثِرَ عَذْرَ الثُّرَيَّا فَقَالَ لَهُمْ أَنَّهُ مُؤْتُوا ثُمَّ أَخْبَهُمْ﴾.

(١) د فهمت حس هذه الشغف في لا يتصل من المعنى القديم إلى المعنى الجديد، وأدركت حسان هذه  
الأوضاع الهدية، التي ياتى بها المعاني الساعه واللاحقه، فقد رأت عبت شبيه لا تصاب  
ها في لا تنقل إلى حديث الصلاة غير أنا إذا قسا هذه القله إلى القله ساعه بين حفتين لأوى  
والثانية، أنسا يرى هذا السهيد معيلاً وهذا الحول سريعاً؟ أليس ينسى في مراها هذا يدركها  
رحه خفيفه هذا الحول السريع الذي يفرعه عنها حركه فائدها؟ إلا ما علم، عمتك له، أن هذه  
مرحة مفصولة، وأن من الخير لنا أن نحس بهذه الرحه خفيفه من أثر الحول السريع؛ فون بدت  
مفرس هيف في ترسه النعوس المؤمنة إن هذه النقلة تصور لنا ما يجب أن يكون عليه المؤمن، إذ  
يسمع بداء الله الحب الروحاني هو صهرك في معركه احياء فكأننا بهذا الأسلوب حكيم ينادى  
إنه ليس شأن عزم أن يحتاج إلى كبير معانحه لسمامي بروحه فوق مشاعر الأهل والولد، وبع  
شأنه أن يتشغل نفسه من عمرها انتشاراً مورياً، لرسء إلى ملكه ذلك البداء لأبدس هذا بسب  
كانها ادعبي أنعد لربي نعم هذا شأن المؤمنين ﴿سَقَاتِ حُرُوفُهُ عَمَّا صَاحِبُ بِذُنُوبٍ رَّعِيَتْ حُرُوفًا  
وَطَمَحًا فَمَعًا زَلَّ قَلْبُهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ (١٦) (الجنة: ١٦)

(٢) المصيرين في هذه الآية قولان مشهوران أحدهما أنها وصية مدروبه لا واجبه التي أيها كانت  
واجه في صدر الإسلام ثم سحبت بالآيه السابعة (٢٣٤) التي توجب برصر أربعة أشهر وعشر  
لا أكثر وواضح أن كلا القولين مسمي على أن آية الحول يسري حكمها على لأرواح عمامه  
ولكن الساق الحكم أرحى إل هذا المعنى الجديد وهو أن ترش الحول الكامل كان خصوصية  
فصلت بها روحات المجاهدين على روحات القاعدين والله أعلم.

أما حوف اهريمة، فإن النصر سد الله لكم من يثرب مدينة غلبت فئة كثيرة ينادي الله<sup>١</sup>، وتمت نسبة الله في المرسلي (٢٤٦-٢٥٣)

هكذا أبعدت المحروف كلها عن قلوب المجاهدين، بعد أن رُودت أرواحهم براد التهمى، وهكذا أصبحوا على استعداد نفسي كامل، لتلقي الأوامر العليا، فليصدر إليهم الأمر صريحاً بالجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم (٢٤٤-٢٤٥)<sup>١</sup>

ولنعرض لهم لعمد التاريخية، التي تثبت أقدامهم حين البأس، والتي تربدهم أملاً في النصر (٢٤٦-٢٥٣) والجهاد كما قلنا جهاداً؛ جهاداً بالنفس، وجهاداً بالمال، وليس الجهاد بالمال وقفاً على شؤون الحرب، بل هو بدله في كل ما يرهه عن الأمة، ويقوي شوكة الدولة، ويحمي حمى الأمة.

وبعد أخذ الجهاد بالنفس حظه من الدعوة في آية قصيرة (٢٤٤)، ثم في آيات كثيرة (٢٤٦-٢٥٣) وأخذ الجهاد بالمال بعض حظه في آية قصيرة (٢٥٥)، فمن العدل أن يأخذ تمام حظه في آيات كثيرة كذلك. وهكذا نرى الدعوة إليه تأخذ الآن

(١) من الطرائف بيانية في أسلوب القرآن ما أن السجدة فيه تقع من المقدمات موقع المركز من الدائرة، لا موقع الطرف من الخط كما هو شأن الأسلوب التعليمي الشهور ألا ترى هذا الأمر بالقتل في من الله (٢٤٤) قد أحيط من حاسبه كلها بدعائمه وبواعثه، إجمالاً، وتفصيلاً بعد ذلك على أن هذا المنهج الطريف لا يخص هذا الموضع من القرآن؛ وإنما مستجد شواهد مثوته في موضع كثيرة من الكتاب العزيز تدبر فوه على في سورة المائدة ﴿الْيَوْمَ أَقْمَتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فإن كمال الدين الإسلامي بأشتمانه مادياً وروحياً على كل انهم الكعبة بإصلاح الفرد، والأسرة، والجماعة، والسياسة، والإنسانية العامة، لم يذكر من دلالاته من ولا طرف يسير أما بقية البرهان فقد نشرته حياته على أثر ذلك من عدم الآية لعاشره من السورة المذكورة ونظر قوله تعالى في سورة البقرة ﴿لَا تُقِيمُوا دِينَ اللَّهِ إِنِّي لَفِيكُمْ وَأَنَا مَعَكُمْ﴾، هذا جزء وسطاً بين دلائل الوحدة بينة في التدبير، ودلائل الوحدة في الإيعام و (حسان وتأمل فوه في السورة نفسها ﴿وَمَرْكَا عَلَيْكَ أَنْ تَكْتُبَ شَيْئاً بِكُلِّ شَيْءٍ﴾، فقد جاء بعد تبين أصول العقيدة، وقل نيل أصول العقيدة لعقيدة ومن حمده السابق واللاحق، يتألف البرهان على صديق هذه القضية، وهي أن الكتاب تبيان لكل شيء.

قسطها، مطبوعاً بطابع الشدة تارة (٢٥٤ - ٢٦٠)،<sup>١١</sup> وطبع اللين تارة (٢٦١)  
وطابع التعليم بمصطلح لأدب البدل باره أخرى (٢٦٢ - ٢٧٤)



في الآية لسابعه، انتهت مهمه لأحكام التمهيد، عند الحد الذي أراد الله بياته في هذه السورة؛ وسها حتم الشطر الثاني من الحقيقة النفسية، وهو شطرها العملي؛ بعد أن أرسى شطرها الاعتقادي في آية ١٢٢ وما بعدها

### وهكذا تناول البيان حتى الآن

١- حقائق الإيمان.

٢- شرائع الإسلام.

هل بقي في بيان ندين شيء فوق هذه الأركان؟

نعم، لقد بقيت دروته العلي، وحليته الكبرى..

بعد الإيمان والإسلام بقي الإحسان؛ وهو كي فشره صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه، أن تراقب الله في كل شأنك، وأن تستشعر مشاهدته لك في صرك وإعلانك، وأن تستند لمعاسته لك، حتى على ذات صدرك، ودخلة نفسك.. مطلب عريض لا يطيق الرقاء به كل مؤمن، ولا كل مسلم؛ وبما يحوم حول حماء صهوة الصمود من المنع. وكأنه لعمرة هذا المطلب ومعاسته صان لله درته البتيمة في هذه الآية الواحدة، التي توح بها هامة السورة ﴿إِن تَنذَرُوا مَا فِي الْأَفْئِطَةِ أَوْ تُخْفُوا بِحَسْبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (٢٨٤)

### الغاية: في آيتين التين (٢٨٥-٢٨٦)؛

﴿مَنْ أَرْسَلَ بِمَا أَمَرَ، لَمْ يَرْجُ، وَالْقَوْمُونَ كُلٌّ مِّنْ أَعْمَى وَمَنْ يَكْفُرْ، وَرُسُلُهُ، لَا تَقْرَأُ بِهِمْ أَعْمَى مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا: سُبْحَانَكَ عَمَّا يُشْرِكُونَ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكِلُفُ اللَّهُ قَسًا، وَلَا يُضْعِفُ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّبِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْبُدْ عَنَا وَكَيْفَرْنَا، وَارْحَمْنَا إِنَّكَ قَوْلُنَا فَأَصْرُنَا عَلَى الْغُورِ اتَّخَذْتُمُوهَا﴾

والآن وقد ساول البيان أركان الدين كلها، وألم بمعاصره جميعها: الإيمان،

والإسلام، والإحسان؛ لم يبق بعد تمعة الحديث إلا طي صحيفته، وإعلان ختامه؟

فهل تعرف كيف ضُربت صفحة هذه السورة، وكيف أُعس حبامها؟

لعد يدك بـ إلى آيات الخمس التي اقتحبت بـ سورة البقرة؛ لرى كيف تتحارب تلك مقدمه مع هذه الخاتمة، ثم كيف يندلق الطرفان هكذا للتحكم من قوسيه سور محكم بحيث يهد السورة، فإذا هي سورة حقاً أي سه محوكة مسورة أم يكن مطلع السورة وعداً كرتي لمن ميؤس بـ وخطيع أمرها بأهم أهل الهدى وأهل العلاج؟

أب ترقب الآن صدى هذا الوعد؟ بل؛ إنا سنظر الآن أن تحدثنا السورة هل أس بـ أحد، وهل اسع هدها أحد، ثم سنظر منها إن كان ذلك قد وقع، أن تحدثنا عن جراه من استمع واتبع..

### وهكذا سيكون مقطع السورة

١ - بلاغاً عن نجاح دعوتها ﴿إِن مِّن رَّسُولٍ إِلَّا نُبِئَ بِرَبِّهِ. وَآلَتُهُمْ﴾. ﴿وَقَالُوا سَمْعًا وَآظِقًا﴾.

٢ - وفاة بوعدة لكن نفس بدلت وسعها في اساعها. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أُكْتَسِبَتْ﴾.

٣ - فتحاً لبب لأمل على مصراعيه أمام هؤلاء المهتدين فليسطوا، إذا أكرمهم مهتدين إرسا . رب . رسا أنت مولانا مصربا على النجوم الكافرين

### الخلاصة:

للك هي سورة البقرة . أرأيت وحدتها في كثرتها؟ أعرف انجاء خطوطها في روحها؟ أرأيت كيف التهمت لسانها من غير ملاط يمسكها، وارتفعت سهاؤها عبر عمد سندها؟ أرأيت كيف انظم من رأسها وصدرها وأحشائها وأطرافها، لا أقول أحسن دمية، بل أحمل صورة حية كل درة في حليتها، وكل حلية في عصورها،

وكل عصفور في جهاره، وكل جهاز في جسمه، ينادي بأنه قد أحد مكانه المقسوم، وفقاً لخط جامع مرسوم، رسمه مربى القوس ومركبها، ومنور العقول وهادبها، ومرشد الأرواح وحادبها . فتالله لو أن هذه السورة رثت بعد تمام نزولها، لكان جمع أشباهها على هذه الصورة معجزة، فكيف وكل نجم منها كسائر النجوم في سائر السور كان يوضع في رثته من نور نزولها، وكان يحفظ لعبيره مكانه انتظاراً للحلوله، وهكذا كان ما لم يزل منها معروف الرتبة محدد الموقع قبل أن يزل؟ ثم كيف وقد احتضنت من بين السور المجمة بأنها حددت مواقع نجومها لا قبل نزولها بعام أو بعض عام، بل بتسعة أعوام؟

لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية (معجزات) ومعجزات، لعمري به في ترتيب آيه على هذا الوجه هو معجزة المعجزات!







## القسم الثالث

### تقدمة التلاوة

- ١- سورة الفاتحة.
- ٢- الحلقة الأولى من سورة البقرة.
- ٣- الحلقة الثانية من سورة البقرة.
- ٤- الحلقة الثالثة من سورة البقرة.
- ٥- الحلقة الرابعة من سورة البقرة.
- ٦- الحلقة الخامسة من سورة البقرة.
- ٧- الحلقة السادسة من سورة البقرة.



## المبحث الثاني

### «الحياة من القرآن»

#### حلقات مقدمة التلاوة لفاتحة الكتاب وسورة البقرة

في مقدمة الجهود الدبية والفكرية الدائمة التي تقدمها إذاعة القرآن الكريم سلسلة الأحداث الدبية المعاصرة التي تهدف إلى تقديم عصر موضوعي بكتاب كريم تحت عنوان «الحياة من القرآن» وقد قدمت المحبة لإذاعة والتلاوة حقائق هذا تفسير الموضوعي المعاصر للقرآن الكريم وسهلتها بتدريج من أرفع بيادح لتفسير معصري وأكثرها عمقا ودقة وأصالة، حاول من خلاله عدم التراجع إلى حلول الدكتور محمد عبد الله دراز أن يقدم لفاتحة الكتاب وسورة البقرة من خلال الحلقات الست التي تضم فكره الحي، وبطرنه الكلية الشاملة

والآن، مع الحقيقة الأولى من هذه الحلقات الست

#### ١- سورة الفاتحة

«سورة الفاتحة» أصل ما تفتح به الأقوال والأعمال، وأجمع ما تستنصح به فقاصد ومطالب الموحى إلى الله العلي القدير، شاء عليه فهو أهله، واستمداداً للمعونة من موهبه، واستبهاً للرشد من هدايته، وتلث هي الخطوط المبررة في سورة الفاتحة

١١ أخذت على هذه الحلقات ضمن وراق لتسبح مرة مرة من محبة رزقه وسعريون بدون تباع، والراجع إليها ادبعت ونشرت أواخر عام ١٩٥٧م



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿شَاءَ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعْتَذِرُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ استعانة بالله، ﴿أَقْدَمَ الصَّرْطِ النَّفْسِيَّةِ﴾ استرشاد سور الله، ومن هنا كان الاقتراح بهذه السورة الكريمة حيزاً وتيمناً، في الصلاة، وفي التلاوة، وفي سائر الأعمال ولو أمعنا النظر، لوحدنا هذه السورة على إبحارها، نطوي فيها مقاصد القرآن كله، كان موقعها في صدر المصحف موقع الفهرس الجامع لمواد الكتاب، وكأنها لذلك سميت «أم القرآن».

فالقرآن في حملته بساؤل جانبيين الخائب الإلهي، نظرياً وعملياً، والخاص الإنساني، نظرياً وعملياً، فهو من جهة يعرفنا بالحق الأعلى ويدعونا لبعادته، ومن جهة أخرى يعرفنا بالعصيلة الإنسانية، ويخصنا عليها وكذلك يرى سورة لمتعة، فراه شطرين يمثلان هذين الجانبين.

استأنثر صدرها بالحبس الإلهي فعرفت الله بثلاث صفات من صفاته الحسنى، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَرْغَبُ الرَّجْمِ﴾ ﴿لَكَ تَبَتُّ النَّفْسُ﴾ كل واحدة من هذه الصفات الثلاث، سبي ركناً من أركان العقيدة الثلاثة، فمن عرف الله برؤيته الشاملة فقد أحزر ركن التوحيد الخالص، ومن عرفه برحمته المردوجة الرحمة العامة التي وسعت كل شيء، والتي هو بها رحيم، والرحمة الخاصة التي يختص بها من يشاء والتي هو بها رحيم، فقد آمن بأخص أنواع هذه الرحمة، وهي نعمة النوحى والنبوة، ومن عرف الله بأنه هو صاحب الأمر كله في يوم الدين، يوم الخراء، فقد اعترف بالبعث والخصاب، ولثواب والعقاب، وهكذا يجد المرء نفسه، ويجد العالم معه، محاط من كل أطواره بجلال هذه العظمة مطوقاً في كل أطواره بجميل هذه النعمة، فلا يسعه إذاً إلا أن يعلن بفساده ولسان المؤمنين، ﴿إِيَّاكَ تَقِيئُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا بعد إلا إياك، ولا يستعين إلا بك. فالؤمن الحق هو الذي يعرف أن كل معين من الخلق هو بحاجة إلى أن يُعان، وأن الله وحده في حقيقة الأمر هو المستعان

الآن عرف المؤمن رسالته الروحية، وهي المهمة الأولى التي من أجلها خلق، وبقي عليه أن يعكر في رسالته الإنسانية العامة، التي هي وسيلته وطريقه لتحقيق المهمة الأولى.. وهكذا أحدث السورة في شطرها الثاني ترسم لنا خطاً، ونحرك نحوها عزائمنا ﴿أَهْدِنَا صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الطريق المعتدل القويم، الذي هو أقرب الطرق وأحسنها، ثم قُسمت البشرية بإزاء هذا الطريق إلى أصناف ثلاثة فريق الدين أجمع الله عليهم، وهم الذين تبين لهم ما في هذا الطريق من رشد وفلاح واعتقوه ولتروموه، وفريق الذين عصب الله عليهم، وهم الذين جادلوا في الهدى بعد ما تبين لهم، فمحدوه وتنكوه، وفريق الصالحين الخائرين المديدين الذين انطمست أمامهم معالم الهدى فلم يترنوا حتى تبين لهم سبيله، ولكنهم حطوا خط عشواء، فكأنوا في جهلهم مورورين غير معذورين .

اللهم أرنا الحق حقاً، ووجهها إليه وأرنا الباطل باطلاً، واصرفنا عنه، اللهم اجعل مع الذين أنعمت عليهم من السيئين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم آمين.





## الحلقة الأولى من سورة البقرة



بسم الله الرحمن الرحيم (كتاب المومنون عند ربون العاقبة لا يراون في بداية عهدهم بالوحي، ثم يعض عليهم من سحائب العنوم لمرسة إلا يصع قطرات نقد عرفهم ربه وأخلصوهم سرهم، وتكليمهم كانوا يستشفون يومئذ إلى هداية معصية، إلى دستور شامل يُعرفهم مذهب الحق والباطل، ويميرهم وجوه الحلال والحرام، ويعرفهم صلة الله في الأولين، ويطلعهم على منكوب الله في السموات والأرض، كد حثم سورة العنحة تعبيراً بلسان حادهم عن تعطشهم وليسهم هذا الدستور السماوي في ﴿أَفَئِدَا تَضَرَّطُ تَمْنَقِيهِ﴾، فعاء استهلال سورة البقرة بشرهم أن قد استحييت وأن الهدى الذي طلبوه هو الآن بين أيديهم ﴿يَهْدِيكَ اللَّهُ لِمَا تَبْتَغِي﴾ [سورة البقرة، الآية رقم ٢].

فاغترآ كنه - بعد العنحة - هو الهدى المطلوب في العاقبة، وسورة البقرة أكبر نموذج من ذلك الهدى.

ماتتان وبصع وثماون آية تنقسم إلى مقدمة، ومقصدتين، وخاتمة.. في سق بديع تتلاحق أجراؤه وتتعانق، ولكنها لا تتداخل، ولا يبغي بعضها على بعض.

أما «المقدمة» فقوامها عشرون آية، إنما هي تويه بشأن هذا الكتاب، وبشارة لمن يتقبله، وبقي على ما ياباه ويعرض عنه.

وأما «المقصد الأول» فيمتد في مائة ومسع وحسين آية، مهمتها إرساء أصول الدعوة الإسلامية، وتصيد حجه المحالين ها

وأما «المفصد الثارب» فهي مائة وسبع أدب، تسط شرائع الإسلام، ونحدد منها جه العملي في مختلف نواحي الحياة.

وأما «الخاتمة» فإيتان اثنتان تعلن فيهما تحقيق الشارة التي بدأت بها السورة وهي بشارة اهذى والفلاح لمن سمع وأطاع)

استهلت السورة الكريمة بكلمات تشوق النفوس إليها، وإلى القرآن كله أعظم

تشويق

كانت أول كلمة منها إعلاناً بأن هذا الكتاب الجديد هو الكتاب «الذي تكنت» كأن ما عداه من الكتب ليس شيئاً بالقياس إليه، ثم اتبعت هذه القصيدة برهاناً أليست الكتب نتهاصل سبباً بمقباس براءتها من الخطأ والباطل، وإيجابياً بحقدار ما تحويه من توجيه دفع؟ فما ظلك بكتاب الذي جمع بين الحسنيين: فهو قل كل شيء بريء من شائنة الباطل، بل من شبهة الباطل «لَا زَيْتَ فِيهِ»، وهو هرق ذلك نور و«هذى».

نرى هل سوف يستقبله الناس كلهم بما هو أهله من القبول الحسن، أم هل يمر عليه أكثرهم وهم عنه معرضون؟

تجسسا سورة البقرة، كما أجابتنا سورة المائدة، بأن البشرية ستتنقسم في شأنه إلى ثلاث فصائل، وأنه لن يسمع به إلا إحداهما، أولئك الذين شرّفهم الله بسبب «يُؤْتِنَقِينَ»، وهم الذين جمعوا بين الإيمان التكاملي والعمل الصالح، أما المخادون المَصْرُونَ على الإنكار إصراراً لا يُجْبِدي معه إندار، وأما المخادعون المتفسون الذين يقولون آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، فإن القرآن سيمير كل فريق منهما بسمته وعلامته، ثم يجمعهما معاً في حرب الصلاة والحُجْران «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَائِلَةَ بِالْهُدَى» [البقرة: ١٦]، ثم يعرق بيها مرة أخرى، ليصرب لكل واحد منهما مثلاً فيصور طبيعته، فأما المَصْرُونَ المعاندون فمثلهم كمثل قوم كانوا يعيشون في ظلام

دامس، فقدم فيهم رحل سوفد هم نازا أصدت م حوله، ولكنها حطمت أنصار  
الآخرين فذهب نورها إلى غير رجعة

وهكذا كان نور السهاوي الذي أشعله محمد عليه الصلاة والسلام - ليبدد به  
ظلمات الجاهلية، فتفتحت له أنصائر المسيرة التي أُنشئت حوله، لكنه عجمت به  
عيون المستكبرين، وأما المفلون المترددون فمثل فاعله كانت تسير بلاء  
فأمطرتها السماء عث مهمرًا، لكن معه ظلمات ورعد و برق، فأما العيث فلم يلقوا  
إليه بالآ، ولم يبالوا به بوالآ، وأما الظلمات والرعد والبرق فكانت هي مثار  
اهتمامهم، ومدار تفلسهم واضطرابهم في تصرفاتهم سيرًا تارة، ورقومًا تارة،  
وامتخاء تارة أخرى..

فذلك مثل القرآن الذي أمره الله عيثًا تحبها به القلوب، ولكنه اتل فيه المؤمنين  
بجهاد ونصير، وجعل هم الأيام دولاً بين العلية والصر، فما كان من بعض القوم  
إلا أن انصرفوا عنه قلوبهم وحصرها كل همهم فيها يحيط بروق الآمال والمعالم  
نصي، هم يمشون إليها، بدر اهرام والمعالم تعصف بهم عواصفها فيستحقون  
منها، أرمات عامصة نشته الأمور فيها فيفقون موقف التريض والانتظار.. ذلك  
دأب المذيقين في كل زمان؛ يرون حسابهم دائماً على قاعدة الرشح والخير العاجل، أما  
المؤمنون له قلة واحدة، هي قلة الحق يولي وجهه شطرها، ولسان حانه يقول:

ولست أباي حين أقتل مسلماً      هل أي جنب كان في الله مصرعي





## الحلقة الثانية من سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كان مصدر سورة البقرة إلى تمام عشرين آية من أولها، تومئاً بشأن هذه السورة، وشأن القرآن الكريم كله، فقد أعلنت بادئ ذي بدء أن هذا الكتاب الفريد هو الحق الذي لا ريب فيه والهدى الذي لا لس فيه، ثم أعلنت أن من اتبع هذه الهدى وأطاع، ومن أعرض عنه صل وحسر، فكان هذا كله تشويقاً أي تشويق معرفة الحقائق التي جاء بها.

يبدأ جاء هذا الكتاب ويبدأ حاتم سورة البقرة التي هي أعظم نموذج من هذا الكتاب.

أخوب في كلمتين؛ إصلاح العقيدة وإصلاح استبوك وما صلاح العقيدة إلا لاغنى حقائق الإيمان وما صلاح العمل إلا باتباع وصايا الإسلام.. وهذان هما المقصدان اللذان على محورهما تدور سورة البقرة؛ المقصد الأول يمتد من هنا إلى ما بعد نصف سورة، والمقصد الثاني يشمل بقية السورة حتى يطل ما على حاتمها.

فلتتبع سير البيان في شأن المقصد الأول:

إنه ينقسم إلى مرحلتين: مرحلة تأسيسية وجيزة، تحدد أصول العقيدة وتُرسمي أركانها، ومرحلة مسوطة مملوذة، تجادل المخالفين وتجاهدهم جهاداً كبيراً.

حدث اليوم يستوعب المرحلة التأسيسية: سبع عشرة آية من قوله تعالى: ﴿تَأْتِيهَا الْغُصْنُ وَنَحْمُهَا﴾ (الأنعام ٢١)، إلى قوله: ﴿تَنْتَهِى عَنْكُمْ أَنْ تَقُولُوا نَحْمُهَا﴾ (الأنعام ٢١)، ﴿تَنْتَهِى عَنْكُمْ أَنْ تَقُولُوا نَحْمُهَا﴾ (الأنعام ٢١)، ﴿تَنْتَهِى عَنْكُمْ أَنْ تَقُولُوا نَحْمُهَا﴾ (الأنعام ٢١).

يَهْدِي أَوْ يَهْدِيكُمْ ﴿السر ١٠﴾ بدءاً سماوي موخه بلى البشر كفه يدعوهم للدحول في دين الله دحول المستير المبصر، العارف بمادى الدعوة، لقتنع بصحتها ورسوخ قواعدها، ولذلك يرى الداعي الحكيم بدأ بتحليل هذه الدعوة إلى عناصرها الاعتقادية الثلاثة: توحيد المعبود والإيمان برسالاته، والإيمان بضرورة الاستعداد، «وإِذَا لَمْ يَدْعُ وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الْعَاصِرِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَدْعُمَهُ بِدَعْمَةٍ قَرِيبَةٍ مَقْبَعَةٍ».

«أما توحيد المعبود» من مؤهلات الألوهية لا توجد إلا في واحد لا يذله ديككم هو الرب لأعني الذي خلقنا وخلق أصول ﴿حَقَّقْنَاهُ وَأَنْدِينْ مِنْ قَبْلِخْنَاهُ﴾ (سورة ٢١)، والذي أنشأ لنا مسكناً إنشأه فرشاً وسقفاً وساء ﴿جَعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ بِرِثًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (السر ٢٢)، والذي رزقنا وأنشأ مادة رزقنا ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (السر ٢٢)، فإذا كان هو الذي يخلق ويرزق، فكيف نسوي به من لا يخلق ولا يرزق... ﴿فَلَا تُجْسِلُوا يُوَسْوِسُ الْفِتْنَةَ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ (السر ٢٢)

«وأما الإيمان بأن القرآن هو رسالة السماء» فذلك أنه لو كان من عند غير الله لاستطاع أحد من الناس أن يأتي بمثله أو شيء من مثله، فإن لم يستطعه مستقلاً استطاعه مستعياً بغيره، ولكن القرآن يتحدى الناس جميعاً إن كانوا في ريب وشك من مصدره أن يستمعوا على محاكاته بكل من يحصرهم من الخلق، كائناتاً من كان ﴿وَأَذْعُوا لِهَذِهِ آيَاتِهِمْ مِنْ دُونِ أَفْوَانِ كَثُفٍ صَدِيقٍ﴾ (السر ٢٣)، ثم يعلن مقدماً عجزهم جميعاً عن معارضة ﴿وَلَنْ نَفْعَلُوا﴾ (السر ٢٤)، ويقول في موضع آخر: ﴿قُلْ لِي أَجْتَمَعَتْ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بِقَصَصِهِمْ يَتَعَبُونَ﴾ (السر ٢٥)

[السر ٨٨]

«وأما ضرورة الاستعداد ليوم الحساب» فإنها تنمزع عن هاتين القاعدتين كما تتولد لتيحة عن مقدمتها. ذلك أننا متى عرفنا الله بكماله وهدرته، وجاءنا إدار قوي يحمل طابع سلطانه وعظمته، لا يسعنا إلا الاعتراف بأنه لا يد منجر ما وعد، وأب لن يجيرنا من الله أحد، إلا أن نعمل عملاً مستوجب به رضاه، ونستدفع به غضبه

﴿فَإِنْ تَمَّ تَقَعُّنُوْهُ وَلَوْ تَقَعُّنُوْهُ فَاتَّقُوا آثَارَهُ﴾ [المرء ٢٤]

على أن اذكر الحكم لى يكتمى هذه الجولة الأولى التي عرّض فيها أركان الإيّا ن مدعمة براهينها إله سيعرضها نوا مرة أخرى، ولكنه قبل أن يأخذ في هذه العرصة الثالثة سيقف ب قبلاً لتلفت نظرها إلى أسلوب هذه الهداية لشاملة، التي أربا منها سباح متفرقة تناولت الخيل والحقير، الخالق والمخلوق، والسماء والأرض، والنبات والحجارة، والتي صرّت المثل العليا والديب، النور والظلمات، وشجرة الراحة أو الخسارة، حتى تحدثت عن المنع الحسية التي قد يُستخفى من الحديث عنها كالأكمل والرواح، من هذه السباح المتفرقة يخلص القرآن إلى قاعدة كنية، وهي أن هذا المنهج الباب الشامل هو منهج القرآن ذاته في هدايته، ولا يقدّر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴿يَا أَفْه لَا يَتَسَخَّرُ مِنْكُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ مَثَلًا مَّا تَقُوصُونَ مِمَّا قَوْلُهَا﴾ [المرء ٢٦] ذلك لأنه الحق الذي لا يستحي من الحق، ولأنه الرحيم الذي يشرل برحمته إلى مستوى عقول الشر ليس هم كل ما يحتاجون إليه مما صغر أو كثر، ولقد تبين لنا فيما سبق أن الناس انقسموا في أصل الهداية إلى مؤمن وكافر، وسرى الآن أنهم انقسموا هذا الانقسام في إدراك معنى أمثال القرآن عامة: ﴿أَلَيْسَ مَسْأَلًا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ بَيْنَ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَتَى آتَاكَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُبَيِّنُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُبَيِّنُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [المرء ٢٦].

هذا يعود الأسلوب الحكيم إلى عرّض حقائق الإيّا ن مرة أخرى، ولكن في لون جديد، يُقَصِّلُ ما أجمَل أو يُجَمِّلُ ما قَصَّل أو يناول جوانب لم يناولها العرّض الأول سمعاه آتاً يأمرنا أن ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [المرء ٢١]، ونسمعه لأن يجدرنا ﴿كُتِبَ ثَكْرُونَ بِأَنَّهُ﴾ [البقرء ٢٨]، فهو يواجه الحق تارة ليحقه، ويواجه البطل تارة ليظله. سمعاه آتاً يذكرنا بخلق الإنسان إجمالاً ونسمعه يفصله ويكمّله ﴿وَسَخَّطُكُمْ لِمَنْ أَنْتُمْ قَائِلُونَ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُجَبِّبُكُمْ﴾ [البقرء ٢٨] سمعاه آتاً يذكر خلق الأرض، وهذا يذكر بتسويتها سبع سموات.. وهكذا.

هذا كنه في عرض الركن الأول من المعقدة، وهو ركن الألوهية، فإذا انتقلنا إلى الركن الثاني، وهو الإيمان بالوحي والتوحي، برز لنا منه جانب جديد كل الحدة، فقد كانت العرصة الأولى حديثاً عن القرآن وسي القرآن، وكانت حديثاً موضوعياً برهانياً

أما هذه العرصة الثانية فتكون حديثاً تاريخياً، عن أول نبي من البشر هكذا ترتبط الحنفية الأخيرة من سلسلة الوحي بأولى حقائقها، لنعلم أن هذه الدعوة واسعة الأصول في تزيح انشورية، وأن الإنسان كان منذ القدم مهبطاً لوحي السماء ومرآة لتورها.

وسرى كيف يطلب البيان في التمهيد لهذا الحديث بذكر أصل مشأ آدم وكيف اختاره الله لخلافة الأرض، وكيف أهله لهذه الخلافة، وكيف كانت هذه الخلافة شريفاً وتكليفاً في وقت واحد.. له ولروجه ولدريته.

وهكذا يصل بنا السياق إلى الحديث عن الركن الثالث، إذ يتقل بنا في سهولة ويسر من التكاليف إلى الأحزية عليها. وهنا يرى من طرافة الأسلوب عدوله عن وصف دار العقاب اكتماء بذكر اسمها واستعلاء عن ذكر الحنة ونعيمها الخي، بذكر نعيمها الروحي الأساسي، ألا وهو الأمن الدائم، والسرور اقيم، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١٢٨).



## الحلقة الثالثة من سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من قوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا بَنِي اِسْرٰٓءِيْل اٰذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الّٰىكُمْ الّٰى قَوْلِهِ: ﴿وَاٰتٰنَاكُمْ مِّنْ نَّحْنُ﴾ (البقرة: ٥٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كانت المرحلة السابقة مرحلة تأسيسية وجيزة، كانت دعوة للناس عامة إلى ادخول في دين الله، وقد رأينا كيف فصلت الآيات لكريمة عقائد هذه الدين، وكيف أرسيت قواعده، وكيف بلغت بأساسه إلى أبعد أعماق التاريخ الشرقي إلى يوم نشأة الإنسان على هذه الأرض.

أما الآن فمسبداً مرحلة جديدة، يراد منها دعوة بني إسرائيل خاصة، بعد دعوة الناس عامة، وإليها لمرحلة طويلة مديدة، يتدرج الحديث فيها على مدارح شتى

وليس من العسير أن نذكر سر العناية البالغة بهذا الحديث من الدعوة، إذا عرفنا أن بني إسرائيل هم أهل الكتاب السماوي السابق أو الأسبق، وأن فيهم علماء درسوا ذلك الكتاب، فكان دحول من يدخل منهم في الإسلام مؤازرة قوية للقرآن وليسي القرآن، كما كان تناطؤ من يتناطأ منهم في قوله - يعد في نظر الأميين مطعناً بلعاً في هذا الكتاب الحديد، إذ يقولون لو كان حقاً لدخل هؤلاء العلماء وأتباعهم تحت لوائه. ولكن قاتل الله العرور والحسد، والحرص على الخفاء، وعلى ربح الحراف، إنها كثيراً ما تحمل صاحبها على كتمان ما يعرف وجحد ما يعتقد.

لم يكن من حكمه إذن، أن يُكتفى في دعوة هذا الصنف من الناس ببيان الحق  
لدي يعرفون، بل وجب أن يضاف إلى هذا بيان ألوان من العلاج لتلك النوع من  
المریضه، ملاسه ناره، ومحاشة ناره أخرى، فإن شاعها العلاج من دنها فذلك، وإلا  
فقد اكتشف لباس مرضها، ونير هم سر إبانها وغردها على الحق

ذلك هو ما سوف تكمل به الآيات البات في سنن متواصل، إلى ما بعد  
نصف السورة.

تبدأ هذه المرحلة بآية واحدة وحيدة هي على إيجازها جامعة لمقاصد الحديث  
كده، فهي تذكير لأساء إسرائيل بالنعم التي كانت تستوجب عليهم شكرها، ثم  
تحذير هم عن الوفاء بناس العهد الذي قطعوه عن أنفسهم، ثم فيها تحذير لهم  
شديد من عواقب الكث والعدو ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي يُبْنَىٰ عَلَيْهِمْ قُلْ بَنَىٰ اللَّهُ الْبَيْتَ  
يَتَذَكَّرُونَ ۖ قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ عَزَّ وَجَلَّ ۚ﴾ (البقرة: ١٢٥).

من هذا الافتتاح الموحى، ينتقل البيان إلى التفصيل، وبدأ بتفصيل مواد ايثاق  
الدي كان قد أحد عليهم: لقد أحد عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا  
الحق، فلا يكتُموا، ولا يحفظوا بالباطل، ولا يشتروا به ثمناً قليلاً. (ألا وإن كل من  
في جنب مرصة الله قيل). وأحد عليهم ايثاق أن يؤمنوا بكل ما يبينهم ويكن من  
يحييهم مصداقاً لما معهم.

لكن، كيف يقوم المرء حبه للخير العاجل، وبرعته إلى العلو والاستشر؟  
لنستمع إلى القرآن الحكيم! إنه يقدم لنا العلاج الساجح، وإن نقل على بعض  
النفوس، علاجا مركباً من عنصرين: صبر الحزم والعزم في حبس النفس عن  
شهواتها، وعصر الالتجاء إلى الله في أن يصرف عن النفس إغراء المحرّبات، وتثبيط  
المعوقات ﴿وَأَسْبِغُوا مَاءَ الْوُضُوءِ فَأَمْسِكُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ بِلَا تَحْزِينٍ وَلَا تَحْزَنٍ﴾ (البقرة: ٢٤٥)

بعد أن نُقِصَ لهم هكذا مواد المعاهدة وبعد أن تُبَيِّنَ لهم هكذا وسائل تعيدها،

بين العاقبة لرهبة التي تنتظرهم إذا لم يوفوا بعهدهم، وسوف يكتفي عن وصف هذه العقبة معها بوصف اليوم الذي ستقع فيه إنه يوم لا كالأيام (المدين قد يجد في هذه الحياة من يقضي عنه دمه، وقد يجد من شفع له في عدم أدائه للمدين، وقد يجد عوضاً عن الدين يدفعه عدلاً عنه ووفاء له) فإن لم يجد هذا، ولا ذلك، فقد يحصل من سداد الدين علة وقهراً بالاستعانة بالأبصار.. أما بعد هذه الحياة فمره سينقضي ﴿وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَعْرِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الفرع ١٨]

نفت التذكرة اليه لرفيقة التي استهلكت بها هذه الدعوة ﴿ذُكِّرُوا بِغَيْبِي أَنِّي نَعِثُكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الفرع ١٧]؛ ماذا عسى أن تكون تلك النعمة؟ سمعنا من سياق الحديث أنها ليست نعمة واحدة، ولكنها نعم عدة، نرى هل يتقبل من الأسلوب إلى ذكر هذه النعم طمرة، ثم هل يأتي عليها سرداً وعدداً؟ كلا إنه يريد أن يجدها قبل أن يعدها، بل قبل أن يعد منها، إنه يردها في حملها إلى صفة الاختصاص والامتياز، الذي فصلهم الله به يومئذ على العالمين فلم يكن في رعايتهم ولا فيمن قبلهم من أوتي مثل ما أوتوا، ومن بُدلت له سنن الكون بقدر ما بُدلت هم، ومن استجيب له مقترحاته، كما استجيب هم، ومن أعطي له عن هواته بقدر ما أعطي لهم عن هواتهم، فكان جديراً به أن يحافظوا على هذه النعمة أن تروى، وعلى هذه انكسامة أن تهوى. فهاذ فعلوا؟ بل قبل كل شيء ما كُتبت تلك المس التي مُيِّروا بها؟ فليسمع إلى كتاب التعريف إنه سيخبرنا عن هذين السؤالين، يبدأ بأن يسوق لهم طائفة من النعم لتاريخية الكبرى التي أوتى بها بنو إسرائيل في عهد موسى، ثم يذكرهم بالبركات من الخرائم والملكيات التي اقترحتها تلك الأمة في ذلك العهد نفسه وفيما يليه بعد هذه النعم العظمى، ثم يصل ما صيغهم بحاضرهم، فيرر صفحات من تاريخهم الحديث في عصر النبوة المحمدية، صفحات كلها مساوي ومثالب، تكشف عما في نفوسهم من مرض وراثي مرم، بقطع الأمل من الاعتراف بالحق ولو كان أسح

هذه هي الدارح الثلاثة التي سدرج فيها الحديث؛ إتمام من الله عليهم، ثم إخراجهم من سلبهم، ثم إخراجهم منهم أنفسهم. فبدأ بما بدأ الله به من تذكيرهم بصفتهم النعم والمعن:

أما الأولى في إعادتهم من حكم المراعاة، وما ناهم فيه من دل العبودية بل من خطر الهلاك والاستئصال الذي كان يهدد سلبهم بقتل الذكور من موانيدهم، واستثناء الإناث منها، وفي نيلهم من هذا كله إلى نعمة حياة وأمره وأخرية تحت قيادة موسى عليه السلام

المدة الثانية في المعجزة الطبيعية التي تحققت لهم، ثم بإطافه البحر عن فرعون وجنوده، فكان منجاة لهم، مهواة لعدوهم.

مدة الثالثة في العفو عن حريمتهم الكرى التي افترقوها، في عية موسى - عليه السلام -، بتخديمهم العجل إلهًا من دونه الله

المدة الرابعة: في إنزال التوراة لهم هدى وموعظة وتعصيلاً لكل شيء تمس حاجتهم إليه.

المدة الخامسة في أن أعاد الحياة إلى الذين أخذهم الصاعقة حينما طلبوا أن يروا الله جهرة

المدة السادسة في أن حفظ عليهم حياتهم وهم في عرثهم يكابدون عيش الصحراء التي لا ررع فيها ولا ماء، فأواهم بتطليل العيم عليهم، ورزقهم بطعام أهني الذي لا كدح فيه ولا نقص.

أما كيف قابلوا هذه النعم وغيرها، فهذا هو موضوع الحلقة التالية؛ إن شاء الله تعالى.



## الحلقة الرابعة من سورة البقرة

من قوله تعالى ﴿وَيَذُلُّوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [البقرة، ٥٨] إلى قوله ﴿فَتَضْحَكُونَ﴾ [البقرة، ٧٥]

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كانت الحلقة السابعة تصديراً لآلوان من النعم التاريخية الكبرى، التي أعدت عن بني إسرائيل ماديّاً وروحيّاً، في عهد موسى -عليه السلام-. وستكون الملوحة التالية تصويراً لأنواع من البطر والكفر الذي قابلوا به هذه النعم في عهد موسى وفيما بعده.

وكما أن تفصيل النعم آنفاً قد عهد له بكلمة واحدة، وصفت تلك النعم الإلهية بأنها بلغت حد الإيثار والتفصيل لهم على العالمين، كذلك تفصيل أنواع البطر والتمرد الإسرائيلي قد مهّد له بكلمة واحدة وصفت بأنه حد البغي والظلم، غير أن الله لا يعبر بظلم الظالمين، وإنما يعود ويبل الظلم على صاحبه ﴿وَمَا ظَنُّونا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة، ١٥٧]. وهكذا كان آخر حرف في الصفحة السابقة إعلاناً عن هذه الصفحة الجديدة، وعموماً شاملاً تدرج تحت كل أحداثها

عن أيّ نمط سيكون سياق هذه الأحداث؟

إنه لن يتابع ترتيبها التاريخي، فإن ذلك لو فعل لأحدثت هذه الأحداث طابع الوحدة القصصية، وبدل لذهب الوهم إلى أن تلك السلسلة المطومة في مسلك واحد ستعد جريمة واحدة، على حين أن كل فعلة منها جريمة مستقلة تستحق التأنيب والتشريع، بل تستوجب العقوبة والتأديب... كان من الحكمة إذن ألا يُراعى

في سرد متدنيهم هذا تتسلسل الرمادي، ولكن يذكر منها سباح منفرقة متأخرة تدره،  
ومقدمة تارة أخرى، لكي تطع في دهن الفري والمسمع أنه من نظر في تاريخهم  
القديم كيف انهم، صرداً أو عكس، فإنه عن أي عصر طلع، وعلى أي بقرة وقع،  
سيف لا محالة عن جسم جريمة من جرائمهم

والعجيب أن كثيراً من هذه الجرائم كان ارتكبتهم لها عهد وصول نعمة جديدة  
بهم غير نعم التي أشير إليها في الحلقة السابقة

ألا تذكر إسرائيل يوم مكنت من دخول الأرض المقدسة، لتدل من عيشها  
برعد الوسع، ولتعم فيها نعمه الاستمرار، بعد اضطرابهم أربعين سنة قصود  
تأنيب في الصحراء، ما كان ينتظر منهم يوم دخولها؟ ألم يكن حقاً عليهم شكر  
لربهم واستغفاراً لديهم، أن يدخلوها كما أمرهم الله ساجدين، متطهرين  
متواضعين، قائلين: ربنا غفر لنا ذنوبنا، وحطها عنا خطيئة، ولكم بدّلوا التواضع  
ترفعاً، والاستغفار استكباراً، وأخذ هزلاً، فكفوا جديري أن ينزل الله عليهم من  
السماء رجلاً، عذاباً بشفا كريهاً، يرغم أنوفهم، ويرد كبرياءهم

أولاً تذكر إسرائيل يوم كانت في النية، وقد أصابها انطما وأعوزها الماء، فخر  
الله هم اثني عشرة عينا، بعدد أساخهم من حجر يابس ضربه موسى بعصاه، فكان  
هم الذي من حيث لا يحتسبون؟ ألم يكن حقاً عليهم أن يحفظوا هذا الحميل، أو لا  
يعيشوا في الأرض مفسدين؟

أولاً تذكر إسرائيل لما تابعت لها المعجزات في الصحراء فكان طعامهم بمعجزة  
وشراهم بمعجزة، وماواهم بمعجزة، كيف لم يقنعوا بهذا كله، بل طالبوا موسى -  
بغير ضروره- ولكن برقاً وتشهياً كعمل الطعل المدلل الشرس المدلول - حادوا  
موسى عليه السلام - أن يخرج الله لهم من أرض الصحراء ما لا تخرجه هم أرض  
الصحراء وإياها سه الحقل، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، متعدين

بأنهم لم يصدروا على ذلك اللون المكرر من الطعام لقد كانت - والله أعلم - كلمة حق أريد بها باطل، فكأن السماهم هذه الحبوب والبقول، سائرًا يعطي شيأقهم إلى الأرض التي تبتها، وحين طباهم إلى عيشة الدل الكادحة التي ألوها وبكهم أحموا في أنفسهم ما لم يبدوه لسمهم، فأبدى الله ما يحمونه لسيهم، فأبدى الله ما كتّموا وأرهمهم ما الترموا اهبطوا مصرًا من الأمصار، فإن لكم ما سألتهم ﴿وَصِرْثُ غَلْبِهِمُ الْإِلَّةُ وَزُنْتُكَتُهُ﴾ [البقرة: ٦١].

أولًا تذكر إسرائيل لما أظرتها هذه النعم كيف ساقها النطر إلى العصيان وإلى تكرار العدوان، من إلى لكمر بآيات الله وقتل أنبيائه أمثال ركب ويحيى - عندها «سلام» - وكيف كن ذلك س في تحول بظرة السماء إليها من الرض إلى السخط ومن الإنعم إلى الانتقام؟ كلمة لو حتم الحديث عندها لأدحت في قلوب المعاصرين منهم اليأس الأبدى من رحمة الله، ولكن الرحمة العظمى فتحت هم في التوبة من الأمل في انعموا إذا عبروا ما بأنفسهم، فأبأنهم بأن من كن يهوديًا أو نصرانيًا أو صابنيًا، ثم آمن حق الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل عملاً صالحاً كان حظه من الأمن والكرم مثل حظ المأم من الأصيل سواء. ومعلوم أن الإيمان الحق بالله «كم بيته آية الساء» لا يكون مع التمرق بين الله ورسله، ولا مع الإيمان ببعض وانكم ببعض. ومعلوم كذلك أن الإيمان الحق باليوم الآخر، لا يكون مع الأمن من مكر الله، ولا مع الاتكال على الأحساب والأساب ﴿يَوْمَ لَا يَمْلِكُ نَفَرٌ لِّنَفَرٍ شَيْئًا﴾ [الأنطار: ١٩].

ثم يتبع الحديث تذكر إسرائيل بماضيها العتيد العتيد، ألا فليذكر أساء إسرائيل يوم أحد عليهم الميثاق أن يقوموا بها في التوراة من مرائص ويحتسبوا ما فيها من محرم، وأعطيت لهم الوعود الحميلة على الطاعة، وقدم إليهم الوعيد الشديد على لمخلفة، فكانهم تماروا بالوعيد، وتراحوا في الوفاء بالعهد، فأراهم الله آية أخرى تخويفاً هم وتسيها إلى أنه كم قدر على إكرامهم هو قادر على إزال العذاب هم، ولرن

من حوهم حل لصور حتى تمكنت كتله فوق رؤوسهم، وحس طوا أنه واقع بهم،  
 قد رجع إلى وضعه الطبيعي ورجعوا هم إلى حياتهم العادية، عادوا إلى معصيتهم  
 وطغيانهم، قتلوا أحدهم الله يومئذ بما كانوا لعنل هم لعذب وبكانوا من  
 الحاسرين اهالكين، كما فعل بالدين اعتدوا منهم بعد ذلك بالاصطبياد في يوم اسب  
 فجعلهم فردة حاسين أدلاء صاعرين، وبكر الله عضله ورحمته مد هم في الأحل  
 وترك لهم فرصة أخرى للتدارك وللإصلاح العمل.

ألا وليذكر سو إسرائيل يوم قتل فيهم قتل لم يعرفوا قاتله، فأحدوا بتدريرون  
 في شأنه يتدفعون الشعة، ولفي بعضهم على بعض التهمة، حتى حاكموا إلى  
 موسى عليه السلام، فأوهمهم أن يدبحوا بقرة، فلم يدركوا معزى هذا الأمر، ولا  
 انصلة بينهم وبين ما احكموا إليه فيه، فظفوا في بادئ الرأي أنه يسحرهم وكان  
 هذا منهم جهلاً بتمام اسوة الكريم، ثم لما عرفوا أن الأمر حد لا هول تاطفوا في  
 الامثال، وأثاروا في معذبتهم بتعين القرة إشكالاً بعد إشكال، سؤالا عن سبب  
 وسؤالا عن ثوبها، وسؤالا عن عملها، وأخيراً دبحوها بعد لأي، وهالك نين هم  
 اسر، إذ عرفوا أن ملامسة شيء من جسم القرة المدسوحة، كان وسيلة لاكتشاف  
 الجاني.

هل كانت كل هذه الآيات اليبات كافية في تهذيب طبعهم، وتليين قلوبهم؟

كلا، لقد قست قلوبهم بعد ذلك، فهي كالحجارة بل أشد قسوة ﴿وَإِنَّ مِنَ الْجِبَارِ  
 لَمَّا يَنْفَرُ مِنَ الْأَنْهَارِ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا تَرْجُ مَنَّ الْكَلِّ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَرُ مِنَ الْكَلِّ﴾ [العن.  
 ١٧٤]، أما قلوبهم فإنها بقيت عليظة جامدة، شرهة مستكبرة.

نعوذ بالله من قلب لا يشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشع، ومن  
 علم لا ينفع، نعوذ بالله من هؤلاء الأربع

## العلاقة الخامسة: من سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من قوله تعالى، ﴿قَسَمُوا أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَرَدَّ بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾

[سورة البقرة: ١٧٥-١٨١]

استمعنا من قبل إلى الحديث مع سي إسرائيل عن تاريخهم القديم، وقد انتهى الحديث إلى إعلان تلك النتيجة الخامسة التي برهنت عليها سيرتهم كلها وهي أن ظروهم أصبحت غليظة قاسية فهي كالخجارة أو أشد قسوة

تري هل من بلغ قلبه هذا الحد من اليس والعلقة يظل أهلاً لتوجيه الخطاب له، أو لاستمرار الخطاب معه؟ كلا فليتحول الأسلوب إذا من الحديث معهم في شأن سلعهم، إلى الحديث معاً نحن في شأنهم هم، ولكن الأسلوب لن يتحول طرفة، بل سيتخذ في هذه النقطة معبرة بطبيعة تربط أطراف الحديث بعضها ببعض

تقول لنا، إن هذا الذي قصصناه عليكم من تاريخ إسرائيل في عهد موسى والذي يليه لا يقتضي لكم مطلقاً في أن يؤمن لكم أبؤهم هؤلاء؛ لأنهم هم ورثة هذا الماضي المشحون بالخرائب ﴿لَا تَتَّبِعُوا الْفَرَاغَ وَمَا تُنَادِيهِمْ﴾ ﴿فَهُمْ عَلَى شَرِّ مَرْغَبٍ تَهْرَبُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩، ٧٠] وهذا كان قد بلغ من شأن سلعهم أن فريقاً منهم كانوا يسمعون كلام الله ويدركون معناه ثم يحرقونه من بعد ما عقلوه، لا خطأ في الفهم، ولكن همداً وعدواناً وتديساً على الناس وهم يعلمون شاعة ما يفعلون، فكيف الظن هؤلاء الذين بعد عهدهم بمهل الوحي ومسانده الأولى؟ فلا عجب أن يقتضي هؤلاء آثارهم وأن يسيروا سيرة آبائهم.

وهنا بمضي السان قدّمنا ليحدثنا عن هؤلاء المعاصرين بقرآن، كشفاً لبعضاء عن معيبيهم، وتصدّنا للناطل من أقوالهم وعقائدهم

سبباً الحديث برفع الستار عن بفاقهم، ديدنهم، فهم يلاقون المؤمنين بوجه، ويلاقون قومهم بوجه، فإذا لمروا بالدين أموا، فابوا، ما ورثوا من لسانهم أمام المؤمنين، وعترفوا به بالأساء ولثرات النبي في كتبهم عن هذا النبي الحديده، ولكنهم إذا حلوا إلى أنفسهم أقل بعصهم على بعض يتلارمون، يقولون كيف يحدثهم يا فتح الله علينا، بما قصي به علينا من انتحال أسوة ما إلى سي إسماعيل؟

ليس هذا لاعترااف سلاخاً بضعه في أيديهم، وحنة بحاجو ما ب عبد الله؟  
مطلق كمطلق الأطفال لأعرار، بل عقلية كمعقلية العام، يحسبون أنهم متى كنوا هذه شهادة عن الناس، فقد أحصوها عن الله؟

﴿وَلَا يَغْنُفُونَ أَنَّ اللَّهَ يَقْدَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَقْنُتُونَ﴾ سورة ٧٧

بعد تصوير هذا الموقف المضطرب من ليهود، نجاه لإسلام، يتقدم النبي حصة ثانية بيصور لنا لمجتمع اليهودي نفسه، وليقول لنا إن هذه الأمة في تكربها ادبي تتألف من عنصرين:

١- فريق جاهل مصل، أسير للآماي والأحلام، مستعد للظنون والأوهام، يأخذ باسم الدين ما ليس بدين.

٢- وفريق متعلم مضلل، جريء على الحق، يعتري على الله الكذب، يقدمه ويسابه، يكسب الكتاب بيده ثم يقول هذا من عند الله، وما هو من عند الله، ولكن لسان به عرضاً من أعراض الدين، فهو أثم مرتين مرة فيما يكسبه، ومرة فيما يكسبه، فصلاً عن إثمه في تضليل العاقلين، فأبي مطعم في صلاح

أمة هذا شأن عالمها، وذاك شأن جاهلها؟

ثم يأخذ الحديث في تفصيل صلاتهم، وجاهلاتهم، ويبدأ منها بأعمقها جذراً، وأبعدها أثراً في أسلوب حياتهم.

تلك هي فكرتهم الخاطئة عن مبدأ المسؤولية، فهم يقولون نحن أساء الأنبياء، بل نحن أساء الله وأحاديثه على بصيرة دس، بل سيظهر لنا، وإن عوقبنا فلن نلصق الدر إلا آيات معدودة ها ها يكمن سر الدس، سر اجترائهم على الكذب والنصيل، وعلى أكل السحت، وعلى كل موبقة وإثم.

فلستمع إلى القرآن الكريم الحكيم، وهو يُوسّع هذا الدعوى بهتلاً وتصيداً سيطلبهم أول كل شيء بمسئلتها هل عندكم من الله وثيقة ضمان أو عهد أمان؟ أم هو قول ترموه على عو هه، وتقولون على الله بغير علم!

ثم لن يكتفي بعجزهم عن تقديم البرهان على رعمهم، بل سيكرر بنفسه على هذا الرعم بقف ودحض، مبيهاً فسادهم بمخالفتهم لقانون العدل السماوي الذي لا يجازي أحداً لحسه ولا لسهة من يعمل سوءاً أو خيراً يُجْزَى به.

ثم يحتم الجحاح بأن يقلب القضية عليهم ويقيم البرهان على تقيص رعمهم، ويشت أهم على العكس سوف تمسهم النار طويلاً، بل سوف يكونون من أصحاب الملازمين ها، الخالدين فيها، وسوف يلاقون فيها أشد العذاب، فلا يخفف عنهم ولا هم ينصرون، ذلك بأنهم ينطبق عليهم حكم ﴿بَكَىٰ مَن كَتَبَ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنَ الْبُحْرِ﴾ [البقرة: ٨١].

وإليك البيان مفصلاً على سبق القرآن الحكيم: ﴿أَلَمْ يَوْعَدْ عَنِّيُ الْكَافِرُ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فامحدوا أحبارهم أرباباً من دون الله؟ ألم يؤخذ عنهم ميثاق الكتاب أن يقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويحسوا إلى الوالدين، واليتامى والمساكين، وأن يسموا الناس بحسب أحلافهم، إن لم يسموهم بغيرهم وعظائمهم،

هو بوا عن ذلك كله و'عصوا عنه اعراضا كلًا، وسدوه وراءهم طهرثا؟

أوم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقتل بعضهم بعضًا، ولا يخرج بعضهم بعضًا من ديارهم، حتى لقد قيل لهم إن من قتل غيره فكأنما قتل نفسه، بل كأنما قتل الناس جميعًا ومع ذلك فلم يورعوا عن قتل جوارحهم، وإخراجهم من ديارهم طغي وعدوان ومحنة لخلعائهم العرب في المدينة من الأوس وأحمرح يقتلان قتل الإسلام، وكان من كل قبيلة حلفاءها من اليهود يقاتلون في صفها فريضة مع الأوس والنضير مع الأحمرح، وكان من علب حرب دياره وأحمرح معها، ثم من المفارقات العجبة أن فريضة والنضير المتحاربتين كانتا بعد انتهاء القتال تشتركان في فداء الأسرى اليهود من أحاسين، بحجة أنهم مأمورون في الوراة بفداء الأسير من إسرائيل أيًا كانت قبيلته

ألم يكونوا مأمورين كذلك بعدم قتلهم وإخراجهم؟ فإله من تدبى أعرج ابنه، كأنها يؤمنون بعض الكذب ويكفرون ببعض!!

ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن يؤمنوا برسول الله حقيقًا، وأن يعرروهم ويؤيدوهم ويكفهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا، ففريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون فإذا قيل لهم ما بالكم لا تؤمنون بهم، وما منهم إلا رسول مصدق لما معكم، وقد جاوزكم بالكتب والبيات قالوا: «فَنُؤْتُوا عُنْفًا» (البقرة، ١٨٨) مُعْتَقَةٌ مُّعْتَقَةٌ لا يبعد إنيها بينهم، وما خلقها الله مُّعْتَقَةٌ ولا مُّعْلَقَةٌ ولكنهم هم أعلقوها بكفرهم، فطع الله عليها، فقبيلًا ما يؤمنون

هكذا أمروا بعبادة الله وحده فأشركوا به؛

وأمروا بفعل الخيرات، فصنعوها؛

وأمروا بترك المنكرات، فافترفوها؛

وأمروا بتأييد رسالات الله، فحاربوها؛



مهمل بقي هم منهد إلى معصرة الله؟!

لعد كسو اسبثت وأحاطت بهم خطائهم من كل جانب فاستحقوا الدار لا  
أبائنا كما رعموا، ولكن جالدين محلبين كما نصي الله

كانت هذه صورة من نفس أمة إسرائيل لعهودها مع الله، فسطاع الآن صورة  
من نفسها بعهدا ونقصها في موقفها قبل الإسلام، وبعده أمام الناس، في تحويها  
عن الهدأ الذي أعلنته قبل الإسلام، الذي كان فيه كل خيرها وسعادتها؛ فقد كانوا  
في الحامية يساجلون الوثنيين ويهددوهم بقرب محي. بني يكونون أول المؤمنين به،  
والذي سيكون محينه فتحاً وبعراً بتوحيد وحرره، وحدلاًنا وهريمة للشرك وأهله،  
فما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وظهروا الوثنية عليه بغير حق ولكن بغيراً وحسداً؛  
لأنه ظهر في الأمة العربية، وفي بني إسرائيل، وقد كانوا يتمنون أن يكون من بني  
إسرائيل، على وضوح الآيات في التوراة أن لبني الذي سيُنقث، سيكون من أمة  
أمية، من أمة أشئت ليست ها وحدة سياسية جامعة، وطئت فترة طويلة أكثر الدهر  
لا تحمل رسالة السماء. وهي أوصاف لم تكن لتطبق على غير العرب؛ ذلك أن الله  
يرل من فصله على من يشاء من عباده، وهو أعلم حيث يجعل رسالته





## القسم الرابع

### تفسير آيات مختارة

١- تفسير آية السلم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي الصُّلْحِ كَقَائِدٍ﴾

شعار المؤمن السمع والطاعة، للحق والعدل.

٢- تفسير ﴿وَتَسْلُوا اللَّهَ مِنْ قُدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ مُبْهِتًا﴾

٣ الحياة الزوجية خلال ربيع ﴿وَالْوَلَدُ يُزْمِنُ أَوْ يُدْفَنُ﴾

٤- غزوة أحد هي سورة آل عمران.

٥- نور من سورة النساء لمحبة الظهر والجمال الخلق.



## الحلقة السادسة: من سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [المرء: ٨٩] إلى قوله: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْوَيْسُ﴾ [البقرة: ١٠٤].

ما يران الحديث في شأن إسرائيل المعاصرة للإسلام، وقد رأينا في الحلقة السابقة صورة من عذر تلك الأمة في نقضها عهودها مع الله، وسرى في هذه الحلقة صورة أخرى من عذرها في نقضها عهدها أمام الناس، وذلك بتكررها للعبث الذي طالما أعلنته قبيل الإسلام، فلقد كان اليهود يومئذ كلما غلبوا في حرب مع المشركين جعوا يتوعدونهم بقرب محي السبي المتظر الذي سيكونون هم أول المؤمنين به والذي سيكون محينه فتح ونصرا للتوحيد وحزبه وهزيمة واندحارا للمشرك وأهله هكذا كانوا يعلنون من قل فلما جاءهم ما عرفوا كانوا أول كافر به، وكانوا للمشركين طهيرا ونصيرا عليه. ما سر هذا الانقلاب؟ يجيبنا القرآن الحكيم لا سبب إلا البغي والحسد، ذلك أن هذا السبي الموعود ظهر في البيئة العربية وقد كانوا يتمنون أن يكون من الأمة الإسرائيلية.

على الرغم من وضوح الآيات عندهم في التوراة أنه سيكون من أمة أمية، من أمة أشتت لبسها وحدة سياسية، من أمة نقت أكثر الدهر لا تحمل رسالة سماوية وكلها أوصاف لم تكن لتطبق على غير العرب ذلك إلى أن الله من حقه أن يزل من فصله على ما يشاء من عبادته، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، ولكن الحق ما زال يعلي في صدورهم منذ رأوا راية القيادة الروحية تُرفع من أيديهم وشهدوا مشعل

السوء يتحول من بيت إسرائيل إلى بيت سماعيل هذا هو السرّ الحقيقي الذي كشفه القرآن غير أنهم كانوا أعظم دهاء من أن يعلموا هذا السرّ في صراحة ووضوح، فكسبوا، بدعاهم الداعي إلى الإيثار بالقرآن وبسبب لقرآن يتحولون من المعادير ما يحول أقطار الناس عن دينهم الدفين

هذان مقالان يسجلهما القرآن ها هنا، كان علماء اليهود يبررون بهما موقفهم من الإسلام ويعتدرون بهما عن عدم انصوائهم تحت راية القرآن

### المقالة الأولى:

قولهم للمسلمين إن كل أمة مسؤولة عن كتابها رهينة بما أنزل عليها، فأمنوا أنتم بما أنزل عليكم، ونحن ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْكَ﴾ (سورة ٢١).

لكن توراتنا ولكم قرآنكم، ولا حجة بيسا وبسبكم.

كلمة ظاهرها العدل والصفه، ولكن القرآن لم يلبس يكشف الغطاء عما تحتها من دعوى رثعة وحجة داحضة ومناقضة بينة .

يقول سلمنا مؤقتاً أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم، فهل الإيثار به يبرر الكفر به وراءه كيف وهو حق مثله، والحق لا يعارض الحق ولا يناقضه، بل كيف وهم يستأحيان حقيقتين مفصلتين، بل حق واحد متصادق متطابق، ثم كيف وهذا التصادق وانتطابق حاصر الدلائل قائم الشواهد، ويستند هذه الشواهد بعائبة عنكم، وإيما هي معكم ونحت أيديكم تعرفوها وتتدارسوها.

ألا ترى كيف سافقتهم هذه الحاجة إلى موقف يكاد يطلق عليهم بأهم كادون في دعوى إيمانهم بما أنزل عليهم؟

لأن الذي أنزل علينا كان وفقاً وطبقاً لما أنزل عليهم صار تكذيبهم بكتاب تكديباً ضريباً لكاتبهم.

ونكر لهذا بلجا في تقرير عدم ايمانهم بكتائهم الى هذه الدلالات الخطوية  
الإلزامية.

لماذا لا نحقق عليهم عدم الإيمان بكتابتهم من واقع أفعالهم وشواهد سيرتهم؟  
 دللت هو ما فعله الذكر الحكيم حين أذكرهم طرقاً من الوقائع الباطنة  
 بكرهم كقتل الأنبياء ﴿وَمَنْ تَقْتُلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]،  
 وعبادة لعجل ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ كُفِرْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٩٢]،  
 وبقصص المشاق ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا أَلَمْ يَكُنْ عَلَيْنَا نَهْيٌ إِذْ جَاءَنَا الْمَلَأُ﴾ [البقرة: ٩٣].

أفهدا كنه إيمان ﴿يَسْكَتُ اسْمُهُ يَسْكُنُهُ يَدْكُهُ نُفُوسُهُ﴾ [المرء ٩٣]، وليس هم أن يقولوا، بل فعل هذا آواز من قل، لا مضمض الميثاق معهم عتيد، وله فيهم كل يوم شاهد جديد، وعادة العوض من الذهب لا تزال ماثلة في قلوبهم مادية في دعائهم مشربة بها قلوبهم، وقتل الأنبياء لا يزالون له يبيتون، ولكن الله يحول بينهم وبين ما يشتهون.

إِنْ أَصْرُوا عَلَى دَعْوَى الْإِيمَانِ رَعِمَ هَذَا كَلَهُ، وَرَعِمُوا أَنْ لَمْ عَدِ اللَّهُ مَرَلَةَ الرِّصَا وَالْكَرَامَةِ، فَلَمْ يَمْ إِنْ عَدَهُ الثَّقَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ عِلَامَةُ بِهَا فَاقِ الدِّيَّ بِسْتَيْقِنَ أَنْ مَصِيرَهُ إِلَى مَا يَحِبُّ يَتَشَوَّقُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ وَيَتَمَنَّى، وَيُودُّ أَنْ يَطْرُقِي الرِّمَانُ لَتَقَرَّ عَلَيْهِ بَلْقِيَاءُ، فَهَلْ أَنْتُمْ كَذَلِكَ؟

إنا نتحد اكم ﴿قُلْ هِيَ كَأَن تَكُفُّمُ الذَّارَ الْآخِرَةَ بِعَدِ اللَّهِ وَحَالِكُمْ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَسَبُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ مُصْذِقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤) ولكن هيهات أن يتمنى اليهود الموت ﴿وَلَوْ يَسْتَوْفُونَ أَجْرًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥) إثمهم بالعكس بكرهون الموت ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ النَّاسِ قُلْ جَزَاءُ﴾ (البقرة: ١٩٦) أي حصة كانت ولو حياة دله ومهابة، ولو حياة بغير كرامة ولا صميم، فهم أشد الناس كراهية للموت، إثمهم أحرص من الدين أشركوا والدين لا يؤمنون بحساب ولا جزاء.

## المبحث الثالث: تفسير آية السلام



### شعار المؤمن السمع والطاعة، للحق والعدل<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَقْبِلُوا فِي آيَاتِهِ حَقَّاقَةً وَلَا تَكْفُرُوا بِمَا كُفَرْتُمْ لِكَيْلَ يَكْبِتَ اللَّهُ لَكُمْ أَمْثَلَكُمْ عَذَابُهُمْ ﴿٢٩﴾ قَدْ رَكِبْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا جَاءَتْكُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩].

آيتان محكمتان، صدرت بهما طائفة من الأي الكريمة، هي في حملتها رسالة الرحمة، توجهها السماء إلى الأرض، ماشدة بإهم أن يفيثوا من السلام إلى طل طيل، يمحو من بينهم أسباب النزاع والخصام، ومذكرة بإهم رباط الوحدة الإنسانية، لتي تسمو عن فوارق الأحساب ولأنساب، والأجناب والألوان ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣].

ولقد كان من بالغ الحكمة وجميل التلطف في أسلوب هذه الدعوة، أنها قل أن ترقى إلى هذا الأفق العالمي الرفيع، صعدت إلى منتصف الطريق، فاحتارت من بين الأسرة العالمية الكبرى، أسرة كبيرة هي أحق بالترابط والتراحم فيما بينها؛ تلك هي أسرة المؤمنين بالأديان السماوية، الذين يجمعهم مبدأ الإيمان بالله واليوم الآخر، مظهرهم الآية الكريمة في ملك واحد، وجعلت تشدهم أن يلمو شعشهم، ويصموا صموفهم تحت لواء السلام الشامل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَقْبِلُوا فِي آيَاتِهِ حَقَّاقَةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

أول ما يعي الساحت ماها، هو الكشف عن حقيقة هذا السلام الشامل الذي

(١) نشر في مجلة الأرم، غرة صر ١٣٧٢ هـ ٢٠ أكتوبر ١٩٥٢ م، المجلد الرابع والعشرون



## يدعو القرآن إليه أهل الإيثار

فحس بهم في العادة من كلمة «السلام» معنى كتّ الأذى، وترك الشعب واعتقه، وسد الخروب والخصومات، وبالحكمة معنى المسألة في معاملة الناس بعضهم بعضاً وهذا معنى صحيح في ذاته، غير أنه لا يمثل من السلام، لا عصره السلمي، ولا بصوره إلا قشرته السطحية، ومظهره الخارجي، وكثيراً ما كان هذا لمظهر طلاء جدد، يُحمي وراءه الداء الدفين، والصنعن الكمين وإيها السلام حقيقي هو الذي يتقرر في الآراء والمقائد، قبل أن تحرر موثيقه في صكوك المعاهدات وقبل أن تطبق قواعده في البر والبحر

وكلما تعلم أن لقرآن الكريم ليس رسالة مذبذبة فحسب، وأنه ليس كل همه تنظيم صور الحياة ومظاهرها، وإيها هو قبل كل شيء تربية للعقول بالعقائد السليمة، وتركبة بدقلوب بالمدائى الفاضلة، التي متى ستت بين الخواص أينعت ثمراتها الطيبة على اللسان والخواص ليس من سنة القرآن الكريم أن يكتفي في معالجة الأمور بذلك النوع من العلاج السطحي الخائبي، ولكنه دائماً يأبى السيد من قواعده ويسوس الأمر من باطنه وأعماقه، يمكن للحيراث والمصائل بعرض بدورها، ويكافح الشرور والردائل باقتلاع جذورها.

السلام الذي يدعو إليه القرآن هاها، هو إذاً شيء آخر، أعمق من كل هذه المظاهر المادية، أن يكون متجاوزاً حقاً وصدقاً مع المثل العليا التي يؤمن بها، بحيث لا يثور تمرداً على تلك المادى إذا خالعت هواه، ولا يعرض عنها كلما تعارضت مع ميوله ورعايته، فاللدخول في السلم هو الثبات تحت راية الحق في خضوع واستسلام، والالتقاء لقانون العدل، في طاعة ونظام، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الباء ١٢٥]، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَسْلَمَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾

[نهاد ٢٢]

هذا هو لث المعنى وجوهره في لغة العرب، وهذا هو حقيقة السلم، وحقيقة

للإسلام، في لغة القرآن، وهذا هو الدين الذي دعا إليه جميع الأنبياء، وهذا هو لطريق الواحد لشر لواء الأمن والسلام بين الأمم والأفراد.

ذلك أنه لا يستمر أمن إلا في ظل الألفة والترابط، ولا ندوم ألفته إلا على أساس مبدأ واحد ثابت، ولا وحدة ولا ثبات إلا لمبدأ الحق الذي لا يتحول ولا يتعدد ويصدها تتميز الأشياء، فليس على وجه الأرض فئة وحصومة، إلا كانت وليدة اختلاف، ولا اختلاف يورث الخصام إلا أن يكون معته تشعب الأهواء وتناقضها، ولا تشعب الأهواء وتتناقض إلا بمقياس بعدها عن جادة الحق، وطريقه القويم ﴿وَأَن هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ شَيْئَلٍ مَعْرُوفٍ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِمْ دَعَاكُمْ وَفَسَّخْكُمْ بِذَلِكَ تَعْتَقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٣)، ﴿وَلَوْ تَّبِعَ كُلُّ آهْوَاءِ هُمْ لَفَسَدَتِ أَشْيَاكُ وَالْأَرْضُ مَوْجُوعَةٌ﴾ (الأنعام ٧١).

هذا ولقد علمتنا التجربة والملاحظة المتكررة أن كثيراً ممن عندهم أصل الإيمان لا يعورهم اعتناق المبادئ، ولكن يعورهم الثبات عليها، وأهم لا يقم عليهم رفض مبادئهم والارتداد عنها، بقدر ما يؤحد عندهم تجربة هذه المبادئ وتغيثها، وتركهم الميول والأهواء تعترض سبلها وتقيم الحواجز أمام تطبيقها على عمومها ﴿فَتَجْلَسُ عَلَا وَيَحْكُمُوهَا عَالَا لِيُؤْطَقُوا بِعَدَا مَا حَزَمَ آفَةُ﴾ (التوبة: ٣٧).

ومن هنا يعرف السر في أن القرآن لم يكتب بمجرد الدخول في السلم، بل أن يكون «كلمة» عامة، وأن يكون الإدعاء لأمره إدعاءً كبيراً، شاملاً كمالاً، لا قيود له ولا حدود، ولا التواء فيه ولا استثناء. فتلك هي أوصاف الحق التي يأبها القرآن، وذلك هو مساهم الدم، والذي وحده إلى كثير من أهل الأديان، فحس نراه - حين يصرب لأساس أممهم يعرف لنا المؤمنين الصادقين بأهم هم الذين يعنفون الحق حملة واحدة يؤمنون بالكتاب كله ولا يفرقون بين الله ورسوله، وهم الذين إذا شرعت لهم لقوانين العادلة لم يتبرموا بها، ولو كان فيها ما تكرهه نفوسهم، ولم يتبرموا معها، ولو كان من ورائها بقص كل شيء من حظوظهم وأمانهم ﴿إِنَّمَا كَفَّ قَوْلَ التَّوْبِينِ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَوَافَا

ولفظة [المرء]، وبدلت يقول الرسول الكريم «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية»<sup>(١)</sup>.

أم الدين في قلوبهم ريع فقد وضعهم القرآن بأد كل شيء عندهم منقسم، عقائدهم، معاملاتهم، وأحكامهم، فأما في عقائدهم فإسهم يؤمنون بعض الحق، ويكفرون بعضه، وكلما جاءهم داعي الحق بها لا تهوى أنفسهم استكروا وهريقا كذبوا، وهريقا يقتلون، وأم في معاملاتهم فإسهم إذا لزمهم الحق لم يؤدوه إلا مكرهين ﴿إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ﴾ [البقرة ١٢٩]. وأما في حكمهم على الأشياء وعلى الناس فإسهم لا يحمدون إلا الناحية التي يهب عندهم منها ريع لعينة ﴿وَمَنْ أُغْلُوا مِنْهَا رِضْوَانًا لَمْ يَنْقُصُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَنْحُطُونَ﴾ [البقرة ١٥٨] على أن لدي يدعي للحق فيما يرضيه ويعرض عنه فيما يسخطه ليس في الحقيقة مدعاً له في واحدة منها، ولكنه مستسلم لهواه في كلتا الحالتين.

ومهما يكن من أمر، فإن التمرّد على الحق كلاً أو بعضاً، لا يمكن أن يكون نعمة من نعمات الإيثار، وإسها هو نعمة من نعمات الشيطان، لا حرم حذرنا الله من أشد تحذير، حيث قال جل شأنه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة ٢٠٨]. فكان صدر الآية تعبيراً بطرق الهداية وعجزها تحذيراً من طريق العوابة

وهكذا كن قيادة حكيمة، تبدأ بالإيثار والإرشاد، وتنتهي بالصنع والتحذير، فإذا أصر الناس على العناد بعد أن تبين لهم الرشد من العمى، لم يتبق إلا أن يؤحدوا بالحرم والعزم، وأحر الدواء الكي: ﴿فَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْ شَرٍّ مَآجَاءَ نَعْيِكُمْ فَانْهَوُوا أَنْ لَكُمْ عَزِيمٌ﴾ [البقرة ٢٠٩]. وصدق الله العظيم

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري في الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم يكن معصية عن عبد الله من عمر (١٢، ١٣٠)، حديث رقم (٧١٤٤) ولفظة «السمع والطاعة» عن امرء المسلم في أحد وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، انظر فتح الباري، ط الراب، الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م

## سورة البقرة: «سنة الهداية القرآنية»

قال الله تعالى ﴿وَتَعْلَمُوا أَنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ كِتَابَ رَبِّكُمُ ثَقِيلٌ﴾ [البقرة: ٢٥٢]

سنة الهداية القرآنية أنها في دعوتها إلى الحق والخير لا تأخذ النعوس بأسلوب الشدة وحده لكي لا يصيبها الكبت من فرط الخطر ولا بأسلوب الدين وحده لكي لا يمسدها الاسترسال في الأمل، ولكنها تداول دائري بين هذين العلاجين لتلطيف لأثر كل واحد منهما بالعلاج المصاد له حتى يتم الاعتدال والتوازن بين القوي النفسية المختلفة من هذا المهج القرآني الحكيم نرى مثلاً واضحاً في دعوته إلى الفريضة الاجتماعية العظمى مريضة البدل والإعاق، لقد سمعنا منه فيها أسلوب المباشرة الرقيقة الرفيعة، ثم سمعنا منه أسلوب التحريض الشديد الأكيد، والآن سستمع إليه وهو يعود إلى النعمة الأولى ﴿مَنْ أَذِينَ يُلْمُونَ أَنْوَلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُنُفٌ مِنْهُمْ أَفَبِعَيْنٍ سَاءَةٍ يَنْسَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يُصِيفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وبعد فليت شعري لمن أعد هذا الوعد الجميل؟ من هم الذين يُنْعَثُونَ بالإعاق في سبيل الله؟ ما الشرائط والآداب التي يجب مراعاتها في الإعاق لمن يستحق هذا اللقب الكريم؟

وتجيب الآيات البينات بالتفصيل الدقيق هذه الآداب والشرائط، آداب تتصل بالمنهج نفسه بحقيقة الباعث له على العطاء بأسلوبه عند العطاء وموكله بعد العطاء وآداب تتصل بالمال المدلول وبحق اختياره وآداب في طريقة توصيل العطية وآداب في الوجوه والأهواء التي يُصَرَّفُ فيه العطاء، فأما البواعث على العطاء فإنها تتنوع في نظر القرآن إلى نوعين، فهناك بواعث تلقائية حاصلة مجردة عن شوائب العرض ولها الإشارة بقوله عز شأنه ﴿وَمَا تُحِبُّونَ إِلَّا نِعْمَةً وَجَعَلَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهو له ﴿يُحِبُّونَ أَنْوَلَهُمْ أَنْعَمَةً مَرَكَاتٍ الْوَوَّلِيَّةَ يَنْفُسِهِمْ﴾ أي تمكيناً لمملكة الر والجلود في نفوسهم وتحقيقاً لبعض





انقسامها ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، فإذا فرض أن الروح بعد هذا كله احتار أسوأ الخلق وجعل مرافقه شيئاً حاكماً فقد وقع نصف المأساة، ولكن بقي نصفها الثاني، نعم بقي النظر فيما يؤدي إليه هذا الوضع من خصوصيات ومنازعات وفيما يتقرر عن أثره من حقوق وواجبات، وبقي النظر في برعة الزووجة إلى المسارعة بعد علاقات جديدة وتناسي تلك الصلات والدكرات، بل بقي النظر قبل ذلك فيما عساه أن يكون قد راد من لسان جديدة في بيان الأسرة، بقي النظر في شأن الأولاد في ذلك الحيل الناشئ الضعيف الذي قد يصح عرضة للضبايع بسبب الإهمال، بسبب العدد ولتشمعي، بسبب الخروج من تلك البيئة الموحدة إلى بيئة معرقة، معروفة من تعاون الأبوة، الكريمة والأمومة لرحيمة، هذه هي الشؤون التي سينالها الشطر الثاني من دستور الأسرة فلنستمع إلى الرصايا الربانية في مختلف هذه الشؤون، الوصية الأولى في شأن حمية السن والعناية بشأن الطفل، إنها تلاحق الأبوين بالصحة والإرشاد وتستثير ما فيها من كامن العطف والحنان.

**أيتها الأم لا يحملك فراق روجتك على أن نسبي إلى تعذبة ولدك أو تفصري عن كفايته.**

**أيها الأب، لا يحملك فراق روجتك على قطع النفقة عنها وترك معاناتها عن القيام بحقوق ولدك، أيها الأبوان إن ولدكما هو ثمرة الوثام بيسكما، فبكن بيتكم رسوا رحمة وسلامة لا أداة مضارة وعناد، فإن نارعتما في تحديد أمد رصاعته فبكن حتم النزاع سكما بعده إلى الأجل الأقصى ستين كاملتين، أما إذا اتفقتما على أجل معين قبل الستين فلا جناح عبيكما في فطامه عند الأجل الذي تترصيان عليه بعد التشاور مع أهل الخبرة والصحة والتربية لمصلحة الرضيع، هذا هو جوهر الوصية الأولى**

### الوصية الثانية بشأن العدة والخطبة

**والوصية الثالثة هي شأن المتعة والصداق وبعد أن يقرر القرآن فيها قانون**

الحق والعدل يتبعه قانون أسى هو قانون الشر والفصل مرعاً صاحب الحق في التدبر عنه ومرعاً من يؤدي الحق في أن يريد علمه وأن يعفو أقرب للتقوى، ثم يحتم الدستور كله بوحية إنسانية جامعة منبثقة منها الناس كافة أن يكون تعاملهم على أساس الإحسان والصراحة لا على أساس المشددة والمحصنة ﴿وَلَا يَسْتَوِ الْأَفْضَلُ تَبَعًا﴾ ألا بها نعمة الوصية، وإياها والله الوصية مودع، سيتحول الحديث بعدها من تنظيم شؤون الحرية المصرية إلى توجيه شؤون الكلية الكبرى، إلى مساحة الله والجهاد في سبيل الله فنيكن العد موعداً..

### اللقاء

انطلت صفحة الشؤون الحزبية المصرية، وأشرقت جهة الشؤون لكلية الكبرى، استمعنا بالأمس إلى فرائض لقرآن في حق الروح والولد، وستمع اليوم إلى مريضته في حق الله والوطن إن هذه الشؤون أعيا هي الهدف الأعظم من الشريعة في هذه الصورة يعرف ذلك من يتابع سير البين في أحكامها، فعندما جمعت آية الر حصال الفصائل كانت أول فضيلة عملية فيها هي تدن المال في مصالح الأمة، وآخر فضيلة منها هي فضيلة الصبر في الأسماء والضراء، وحين البأس وصمت النقط على حروفها ومبرتها في إعرابها، ثم ما زالت الآيات بعد ذلك تردد نداءها حيث بعد حين ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ﴿وَيُؤْتِي سَبِيلَ اللَّهِ﴾ هذا هو الجو الذي هيأته السورة لأحكامها، وهذا هو الأديم الذي نسجت عليه وصاياها، نحن إذن في ميدان جهاد.

إننا في جبهة قتال نتلقى فيها التعليمات المتنوعة في مختلف الشؤون، وقد رجع الحديث لأن إلى محوره الأصلي فلنستمع إلى القائد الأعظم إنه ينادي جسوده بدهاء يحصهم به على الصلاة وبداء يحرضهم فيه على القتال والإنفاق في سبيل الله، أيها المحاهدون لا يشعلكم جهاد عدوكم عن ذكر ربكم، إنه عُدتكم التي بها تطمئن قلوبكم، استمعوا بالصبر والصلاة، حافظوا على الصلوات في وقتها، لا تصيغرونها



في حال أمكم ولا في حال خوفكم، ثم أيها المجاهدون سنوي عن كل ما يشعل بالكم، كل ما يساوركم من اهتموم، اتحنون المريعة، أم ترهبون الموت أم تحافون الضيع والعيلة على أهليكم وأرواحكم من بعدكم؟ كلا لا تنهوا ولا تخافوا ولا تحزنوا، أما أزواجكم فقد وصي الله فمن بأن يتمتع حولاً كملاً في بيوتكم، تراها والله أعلم - كانت نافله جعلت لزوحات المجاهدين فَضَّلْنَ بها عن زوحات بقاعدين اللاتي لا يترصن إلا أربعة أشهر وعشراً، وكذلك مطلقاتكم سيتقرر من في المنعة حق لا يُنسى، فاطمأنوا إحد من هذا الجاس، أما خشية الموت على أنفسكم من فطنتم أنه يفهمكم الفرار إن فررت من الموت أو القتل؟ ألا تعلمون أن أجلكم سيواهيكم ولو كنتم في بروج مشيدة، أو لا تعلمون أن الذي يفر من الموت قد يلاقه، وأن الذي يطلب الموت قد توهب له الحياة، وأما خشية المريعة حينكم فهل حسبت أن الفوز موط بكثرة العدد؟ ووفرة العدد؟ ألم تعلموا أن النصر مع البصر، وأنه كم من فئة قليلة هانت فئة كثيرة بإذن الله، وتسوق الآيات من بأ أولين ما يشبه هذه الحقائق كلها، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْغُزَى﴾ (البقرة ٢٤٢)، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَزَلَ بِهِ﴾ (البقرة ٢٤٦).

وإن الذي يبدو ل - والله أعلم - هو أن الأئين تشير إلى نأ واحد ذكر مجملأ ثم مفضلأ، إسم قوم من بني إسرائيل قبيل ظهور داود -عليه السلام- كانت قد غلبتهم الجبابرة على بلادهم وأخرجوهم من ديارهم وأبائهم مخرجوا منها لا من فئة عدد ولا عن نرق كلمة، فقد كانوا ألوفا كثيرة متكنلة، ولكنه الحين والوهن وكراهة الموت وحب الحياة، فلما طال عليهم الأمد وشعروا بذلة هذا الطرد قال الله لهم موتو توهب لكم الحياة، بعد هذا كله على يد فئة قليلة منهم تطهرت بموسمهم من داء الخور والتردد مُلِثَتْ قلوبهم ثقة بالله وحرصاً على الاستشهاد في سبيله.

## سورة البقرة . آية الدائن والرهن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد رأينا كيف أهدى القرآن الكريم في الدعوة إلى إتفاق loan وبدله في سبيل الله، ثم رأينا في لطرف الآخر كيف شدد العي والكبر على من يكتسب شيئاً من المال ابتداءً من لضعفاء والمحتاجين باسم الرنا والمائدة لما عليهم من لديون، بين هذين طرفين يصح انقرآن ميران العدل حاضراً لصاحب الحق سلطاناً في المداينة رأس ماله كنه لا ينقص به شيء، ولكنه في الوقت نفسه يحذرنا من سوء استعمال هذا الحق في إيذاء المعسرين، ويأمرنا بأن نعدو عليهم إحدى لرحمتين؛ إما رحمة سنية بالكف عن مطالبتهم حتى يتبدلوا من عسرهم يسراً، وإن كن ذو عسرة مطرة إلى مبسرة، وإما رحمة إيجابية بالتنازل لهم عن ديونهم، وهذه أسمى وأفضل، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون.

هكذا اشتملت الآيات الكريمة على حكم التهادج الأربعة من المعاملات، غير أن الطبع البارز في هذا التشريع وهو طابع الفساعة والسباحة يكاد يسرع من نفوس قيمة اادن ويشيها عن الاهتمام بأمره، فهل هي دعوة إلى الرهد في لقيم المادية إلى حد عدم العناية بكسبها وثمرتها؟ أو عدم انبالاته وصيانتها وحفظها هيئات هيئات.

إن المال في نظر القرآن هو قوام الحياة يأمرنا أن نسعى في طلبه ويحذرنا أن نعهد بتدبيره إلى السعواء، إن القرآن يدعو إلى كسب المال من حله وإتقاه في محله، وكيف ينمو المال في مصارفه من لم يلمسه من موارده ولم يصفه من متائفه، من كان في شك من هذه الحقائق فليستمع إلى الأيتن التاليتين؛ آية المداينة وآية البرهان، إن فيها

دستورًا من أدق الدساتير المدسة في حفظ الحقوق والأموال، بل هو أدقها على الإطلاق، نعم لقد رأينا الشعوب الأمية رأياهاها تقول في إثبات الحقوق بينها على شهادة العدل وحدها، ورأب الأمم المتحصرة رأياهاها تعتمد في معظم الأمر على الوثائق الكتابية وحدها، ثم رأينا دستور القرآن فإذا هو يطالب بالكتابة والإشهاد جميعًا، فاكثروا واستشهدوا شهيدين، وهذه واحدة، ثم يأمرنا بأن نجعل التوثيق بالكتابة شملًا لا لنديون الكبيرة فحسب، بل لنحقوق كلها صغيرها وكبيرها على السواء هذه ثانية، ثم يندسنا إلى عدم إهمال الكتابة والإشهاد حتى في المبيعات المورية لمصرة الثمن وهو إرشاد واضح لأرباب الأعمال الدلية إلى العناية بدقة حسابهم وحسب صدراتهم وورداتهم يومًا فيومًا، بل ساعة ساعة، هذه ثالثة.

ثم يسها إلى أنه منّا لكل خلاف وبراع لا يكون الكاتب هو أحد الطرفين، بل شخص ثالث بينها عدلاً مصفّ عالمًا بقواعد المعاملات.. وشرائطها وأصول الكتابة وصنعها الصحيحة لوضحة، أليس هذا هو نظام التوثيق أدم كاتب العقود أخير هذه الشؤون، هذه رابعة، ثم يأمرنا في حال السفر اندي يتصر فيه العثور على هؤلاء الكتاب أن يلدحا المتدانيين إلى الاستيثاق بالرهون، وكأنها يرشدنا بكلمة السفر إلى أنه في حال الحذر لا ينبغي أن نخلو الجماعة من هذا الخهار الحسابي الدقيق، ولن أحصي ما في الآيتين الحكيمتين من دروب لإرشاد والتوجيه الحكيم؛ لأنها أكثر من أن نحصي.

والآن وقد أشرف على الختام أحب أن نعبهاها وقمة قصيرة بحصي فيها هذه المراحل التي قطعناها من هذه السورة والخطوات اليسيرة التي بقيت لنا فيها، لقد تناول الشطر الأول في هذه السورة أصول الإيمان ومبدئ العقيدة، وكان الشطر الثاني تمرينًا على الشطر الأول تفصيل آداب الإسلام وفصله العلمية، فهل بقي شيء من أمر الدين وراء هذين الشطرين؟ نعم لقد بقي ركن ثالث هو روح الأعمال وحياتها، بقيت مراقبة الله في كل عمل ومحاسبة النفس على أعمهاها بل

أن تحاسب نعمه، بعد الإيمان والإسلام يبقى لإحسان وهذا هو الذي نوجت به  
 السورة هامتها في آية واحدة قبل أن تطوي صفحتها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا  
 الَّذِينَ يَدْعُوا مَا فِي الْأَفْهَامِ أَوْ تَتَّبِعُوا بُنَيَاتِكُمْ بِهِ إِنَّهُ﴾، ويطوي السورة أحياناً بأصنوف رد  
 العصد على الصدر ذلك أنها كانت قد بدأت بوعد أهدى والصلاح لمن سيؤمن بها  
 ويعمل بها فيها، الآن نعم بتحقيق هذا الوعد لمن آمن بها وعمل بها فيها، جعل الله  
 وإياكم من أهل هذه الخواتيم الحسنى آمين

\*\*\*

## حديث سورة آل عمران عن غزوة أحد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الآية الكريمة التي استمعنا إليها آنفاً في آيات أخرى تسبقها وآيات تلحقها ستون آية من سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿وَمَا عَدَوْتُ مِنْ أَحَدٍ تُنَوِّدُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْصِدَ الْقِتَالِ وَهُمْ يَمِيعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ بَرَزْتُ لِلْعَدُوِّ وَالْأَرْضِ وَأَقْدَمْتُ أَنْفُسِي﴾.

نزلت كلها بعد غزوة أحد؛ تسجيلاً لوقائعها، وتفسيراً لأسبابها ونتائجها، وغزوة أحد هي ثمانية العزوتين الشهيرتين في صدر الجهاد الإسلامي، والمسلمون حين يذكرون لغزوة الأولى (عبوة بدر) نهم قلوبهم عند ذكرها موجة من البهجة وعبطة؛ لأنها كانت أول ضربة كسروا بها قيود ذلهم واستضعافهم وسجلوا بها معجزة النصر على أعدائهم، نصر القلة على الكثرة ونصر الضعيف على القوي، بل نصر قوة الحق والإيمان على قوة الجحود والطغيان، ولكنهم حين يذكرون العبوة الثانية (غزوة أحد) يكادون يستفلون ذكرها بملء قلوبهم حزناً وأسفاً بل أصابعهم فيها من قرح، ولما وقع لهم فيها من محنة وبلاء، ولو فقه الدرس لكان اعتناطهم بيوم أحد أصعب اعتناطهم بيوم بدر، ذلك أن يوم بدر كان لوثةً واحداً من الحظ وكانت فيه عبوة واحدة من معجزة النصر، أما يوم أحد فقد تطور الموقف فيه أطواراً ثلاثة، وكان لكل طور منها سره وعبرته، لقد كان أوله نصراً ظاهراً كيوم بدر، بل كان النصر فيه أظهر وأظهر؛ كان المشركون يوم بدر ألفاً وكان المسلمون يومئذ بضعاً وثلاثمائة؛ أي أنهم كانوا نحو الثلث من عدة أعدائهم، أما في يوم أحد فكان المشركون ثلاثة آلاف وكان المسلمون عند خروجهم ألفاً، ولكنهم نقص عددهم في

انطربن حيث تخلف عنهم عبد الله بن أبي في ثلاثة من المائتين، بل همت طائفتان من المؤمنين أن تتحكما أيضاً ولكن الله شنها، فأصبح جيش المسلمين سبعمائة، أي أقل من الربع، ومع ذلك فقد اكتسحوا الآلاف الثلاثة وأثخوهم تجريماً وتقتيلاً.

هذه هي الجولة الأولى أشدت إليها الأنة العريضة ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْتُمْ آلَ الْفِرْعَوْنَ إِذْ تَخْسُوتُهُمْ مِيزَاتُهُمْ﴾ تحسونهم، أي تحشونهم حش الأعشاب وتحصدونهم حصداً هائلياً وتستأصلونهم بأذن الله وسكبه، فليظفر الآن كيف تحول الموقف، لقد كان الرسول الأعظم والقائد الملهم - صلوات الله عليه - حينئذ المؤمنين مقاعد بقتال وخصص لكل طائفة منهم محلاً لا تتخطاه جعل فريقاً من الرماة فوق الجبل يحمون ظهر الجيش ويشعلون العدو عنه وأصدر أمره إلى هذا الفريق أن يشتوا في مراكزهم أيما كانت النتيجة قائلاً لهم: «إلا تبرحوا مكانكم بصرى أو هرماً حتى لو تحطمت الطير، ولكن الذي حدث هو أنه ما فر المشركون مهزمين حتى وصلوا إلى رحال نساءهم واندفعت كتلة جيش المسلمين وراءهم تجمع العتائم والأسلاب

ظلت فرقة الرماة أن قد وصفت الحرب أوزارها وأنه لن يكون للمشركين رجعة، فاندفعت هي بدورها تجمع العتائم، وهكذا تركت في ظهر الجيش ثغرة فطر لها فرسان المشركين فتسللوا منها وتنازع القوم وراءهم هناك أخذ المسلمون عن غرة من خلفهم فأصابهم العشل والاضطراب والخوف، وفر أكثرهم مصعدين في الوادي، أي منحدريه فيه لا يلوون على شيء، ولم يثبت إلا رسول الله ﷺ وقليل من أصحابه التمسوا حوله، وقد أحدثهم كلهم الحراح واستشهد منهم لعشرات حتى نادى ماؤ أن محمداً كان من بين القتلى، فتراكت بذلك دروب الغم واهم عن المسلمين، غم على ما فاتهم من النصر بعد إحراره، وغم على ما أصابهم من التقتيل والتعجيل، وغم على تركهم الرسول من خلفهم وإيثارهم أنفسهم على نفسه، وتلك هي الجولة الثانية التي يقول الله في شأنها: ﴿سَرَّحْنَاهُ إِذَا فُتِنْتُمْ وَأَنْتُمْ تَعْتَمِدُونَ﴾ وعصيتكم فيما أنزلتكم ما تحبون يحكم من يريد الأيكاً ومنكم من يريد الآخرة ثم

سَرَقْتُمْ عَنْهُمْ يَتْلِيَنَّكُمْ ﴿١٠﴾ ، ويقول : ﴿إِنَّ تَضِيدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَى أَعْيُنِ الرَّسُولِ  
يَدْعُوَكُمْ فِي أَنْتَرَكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ عَثَا بِمَوَ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا  
أَكْسَبَكُمْ وَأَفَاءُ حَيْزِهِمْ يَسْأَلُونَ ﴿١١﴾ 》.

أكثر الناس لا يعرفون عن غزوة أحد إلا هاتين المرحلتين، وهذا هو ما يمسر  
شعور الحرب و لأسى الذي يقرن في نفوسهم بذكرى هذه الموقعة؛ لأنها في نظرهم  
قد انتهت بكارثة، هؤلاء الناس يسقطون من حسابهم جولة ثالثة لها أثرها وهي  
جولة لا بقدرها حق قدرها إلا من عرف ما للشذائد والمحن من الفصل في صهر  
النفوس وشجع العزائم ورفع الروح المعنوية في احيوش القوة الإيثار السليمة  
الكبد، ولعمري لقد كان للوحي القرآني أكبر نصيب في إعلاء هذه الروح، نعم لقد  
حزن المسلمون في أول الأمر لأصاibهم، ولكنهم لم ييأسوا ولم يستكينوا، إن حرارة  
الحزن عندهم لم تكن نارا تحرق القلوب، ولكنها كانت نورا يضيء الطريق، لقد  
كانت نارا وحسرت في قلوب المناهقين وضعاف النفوس، أولئك الذين أهمتهم  
أفئسهم فجعلوا يقولون: ﴿لَوْ كُنَّا لَمَّا مِنْ لَأَنْتُمْ شَوْءًا فَاعْتَنَّا عَنْهَا﴾، ولكنها عادت بردا  
وسلافا في قلوب المؤمنين، إذ مسح على ناصبتهم بكف المحجوج واليوم ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَاكُمْ  
فِي الْوَأَمْرِ أَمَةً نَحْنُ بِمَقْعَدِكُمْ﴾

وما إن سيقطوا هادئين آمين حتى أخذوا يتعرفون أسباب مصابهم  
ويواجهونه مطابقين بين حاسنهم وأرباحهم ويتأهون في الوقت نفسه للكر عن  
عدوهم، لش كان قد جرح منهم كثير لقد جرحوا هم أيضا كثيرا ﴿إِنْ يَنْتَظِرْكُمْ  
فَرَحٌ فَقَدْ مَرَّ الْغَوْمُ فَزَحْ بَشِيرًا﴾، ولش كانوا قد استشهد منهم اليوم سبعون لقد  
قتلوا في العروة الساقة سبعين وأسروا سبعين ﴿أَوَلَمْ نَكُتُمْ شُيُوعًا عَدَاكُمْ يَتَّقِيهَا  
فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَلْبٌ مُؤْمِنٌ جِدُوا ضَلُّكُمْ﴾.

وفي الحق لقد عرفوا الآن أن ما أصابهم كان من كسب أيديهم، وأنه كان لشوم  
معصية بعضهم لأمر القائد وتطلع بعضهم إلى عرص الدنيا، ولكن ها هم أولاء





## نور من سورة النساء لحبي الظهر والجمال الخلقي

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما أكثر الفع والسمع في ثوب أخلاقنا، وما أحوط الطريق على محبي الظهر والجليل الخلقي حين يتعهدون هذه السمع والسمع للإزالة والنسبة واحدة بعد واحدة

كانت أولى حملات التطهير التي مدنا إليها القرآن المحيد حملة المكفحة للبدن الجمع والسمع، جمع الأموال واكتسرها ومبها عن الخروح من يد صاحبها، فما زالت الآيات الحكيمة تعالج من الصوم أبوابها العنقة حتى فتحت أعلاقتها وعقدتها وثقة حتى حلت وثاقها، كرهت نيبا حلة الصن والإمساك وحببت إلبا شعبة البدل والإبداع، وما برحت تحب في هذه وتعصا في تلك حتى خشا أن يكون الانطلاق في بدل المال انطلاقاً إلى غير مدى، وأن يكون الرهد فيه رهداً على غير هدى، وإذا بالحكمة القرآنية تصع الأمور في نصاها، وإذا هي حين فتحت الكور أقامت الحراس على أبوابها صطاً لوردها وصدرها وتطلياً لوجوه نوربها، توريماً بالقسط بوفر على النص خطها المقسوم ويؤدي للعر حقه المعلوم لا حرمان لا نقصير ولا إصاعة ولا تبدير وكان بين ذلك قواماً، هذه الوصية الشائبة هل تراها وصية عامة شاملة؟ هل كل فرد من الناس أهل لأن يوجه إليه خطاها؟ لسطر أليس في الناس المبروق والمحروم، أليس فيهم الواحد والعدد، فمن لم يجد ما يعفه أو يمسكه كيف يقان له لا تمسك ولا تقتر ولا تسرف ولا تبذر إياها إذا وصية لسطر واحد من شطري الأمة، فما خطب شطرها الثاني؟

إيا وصية لأرباب الأموال، فما مال من لا مال له، هل أعد القرآن لهم وصية مقابلة لهم، وإياها بدورها الوصية ثائية تهدي كذلك إلى طهارة مردوحة وصية لمن لم يجد أن يجد

ليجذ، ثم وصيه به ألا يتطعم لما في يد الواحدين، دعوته إلى شرف العمل الكاسب الذي يعني صاحبه ويشر العبي من حوله على العاخرين، ثم دعوته إلى أشرف نوعي العبي وأكرمها فليس العبي عن كثرة العرص، وكفه عبي الناس، وانتباهي عن موقف الحاجة والصرعة وعن دل السؤال والالتماس، بل عن التضي والتشهي لما في أيدي الناس، هتين الوصيتين الدهشتين جاء الذكر الحكيم في آية ما أحرانا أن نديرها وأن نرون أمسا بميراب ﴿وَلَا تَسْتَوُوا قُلُوبُكُمْ بِهِ تَصَدَّقُوا عَلَى تَقْوَى الرِّجَالِ قِيَمَتٌ مِمَّا أَصْنَعْتُمْ وَلَئِنْ تَوَلَّيْتُمْ لَنُبَدِّلْ لَكُمْ سَعَةً وَتَسْتَوُوا اللَّهَ بِمَنْ تَصَدَّقُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ حَقِيقَةً تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٤).

يقول الله تعالى لهؤلاء الذين يعدون أعينهم إلى ما عند غيرهم إنكم في التماس الخير لأنفسكم تتركون الصالح الراسعة الأمية وتميلون إلى المسارب الصيفة الموحشة أنكم تتركون البحر وتسفون من العدير، ما لكم ولما في أيدي الناس وما من عدي بلوا من قبل، وإنا أبوان مفتحة لكم ولهم، تحركوا عن هذا الطريق فإنه طريق شائن غير مسلوك، وقد مهدت لكم بدله طريقين مسلوكين، فدلرو وجوهكم شطرهما دونكم الأرض الواسعة جعلنا لكم ميدان الكسب والعمل فامشوا في مكبها وكلوا من رزقي، ودونكم السماء الرفيعة جعلتها لكم قلة الدعاء والأمل، فإياي فادعوا راسألوني من فضلي، ثلث وصية الله، فهاذا كان موقفها منها؟

وأسفاه! لقد وقف أكثرنا منها موقف الإباء العنيد، لا إلى ميدان الأعمال يبرزون، ولا إلى قبة الآمال يتوجهون، ولكنهم يحطون أنظارهم عند طرف أنوفهم يفتحون أعينهم على ررق ابحار والقريب والصاحب والرميل يحرصونه ويعدون عداء، يقولون: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أأنت أحق من فلان هذا العبي الغني؟ أأنت أفصح منه لساناً، وأرحب حسناً، وأكبر سنّاً، وأوسع علماً، وأشرف بيتاً؟ ولكنه على رغم ذلك أكثر مي ملاً وأعر سلطاناً والدسا عليه أشد إقبالاً! يا ليتني مكانه وله مكبرا هكذا يصنع أكثر الناس، هكذا يصنع الفاقد للشيء، يعني عمره للتطلع إلى حظ أحبه، وهكذا يصنع المقل يضيع رفته في حساب رزق المجتهد، ولعله لو دقق الحساب لوجد نفسه قد أوتي من العلم والحكمة ومن

الصحة والقوة أو من الشرف والكرامة ما هو أعر قدرًا وأعل ثمنًا، ولكنه يسي انكر الذي في يده وينتدب إلى الرحمة الذي في يد صاحبه، وَهَنَةٌ لَمْ يَوْتَ مِنْ هَذِهِ الْخَطُوطِ الْأَدْبِيَّةِ وَمَا يَعَادِلُ بِلَاكِ الْخَطُوطِ الْمَادِيَةِ أَوْ يَرِيدُ فَهَلْ حَسَبَ أَنْ سَعَةَ الرَّرَقِ عِنْدَ الْأَحْرَبِ تَصْبِقُ عَلَيْهِ هُوَ رَرَقُهُ؟ هَلْ يَخْشَى أَنْ سَعَةَ الرَّرَقِ عِنْدَ الْآخَرِينَ تَنْتَفِصُ مِنْ بَابِيعِ الثَّرْوَةِ شَيْئًا قَلِيلًا فَهُوَ يَأْمَسُهُمْ فِيهَا وَيَرَاهُمُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَمْعِلُونَهَا؟ يَا هَذَا! إِنَّ حَرَاتِنِ اللَّهِ لَا تَمُذُّ وَإِنْ مَعِينُ نِعْمَتِهِ لَا يَنْصَبُ، هَذَا بَلَاكَ تَزَاحِمُ الْخَلْقَ عَلَى شَرِّهِمْ مِنْ هَذَا الْخَوْصِ الصَّيْقِ الْمُرُودِ مِنْ هَذَا الْخَوْصِ الصَّيْقِ الْمَحْدُودِ، وَأَمَّا ذَلِكَ الْمَهْلُ الْمَعْدُوبُ الْمُرُودُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ وَلَا حُدُودَ؟! هَلْ سَبَّحْتَ مَقَالَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَدِيثِهِ الْقُدْسِيِّ «يَا عِبَادِي نُو أَنْ أَوْلَكُمُ وَأَجْرَكُمُ وَإِنْسَكُمُ وَجَنَّتُكُمْ قَامُوا فِي صَجِيدٍ وَاجِدٍ فَسَأَلُونِي وَأُعْطِيتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ».

أَلَا مَنْ كَانَ مِمَّنْ سَأَلَ فِي رَرَقِهِ الْعَمَلِ إِذَا مِنْ اللَّهِ وَحْدَهُ فَلْيَتَمَسَّهْ، وَمَنْ كَانَ مِمَّنْ كَانَ فِيهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ فَلْيُظَلِّهِ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْ جَدِّهِ وَجَهْدِهِ مِنْ كَدِّ يَمِينِهِ وَعَرَقِ جَبِيهِ، هَكَذَا يَقَرُّ الْقُرْآنُ حَقَّ الْعَمَلِ، أَعْمَى حَقَّ كُلِّ عَامِلٍ فِي مَلِكِ ثَمَرَةِ عَمَلِهِ وَنَتَاجِ كَسَبِهِ يَقَرُّهُ الْقُرْآنُ حَقًّا طَبِيعِيًّا، مَنْ لَا يَقَرُّ حَقًّا طَبِيعِيًّا سِوَاهُ حَتَّى الْمِيرَاثِ لَا يَقَرُّهُ حَقًّا طَبِيعِيًّا، وَإِنَّمَا هُوَ حَقٌّ وَصْعِي وَمَسْحَةٌ إِلَهِيَّةٌ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ هَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ، نَعَمْ: قَرَّرَ الْقُرْآنُ حَقَّ لِعَمَلٍ هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ قَرَّرَهُ حَقًّا عَامًّا يَسْتَوِي فِيهِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى هَذِهِ ثَابِتَةٌ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ يَقَرُّهُ حَقًّا جَرِيئًا لِمَعْرُودِ الْكَاسِبِ مِمَّنْ نَعِيْبُ، وَلِلْأَمَةِ مِمَّنْ نَعِيْبُ، هَذِهِ ثَالِثَةٌ مَبَادِي ثَلَاثَةِ سَبَقِ الْقُرْآنِ بِأَحْدَثِ لِنَظَرِيَّاتِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ وَأَعْدَلِ الْمَادِيَّاتِ الْاِشْتِرَاكِيَّةِ «نَبْرَجَالِي نَصِيْبٌ وَمَنْ أَصْغَفَسُوا وَلِيْنَسَاءُ نَصِيْبٌ وَمَنْ أَصْغَفَسُوا».

هَذَا إِذَا كَانَ حَقَّتَانِ لَا ثَابِتَةَ لَهَا؛ طَرِيقَ مَسْدُودٍ، وَطَرِيقَانِ مَفْتُوحَانِ، لَا تَسْأَلُ النَّاسَ، وَلَا تَحْسُدُ النَّاسَ، وَلَا تَنْتَقِصُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْمَحْفُظُورُ، وَلَكِنْ عَيْنُكَ الْأَمَلُ، وَفِي اللَّهِ الْأَمَلُ، وَهَذَا هُوَ الطَّرِيقَانِ الْمَعْتُوحَانِ



## القسم الخامس

### نور من سورة المائدة

- ١- مقاييس الكمال في وضع التشريعات.
- ٢- الوسائل المستفيدة للعزائم.
- ٣- تفسير آية القسطة، خلاصة الدستور الإسلامي.
- ٤- حول صفات الطباخ.. ومعارف الأخلاق.
- ٥- معنى الإحسان.



## سورة المائدة مقاييس الكمال في وضع التشريعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انني احاطت بهذه الآية والتي صدرت بها هذه السورة الكريمة، وقبل كل شيء يجب أن نعرف مقاييس الكمال في وضع التشريعات إنها ترجع إلى مقاييس؛ مقياس في امتداد التشريع لمعرفة مدى تناوله لمختلف الشؤون، ومقياس في عمق التشريع وهو فهم لمعرفة قيمة تعاليمه، وحسبنا الآن أن نعرض الآيات الكريمة على هدين المقياسين لنعرف أول الأمر كيف أن هذه الآية القليلة لم تدع شأنًا من شؤون الإنسان في خاصة نفسه أو في محيط أسرته أو في علاقته بالناس أو في علاقته بربه إلا أخذت منه طرف، وصغت له نظامًا يلائمه، ولعرف ثابيًا أن هذا النظام الذي وضعته يتسم في كل مجال بالرفق والبر، ويقضي في كل شأن بالعدل والبر.

سورة المائدة من أواخر السور نزولاً، بل ومبها آخر آية من أي التشريع، برلت تلك الآية الخاتمة في يوم عرفة من حجة الوداع وكان يوم الجمعة، فكان يومها كما قال عمر عبيد بن جلد من أعياد الإسلام، عيدًا أسوغيًا وعيدًا سويًا، وكان نزوها إعلانًا بشرتين عظيمتين؛ بشرى هزيمة الشرك واصمحلال أمره اصمحلالاً أيا من اعماندين من إعطاء نور الإسلام ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، وإياها لبشرى للإنسانية كلها أن تتم تلك الرسالة الكاملة التي حتمت بها رسالات السماء كما حتم بصاحبها عقد الأنبياء، وحقًا إنها لشريعة كاملة هل يريد برهانًا على ذلك وإليك البيان هل رأيت في مجال التشريعات شأنًا أهون خطأ أيسر من شأن

السلوك العردي في أمر الصوم والشراب، حتى هذا قد وصفت له الآيات مبررات الاختار وقاعدة لاختيار، بل إنها بدأت به باعترافه أول خطواته في طريق الحياة، وكنت في شأنه حكيمة رحيمة جعلت الأصل الأول فيه هو الحل والإباحة، وجعلت الخطر هو الاستثناء: ﴿أَلَيْسَتْ لَكُمْ نَهْيُ الْإِنْفِرِ بِأَمَانَةٍ عَلَيْكُمْ﴾، ثم جعلت مدار الحل فيه على جنوه من الدنس الحسي والمعنوي ﴿عَلَّ أَمَلُكُمْ نَهْيُكُمْ﴾ [سورة النور]، ولم يحرم منه إلا ما حيث في حبه أو في معناه، وحرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، فإذا خاورنا دائرة العردي إلى دائرة لأسرة وجدنا التوجيه الحكيم في تكويدها لا على قاعدة ادل والجمال ولا على مبدأ الأحسان والأسباب، ولكن على قاعدة العفاف والإحسان.

صبرت الشريعة مثلاً كريهاً من سباحة الشريعة وسعة صدرها بإباحتها لنا مصاهرة أهل الكتاب: أعني الروح من سنانهم على هذه القاعدة الخلقية نفسها ﴿وَالْمُتَحَصِّنُ مِنَ الْمُتَوَسِّبِ وَالْمُتَحَصِّنُ مِنَ الْإِنْفِرِ أَوْثَرُ الْكِتَابِ مِنْ مِلْكِهِ﴾، فإذا انتقلنا من حظيرة الأسرة إلى ميدان الخنطة والعشرة وجدنا قد أسس على قاعدة التعامل الشريف بين الإنسان وأخيه الإنسان ﴿وَمَعَاذُوا عَلَى نَفْسٍ وَتَقْوَى وَلَا يَدْرُونَ عَلَى الْإِنْفِرِ وَتَقْوَى﴾، وإذا نظرنا إلى الأمة في حملتها وجدنا لطامع العام الذي رسمته الشريعة ها قاتل على تعظيم حرمت الله وتقديس شعائره الصاهرة التي منها تألف شخصية الأمة وبها يتم تحياسها ووحدتها ﴿يَتَأْتِي الْإِنْفِرَ مَا سُوِّ لَا يُجْلُوا شَمِيرَ اللَّهِ﴾ ثم إذا حولنا نظرها من داخل الأمة إلى خارجها إلى العلاقة بينها وبين سائر الأمم وجدنا الشريعة تنبها على أكرم الماني الإنسانية وأبعدها عن الحزازات القومية، بل عن العصبيات الدنية نفسها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَنَاسِقَ قَوْمٍ عَلَى أَلْسِنِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَكُونُوا مِمَّنْ يَتَّبِعُونَ﴾

وأخيراً إذا ارتفعنا إلى الأفق الروحي الأسنى وتطلعنا إلى علاقة الإنسان بربه رأينا كيف تحتفل الآيات بكبرى الشرائع الروحية - فريضة الصلاة، وكيف تأمرنا أن نتأهب لها بأنواع الطهارة ليلتقي بقاء الطاهر بقاء الناطق في هذه المناجاة الرقيقة



﴿يَأْتِ الْدِّينَ ءَامُّوهُ فَمَنْ إِلَىٰ مَعْبُودِهِ فاعْبُدُوا وَتَحَرَّوْهُم وَأَيْدِيَكُمْ﴾ ، ولا نكتفي الآيات بهذا التشريع المفصل حتى نخصصه مرتين، في عبارتين موجزتين

واحدة في افتتاح الحديث عنواناً لما سيتلى من التفاصيل ﴿يَأْتِهَا لَيْبٌ ءَامُّوهُ بِالْمَعْبُودِ﴾ ، وواحدة في ختام الحديث تحصيلاً لما تلى ﴿يَأْتِهَا أَيْدِي ءَامُّوهُ كُونُوا هَادِينَ يَأْتِهَا لَيْبٌ﴾ .

فإنه ما أوفى هذا ليين مجملًا ومعصلاً والله ما أحكمه أولاً ووسطاً وآخرًا



## سورة المائدة

### ١- الوسائل المستهضة للعزائم



استمعنا من قبل إلى صدر سورة المائدة ووعينا ما في فاتحته من المناشدة للمؤمنين أن يوفوا بها عاهدوا الله عليه من اتباع أحكامه والوقوف عند حلاله وحرامه، ثم رأينا أنه كيف في آيات قليلة أحاط بأطراف هذه الأحكام التي تناولت مختلف وجوه الحياة فردية وأسرية ومدينة وقومية وعالمية وروحانية، إن الذي يصعب إنشاء إلى ذلك المناشدة الوحيدة وإلى هذا الإلهام السريع بأطراف التشريع ليحسن إحساساً قوياً بأنه في حمل وداع، وأن تلك كلها نصيحة مودّع مُشفق حريص عن تسجيل وصيته في قلوب أحبائه قبل مفارقتهم، ولكن شأن الناصح لمشفق أنه لا يكتفي بصياغة الوصايا وتحديد الواجبات دون أن يلحقها بوسائل لاستنهاض التي تبعث العرائم على الاستمساك بها وتمنع الهمم من التراخي فيها، هذه الوسائل المستهضة هي التي سستمع إليها اليوم في أي اذكر الحكيم، إنه سيدعم وصاياه السالفة موعين من الدعائم؛ دعائم مارة ناعثة محركة على الطاعة، ودعائم وازعة مانعة مخدرة من المخالفة.

أما الدعائم الأولى فلها ملمس في قلوب المؤمنين شعور الاعتراف بالجميل، وقد احتبرت مادتها من ترويح الأمة الإسلامية نفسها، لقد كان المسلمون في أول الأمر قليلاً مستضعفين في الأرض يخافون أن يتحطهم الناس فأوهم الله وأيدهم بنصره ورزقهم من الطيبات، وكم من مرة هم أعداؤهم أن يسيطروا عليهم بالسوء فكف الله أيدي أعدائهم عنهم، بهذا وذاك قد أصبحوا مدينين بواجب الطاعة لهذا السعم وراحم الوفاء بعهده شكراً له على نعمته واستدامة لها واستزادة

[illegible]

وأما الدعائم الثابتة فإنها تثير في النفوس عزيمة الخلد والتصر في العواقب وتثبت فيها نعمة الاعتدال بالحوادث، وقد احتيرت مادتها من تاريخ الأمم الأخرى الذين أحدثت عليهم الوثائق فتقصوها ولم يوفوها فكانت عاقبة أمرهم حسراً ﴿وَلَمَّا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، ﴿فِيمَا تَجِيبُهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، ﴿وَمِمَّنْ قَلْبُكَ فَلَوْ أَنَّمَا كُنَّا مِنْهُمْ شَاكِرِينَ﴾، ثم نظرت الآيات مثلاً من أمثلة القصص للموثيق بما كان من قوم موسى حين دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة فالتحق واحد عليهم لميثاق وبعث منهم اثني عشر نقيلاً كاهلين لهم وشاهدين عليهم، ووعدهم بنصر الله هم، دا عرّزوا رسله وأرزوهم وبصروهم، ولكنهم نكروا هم الخوف من الجبابرة فقالوا لموسى ﴿فَأَدَّبْنَاكَ لَوَقَّيْلًا لِّمَا هُمَا قَوْلُوكَ﴾، فما كان جراًؤهم إلا أن حرّم الله عليهم دخولها أربعين سنة يتيهون في الأرض، هكذا فيحذر المؤمنون ألا يوفوا بعهودهم لكلاً يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم، فالعقل من اتعظ بغيره.

أما بعد فإن دعوة الإسلام ليست حريصة على أسائها وحدهم وإن كانت هم أشد رافة ورحمة، إنها حريصة على الإنسانية كلها يعز عليها أن يقع أحد من الخلق في لشقوة وانعت، من كان في شك من هذا فليقرأ الآية قل الأخيرة من سورة التوبة، من أجل ذلك يرى الآيات الكريمة تلتفت في الأثناء إلى أهل الكتاب لمعاصرين رسول لقراء لمحضهم النصيح ولتسمعهم عن الانحدار في التيار الذي انحدر فيه المعرصون الناكبون ولتفتح أعينهم على الور الحديد الذي يهدي إلى سبيل السلام وعلى لكتاب الحديد الذي يُخْرِج الناس من الظلمات إلى النور حتى لا يكون لأحد منهم حجة فيقولوا ما جاء من بشر ولا نذير، ألا فقد جاءهم البشير والنذير والكتاب المبين

## ٢ خلاصة الدستور الإسلامي

### تفسير آية القسط<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد، فإن أحسن الحديث كتب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، قال الله تعالى وهو أحكم القائلين ﴿بَنَيْنَا الْدِينَ، سَوَّ كُنُوتُ قَوْمِيكَ لِلَّهِ شَهَادَةً بِالْأَوْسَطِ وَلَا يَنْجِرُ مَنُكُمْ شَيْئَانُ قَوْمٍ عَنِ الْآتِيَلُوا أَقْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلْقَوَى وَالْقَوَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَبِيرٌ بِهِ تَصَلُّونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٨).

هذه الآية الكريمة، إحدى جوامع الكلم القرآنية، بل هي خلاصة الدستور لإسلامي كنه، ذلك أن لو أحصينا أوامر الشريعة ووصاياها، لوجدناها ترجع إلى أصليين عظيمين:

الأصل الأول: أداء الحقوق للإلهية وهو معنى قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوْمِيكَ لِلَّهِ﴾

[المائدة: ٨]

الأصل الثاني: رعاية الحقوق الإنسانية وإليه الإشارة بقوله ﴿شَهَادَةً بِالْأَوْسَطِ﴾ (المائدة: ٨)، إلى حتام الآية، فمن أول يهدين الأصلين فقد جمع الدين كله، وحاز البرجعة

فلننظر الآن إلى تحليل النص الذي انطوى فيه الدستور الحكيم، ليرى كيف رسم للمؤمنين حياة مثالية تمتصهم من العريمة أمصاها، ومن أهمة أبعدها وأسهاها

فهو حين يطالبنا بحق الله، لا يأمرنا بمجرد أدائه على أي وجه كان، فاعلمون قد

يزدود، فروضهم، ونكس كساي متاقلين، أما المزمين حسبما يقرره القرآن المجيد فشايم أهم يؤدود وجساتهم قائمين على أقدامهم، بكل ما في كلمة (القيام) من معاني، فهي قيام معنى بهضه والنوثة التي مطرح بها رداء العفة والكسل، وفيه معنى احد واحتمال المسؤولية في الأمر الذي يقوم به، وفيه معنى الإجلال والتعظيم لئلا يقوم به، وفيه معنى الاعتدال والاستقامة لئلا يكون الذي يؤديه معتدلاً مسنوّناً، لا ينقص به ولا اسحراف، وفيه إن ذلك كله معنى اخبرية والروحانية لكيلا تكون أعين صورة نية كاحث ارفادة اهامدة، التي لا روح فيها ولا حياة

تري لو جمع هذه المصطلح كلها عند النهوض إلى عمل من أعمال، هل بدت قد بلغت المثل لأعل الذي يوحها إليه دستور الإسلام هيبات، هيبات، إن القرآن لا يكتفي بتحقيق هذه الصفات في بداية سيره، أو في بعض شأنا دون بعض، إنه لا يرضى له بهضة جادة بعضها فترة حامدة، ولا يحب ما أن تكون حرارة عرائف كراهتهم سريعة الوقود سريعة الخمود أليس ذلك - أو أسفاه - هو الشأن في أكثر عرائف ومهمب إنما هي صحوة تعمرها الغرائب وحسوة لا تلونها خطرات، وهذا سوافه - هو سر مشب وإحشاف في عمة شؤوننا

فستسمع إلى مداء السياء إيا لا تقول لنا كويوا قائمين لله، بل تقول: ﴿كُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة ٨] مثبرين على القيام، صابرين على عسائه، مجتدين لحرم في الثبات عليه مكاهجين للبرعات المصادمة، التي تمل ما إلى الدراحي والقعود

فمثل المؤمن في التزام أوامر الله، والقيام عن حدود الله، كمثل الخدي الحارس على ثعر من الثعور، إنه دائم الأيقظة دائب الحركة، شديد الحذر من العمدة

ألا ترى هؤلاء الحراس الأمانة آحين دائبا حذرهم وأسلحتهم . حتى إذا علم العاس بعضهم في طريقة عين تصابحوا، فإذا هم مستيقظون كذلك الدين فهو ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ رَبٌّ لَقِيظٌ تَذَكَّرُوا مَا دَأَّهُمْ شَيْعُرُونَ﴾ [الأعراف ٢٠١]، القوام لله إذا هو كما قال العلماء - من كان قوله لله، وعمله لله، وحركته لله، وسكونه لله،

وحبه من يحب في الله، ويعصيه لمن يعص في الله، أنس من هذا لأدب العراني أولئك المتحركون بالأهواء، المهوومون للكبراء، والحقراء المسمومون في وجوه الأبرار والأشرار على السواء؟ ﴿يَتَأْتِي بِيَدِكَ مِثْرًا تَكُونُوا فِيهِ مِنْهُمْ﴾ [سورة ١٨]

وبعد، فقد بدأنا حديثنا هذا بتقييم حقوق الإنسان الإنسانية وإسائية، وأنت فلا يدهس بك النظر إلى أن هذه قسمة انحصار، ولا تحس أن حق الله إله يسأل سلوك المرء في نفسه أو فيما بينه وبين ربه في عقيدته أو في عبادته أو في سيرته الخاصة وإليه لا شأن به بمعاملة الناس فيما بينهم ذلك ظل حاضراً باطل، فإن حق الله عدم شغل وأمره بالصدق والعدل أمر محتوم، كأمره بالصلاة والصيام، وبه عن العبث وقول البرور هي حاسم، كنهه عن الكفر وعادة لأوثان، وإياها معنى هذا التقسيم أن من أعمالها ما يتعلق بها حق واحد، وهو حق حاصر، رديك هو قسم السلوك لشخصي، ومنها ما يتعلق به حق اثنين؛ إذ يضاف إلى حق الله حق آخر للإنسان وذلك هو كل ما كان من أعمال يتعدى أثره لغيره إلى غير وفقاً أو ضرراً، إحساناً أو إساءة، ولقد علمت الشريعة الإسلامية أن التقصير في الجانب الإلهي من هذه الحقوق تمحوه التوبة وقد تكفره الحسنات والتقربات، أما التمريط في الجانب الإنساني منها فلا تكفره صلاة ولا صوم ولا تحمزه توبة ولا استعمار، بمحوه رد المظالم إلى أهلها والتقدم إليها بالترضية الشافية لكافية التي يسحقونها قبل أن تأتي يوم لا يجمع فيه الدم، ولا تجدي فيه المعادي، ولا تروح فيه شفاقة لألسنة ولا رحابة الأقدام

هذه المرحلة الخطيرة التي يتميز بها الجانب الاجتماعي في الإسلامي من بين سائر جوانبه ما نحن أولاً بنس أثرها البارز، ونسمع صدامها القوي في الآية الكريمة، أم ترأها حين شدت أن تروي حقوق الله عامة، دعنا إليها مرة واحدة في كلمة واحدة

ولكن انظر إليها حين تصدت لحقوق الإنسان خاصة، كيف أكدت وكررت وكيف أمرت ثم هبت ثم أمرت، ثم تلطعت ورغبت، ثم خوفت، وحذرت، وإيه لو كسب لك من الوقت مساحة لفصلنا لك هذه الدقائق تفصيلاً «فليكن حسبك من

الآن هذه الإشارة الواضحة « غير أن الذي يلتم بطرنا بوجه خاص، هو أن لاية الكريمة حين أحدثت في تطبيق هذه القاعدة احتارت له مثلاً، يُعدُّ رمزاً وراءه ودليلاً على ما دونه، مثلاً هو في الحقيقة أولى الأمثلة باهتمام المشرع ألا وهو العدل في معاملة من لا تحمهم، فالباس في العادة يطعمون وبسبب العدالة تطبيقاً أعرج فيميد من أوليائهم ويحرم من أعدائهم، أما انقانون الذي أرسنه لسماء رحمة للدين، فإنه يوجه كل عناية هذا الجانب المهمش، فهو يهانا أن تكون الكرامة والعصاء التي تُصبرها لأحد من الباس حاملة لنا على ارتكاب الخور في أحكاما عليهم وحرمة التحريف لشهاداتهم في حقهم ﴿وَلَا تَغْرِمْصَكُمْ شَهَادُ قَوْمٍ عَلَى الْآخَرِ﴾ [المائدة ٨]

فإذا كان هذا منطق العدالة في الأعداء فكيف بها في الأولياء؟ إن دستور الرحمة لا ينتظر ما الخواب على هذا السؤال، بل يدعو فيكرر الأمر الصريح بذلك العدل الشامل للأعداء والأولياء على السواء، ثم يرغب في إقامة هذا العدل ترعياً روحياً أخلاقياً، مُبَيِّناً فيه أثر العادة في تكوين الأخلاق وأثر التدريب في تربية السمكات، مُسَهِّلاً على أن المرء الذي لا يزال يتحرى العدل في أحكامه ينتهي بأن يصح العدل به طبيعة ثانية فسعت إليه همه طوعاً لا كرهاً، وتلك هي حقيقة انتقوى ﴿عَبِدُوا هُوَ أَقْرَبُ بِتَقْوَى﴾ [سورة ٨]

وأخيراً فإنه يحذر الدين تحكم أهوائهم في أحكامهم، مذكراً إياهم بمراقبة الله الذي يعلم سرهم وعلايتهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ٨]

فهل نحن منتهون؟



## ٤ - حول عجائب الطباع ومفارقات الأخلاق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الصالحين، أما بعد:

فإن من عجائب الطباع ومن مفارقات الأخلاق أن فرقاً من الناس إذا قيل لهم هي إلى لسعادة والمجد، امروا في سبيل الله، جاهدوا أعداء الله، افتتحوا كنوز الله، ثابروا إلى الأرض وقعد بهم الحبيب والخور، وإذا قيل لهم لا تسعكو دماءكم فيها بئكم ولا تقبوا أولياء الله طرعت لهم أنفسهم فتل إحوسهم وقتل الصالحين لمصلحين من بينهم حسداً هم وبعياً عليهم، هكذا إحجام حين يجب لإقدام، وإقدام حين يجب للإحجام.

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داهي الديو سريع

ذلك مثل بني إسرائيل، فيما يقصه الله علينا من أسائنهم، دكرهم موسى - عليه السلام - بعمه الله عبيهم، إذ كانوا عسداً مستضعفين، فأصبحوا مدوكاً أثرياء أقوياء مخدومين، ثم قال لهم أدوا شكر هذه النعمة بردكم الله منها، وادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا تترددوا على أدباركم، ﴿وَقَالُوا نَشْهَدُ أَنَّ فِيهَا قَوْمًا عَصَايَ وَإِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ حَقٌّ تَعْرُخُوا فِيهَا فَإِنَّ يَمْرُؤًا فِيهَا غَرَّابًا ذَلِيلٌ ﴿٢٢﴾﴾ (البقرة: ٢٢) ﴿وَقَالُوا نَشْهَدُ أَنَّ فِيهَا قَوْمًا عَصَايَ وَإِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ حَقٌّ تَعْرُخُوا فِيهَا فَإِنَّ يَمْرُؤًا فِيهَا غَرَّابًا ذَلِيلٌ ﴿٢٢﴾﴾ (البقرة: ٢٢) فاطر إلى هذا الحين عن أمر الله كيف يقلب بعد ذلك توحشاً وتعطشاً إلى الدماء المحرمة وإقداماً على قتل الأنفس البرينة وعلى الإفساد في الأرض، من على قتل النيبين والصالحين، ذلك بعد أن أحد الله عبيهم الموائين التي عطف فيها إثم



حرمة القتل وعظم فيها فصل استشهء الأبرار واستنقاذها، ف﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِعَثْرِ  
شَيْءٍ آتَىٰ فِي الْأَرْضِ حِسَابًا مِّثْلِ النَّاسِ خَيْرًا وَمَرًّا لَّيْسَ أَجْرُهُ إِلَّا بِمَا عَمِلَ﴾ [عائده ٢٢]، وبكده خفد واحسد بدفع صاحبه إلى الحرمة الرحيمية، ويشجعه على  
لعينة البردة، وكذلك الحسود الجحد حين لا يحشى العائدة ينطش بالأبرياء  
المسلمين، ولا يبالي بقطع هذه الرحمة الإنسانية التي أمر الله بها أن توصل، ولا يبالي  
أن يدمس هذه بدماء الدكية أرض الله التي أمر أن تظهر، ثم لا يبالي أن ترتفع دعوة  
المظوم فتفتح لها أبواب السماء وتتلقاها الوعد الكريم بنصر الله لها ولو بعد حين،  
إلا لا يعرج اعظم هذا الانتصار المؤقت، فإنه سيصبح من الخاسرين لدمين، كما  
حسر ودم ابن آدم الأول حين طوعت له نفسه قتل أخيه، ففتنه لا لدب جهه،  
وبكن حسنه له، لأن الله تقس منه قربانه، فكان جراء لقاتل كما قال محمد -صلوات  
الله عليه- «إنه ما من نفس تُقتل عطشًا إلى يوم القيامة إلا كان على ابن آدم لأول  
كفر من دمها، لأنه أول من سن القتل»، ولأن «من سن سنة سيئة فعلية وورثها  
وورث من عملها إلى يوم القيامة لا ينقص من أوردهم شيء».

ألا ولا تفر أعين المصدين في الأرض الفاطعين للطريق، المعتدين على الأبرار  
والأمرل، فقد أعد الله لهم في الآخرة عذابًا عظيمًا، وأعد لهم في الدنيا ألوان العذاب  
والخزي، القتل والصلب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف والنفي من الأرض  
إلا أن يتوبوا قبل أن تقص عليهم يد الدولة، أما السارقون الذين يأخذون المال  
خفية غير مستدين إلى قوة باطشة يروعون بها الأميين فجراهم أن تقطع أيديهم  
نكالاً من الله ﴿مَنْ تَابَ مِنْ بَاطِلِهِمْ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [عائده ٢٢٩]  
٢٢٩، نسأل الله مغفرته ورحمته آمين. انتهى.

بعد أن وصى الله المؤمنين أن يوفوا بما عاهدوا الله عليه من السمع والطاعة  
لأوامره وبعد أن ساق لهم العبرة التاريخية التي تدفعهم إلى الوفاء بهذا العهد والتي  
لنعمهم من بكنهه ونقضه، وبعد أن اتصل حديث العبرة عن السابقين من أهل



يحدوه في كتابهم، فردا وجدوا حكم الله في الكتابين واحداً رفضوا حكمه وانبعوا  
أهواءهم، ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ وَعِدَّتُهُ لِنُفُوسِهِمَا حُكْمٌ اللَّهُ تَدَبَّرُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ (١٥٣)  
[١٥٣]، ويصدر الأمر المؤكد إلى الرسول أخاتم بأنه حين يحكم إلى هؤلاء المتحاكمين  
إليه يجب أن يحكم بينهم بالوسط وبما أمر الله لا بما يوافق أهواءهم، وكذلك كنت  
لكتب السابقة توجب على أهلها الحكم بما فيها وتعلق أن من لم يحكم بما أمر الله  
فأولئك هم الكافرون، الظالمون، العاصون

إنها ألقاب متعددة انقيمه في لغة القرآن، يعبر القرآن بها تارة عن شرك ونحوه  
من العقائد المخرجة من الملة، وتارة يصف الكبائر التي دون الشرث، وفصل  
الخطاب في موضوعها هو أن الحكم حكمان؛ حكم بالقلب، وحكم باللسان، فالذين  
يحكمون بعبر ما أمر الله فريق، منهم فريق يؤمن بمقالة الحكم السماوي، يحكم  
بدن عقله وقلبه، ولكنه لأمر ما يركه ويحكم لسانه وقلبه بغيره، فهذا لا يخرج  
عنه عن الإيثار، ولكنه ظالم لنفسه عاصي لربه يُحِلُّ بشكره على نعمة هدايته،  
ومهم فريق لا يؤمن بمقالة الحكم المنزل، بل يرى أن حكمنا وصعباً محققاً له قد  
يكون أقرب منه إلى إقامة الحق والعدل فيؤثره على حكم الله مشرح الصدر بهذا  
الإيثار، فهذا هو الذي تطبق عليه حقيقة الخروج عن الملة.

وإما يشأ هذا الظن الباطل من عدم دراسة الشرائع السماوية أو من دراستها  
دراسة سطحية ﴿مَلَا وَرَبِّدَ لَا يُؤْمِنُ حَقَّ يُحْكِمُكَ هِيَ شَجَرَ يَتَهُ ثُمَّ لَا يَحْدُوا  
أَنفُسَهُمْ حَرَجًا مِّنَ قَصَبَاتٍ وَيُسَلِّمُوا سَلَامًا﴾ (النساء: ٦٥)

يقول إمامنا هذا الظن الباطل من عدم دراسة الشرائع السماوية أو من  
دراستها دراسة سطحية، ولو أن الناس تفقهوا فيها لأدركوا عمق أسرارها ولبهرهم  
سمو أهدافها ﴿أَمَّا لَكُمْ لِيَهَيَّؤُكُمْ وَمِنْ أَعْيُنٍ مِنَ اللَّهِ حُكْمٌ يَقُولُ يُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠)

ومضي الآيات الكريمه على سبيلها في التوجه والإرشاد تارة للأمة وتارة

لرسول نفسه لتحديد موقفهم من أهل الكتاب، كان الخطاب الأول موجهًا إلى المؤمنين يوصيهم بصرهم لتقوى الله ولتقرب إليه، وكان الخطاب الثاني موجهًا إلى رسول الرحيم تبيينًا لقلبه وتعميقًا لأحرانه التي يثيرها في نفسه انصراف المعاصين والمترددين عن دعوة الحق، والآن يعود دور المؤمنين فيوجه إليهم الخطاب في مهمة أقوى وأسرع بشفقة صغوفهم من شوائب المنق والمناق؛ نعم، لقد كانت الوصية الأولى أن يؤمنوا ويتوجهوا إلى الله وحده تبيينًا برفق إلى عدم الرلف إلى الناس وخاصة إلى الأعداء، أما الوصية في هذه المرة فإنها تصيب الهدف مباشرة بغير إيحاء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَعْقَابِ﴾ (آية ٥١)

أما بعد، فإن هذا النهي ليس كما قد يظن شيئًا عن كل من التعاون بين المؤمنين وغيرهم، فإن التعاون على الخير والبر من أعظم إبادئ الإنسانية التي نادى بها القرآن ﴿وَسَاعِدُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (آية ٢).

وليس نهيًا عن كل مشاركة بينهم في الأعمال والمصالح الخاصة أو العامة، فإن حق الحرار والمواطنة في نظر الإسلام لا يبيع هذا التقاطع والتدابير، ولا يبيع هذا التقطيع لوحدة المجتمع بتلك التكتلات والعصبيات، ولقد كان الإسلام أول دعوة دينية أقامت الدولة فيها على فكرة الوطن المشترك الذي يؤوي تحت جناحه العتوف كل الأحاس والألوان والأديان.

وأخيرًا فإن هذا النهي ليس نهيًا عن كل مخالعة وميثاق يُعقد بين المسلمين وغيرهم، فكتاب الله وسنة رسوله مشحونان بهذه المخالعات والمعاهدات مع التعظيم لأمرها والتحريض على الوفاء بها، وإياها هي نهي عن جريمة شعاء نكراء تفت في عضد الجماعة وتهدم كيائها، وقد صرح القرآن في غير موضع لِكُنْه هذه الجريمة وحدودها إنها جريمة موالة الأعداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَعْقَابِ﴾ (المعجزة، ١)

هي مودة من حادّ الله ورسوله، هي اتحاد الكافرين أولياء لا مع المؤمنين بل من دون المؤمنين، هي موافقة من قاتل المسلمين وأخرجهم من ديارهم وظاهر على إخراجهم، هي الإلقاء بالمودة إلى من أخرج الرسول والمؤمنين لا لدب ارتكوه سوى أنهم آمنوا بالله وبهم، هذا الهوى السبع والتحدير الشديد هو إدد نهي عن موالاة الأعداء على حساب الأمة بإعشاء أسرارها لهم أو بمعاونتهم على هضم حقوقها أو بتثيبت أقدامهم على أرضها، به سبي عن جريمة الخيانة العظمى التي لا تجتمع والإيمان في قلب واحد، لا جرم جعلها القران من علامات الصاق ﴿مَعَالِيَهُمْ قُلُوبُهُمْ مُرَّةً يُسْرِعُ مِنْهُ﴾ [البقرة ٥٢]، واعتبر مرتكها مفصلاً عن جسم الأم داخلاً في تعداد أعدائها ﴿وَمِنْ سِوَاهُمْ يَكُفُّ عَنْهُمْ﴾ [البقرة ٥١].

بل إنه سماء مرتدّاً حاسراً يحبط العمل ﴿عَبَّتْ أَنْفُسُهُمْ فَانشَبُوا خِيَرَةً﴾ [البقرة ٥٥]، ﴿مَنْ يَرْتَدَّ يَنْكُرْهُنَّ وَيَبْغُوا فَتَوْفَ بِلَى اللَّهُ يَنْفَعُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [البقرة ٥٤]، وفي الحق أن الأرواح جرد مجردة، وشبه الشيء مجذب إليه، فهذه الموالاة والمصافاة دليل على تشابه القلوب ووحدية الأهداف، ومن كان مؤمناً حقاً كان الله ورسوله والمؤمنون أحق بولايته، أما إن كان يحشى الدائرة على المؤمنين أو ينمي العرة عند الآخرين فليعلم أن لعة لله حميت، وأن حرب الله هو العالون، ومهما يكن من أمر فالعجب أن يوالي المؤمن قوماً يتحدون دينه هموا ولعباً وينخدون صلاته تفككة وسحرية، يدنو كبت له عقيدة لعار عليها كما يعار على هرضه.

وهنا يتقل دور الخطاب فبوجه الأمر إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يتولى بنفسه الرد على استهزاءاتهم وسحرياتهم بي بيص وجه الدعوة الإسلامية وبها يعكس عليهم القضية، ولعمري ما كان أجدرهم ألا يفتحوا هذا الباب عن أنفسهم، لأن من كان بيته من رجاح نس له أن يرمي الحبل بالحجارة، لئلا تعود عليه شظاياها فيتهدشم بيته



## القسم السادس

### أنوار السور

- ١- نور من سورة الأنفال (الفصل بين المسلمين وغير المسلمين).
- ٢- نور من سورة الحجرات (موقف المستهزئين بالدعوة المحمدية).
- ٣- نور من سورة النحل (مقاصد الدعوة المحمدية في مكة).
- ٤- نور من سورة يس (أصول العقيدة الإسلامية).
- ٥- نور من سورة غافر (الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر).
- ٦- نور من سورة القمر (الإنذارات، وعاقبة الإعراض عن النور).
- ٧- نور من سورة الواقعة (أحوال النشأة الآخرة والعبارة من شئون الحياة الحاضرة).





## نور من سورة الأنفال

الفصل في القضايا بين المسلمين وغير المسلمين واعتماد المسلمين  
سياسة الاستعداد الكامل لدور العدوان

تفسير آية الرِّقَابِ الرَّجْمِ

نعود بذاكرة من عدم المحرقة بعد قدوم النبي إلى المدينة بذكر ايثاق العظيم  
بدي وضعه -عنه لسلام- هذه الدولة الناشئة، لقد نصّ الميثاق فيما يصل بيهود  
المدينة على أن هم دينهم وللمسلمين دينهم، وعلى أن بينهم الصخ والصبيحة ولنر  
والصخر على من حارب، هذا صم اليهود في هذا العهد؟ به مد شيت الحرب بين  
قريش ومسلمين بدأت إسرائيل تنقض عهدا وتدر كيدها، بل منهم من كان يمد  
قريب بالسلام في عروة بدر، وكانوا في هذا الموقف فريقين، فريق ظهر منه العدوان،  
وفريقا بدت منهم أمارات العدر ولم يقع منهم عدوان بالفعل، فجاء القرآن ميسا  
لأتباعه الموقف الصحيح تجاه الفريقين، بعد بيان ما فعل بأشياعهم من قريش، فأما  
المجاهرون بالعدوان فقد أمر بقتلهم والنكيل بهم ﴿فَمَنْ ثَقَفْتُمْ فِي الْخَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ  
مِنْ حَتْمَتُمْ﴾.

وأما الفريق الآخر فقد تنان عن مباعثهم، وأمرنا أن نعلق إليهم صم العقد في  
الوقت المناسب إعلانا صريحا يجعل الطرفين سواء في معرفة حقيقة الموقف وفي  
الاستعداد له، ﴿وَمَا تَخْذَعُونَ مِنْ قَوْمٍ جَبَانَةٍ فَإِنَّهُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾

فإنه ما أبعد المدى بين هذا الموقف البيل من الإسلام وبين موقف العاديين  
الذين يطعمون حصونهم من الخلف وفي جميع الظلام.

ثم ترشدا الآيات الحكيمة إلى سياسة حارمة شديدة سلكها بإراء هؤلاء، وهؤلاء برءاء غيرهم من الخصوم والأعداء، من عرفا منهم ومن لم يعرف، تلك هي سياسة الاستعداد الكامل لتواصل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قوة مادية ومعنوية، لا يندووا بها على من سالحكم، ولا لتحتكوا بمن لا يعنى دينكم، ولكن ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، إنه إذن ليس إعداداً لمحرب ولكنه استعداداً لمنع الحرب إنه سعي إلى اسلم من ناهى سبهم لا يعنىها المسلمون عن ضعف ويكتمون بالاستجداء ﴿وَلَا تَهِنُوا وَتَهَيَّؤُوا لِلْمُكَافَّةِ﴾ (محمد ٢٣٥)، بل سبهم تطلب منهم فقبلوها بكرم الشرفاء وعزة الأقوياء ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَتْحًا فَلْيَنْصِرُوا﴾ (وَيْسُ الْأَغْرَارِ وَنَبَأُ مَعْصُومَةٍ) لكن كيف تقبل الصلح من الأعداء كما طلبوه وقد تكون دعوتهم إليه خدعه مأكرة، لستمع إلى الجواب الكريم يوجهه الله نبيه، ﴿وَلَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَ اللَّهِ﴾ يقول: فتضل منهم الصلح غير مبال سيئتهم الخفية طالما لم تند منهم أمانة العدو، إرشاد نالغ العاية في الرحمة والمسألة هل يسري حكمه على المسلمين بعد عصر السورة؟!

نعم: إذا كانوا كما أمر الله على غمام البعثة والخطر وكانوا قد أخذوا لكل حتمل ألفتهم، فأصبح رمام الموقف في أيديهم، ولأمر ما جاء هذا الإرشاد عقب آية الاستعداد ثم تبعته آية التحريض ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَرِّمُوا الْقِتَالَ﴾، وهو تحريض يمنع في صدور المؤمنين من روح التضحية والقوة المعنوية ما يجعلهم أرحم من عدوهم ولو كانوا أقل منه عددًا، هي صدر الإسلام كان الواحد كفتا لعشرة، ثم كثروا فتواكلوا، فأصبح الواحد منهم كفتا لاثني على الأقل

قد: إن سورة الأنفال برلت للمفصل في قصتين اثنتين عروية بدر، وإن فاتحة السورة فصلت في أولى القصتين وهي قصة العنات

فها هي دي حاتمة السورة يريد أن تفصل في قصة الأسرى. بعد أن هيات لها

الحو الملائم بهذا التحريض على القتال، نبدأ الآيات بالعتب مربيين على المحاهدين،  
 تأخذ عندهم أنهم سرعوا بأحد بعض الأسرى في أثناء القتال، وقد كان ينبغي  
 الانتظار إلى نهاية المعركة حتى يبطشوا برؤوس الشرك حتى يظهر تمكسهم من ناحية  
 الموقف ﴿مَا كَانَ سَبِيٌّ يَكُونُ لَكَ أَشْرَىٰ خَلِّ يَفْعَلْ فِي الْأَرْضِ﴾، ثم تأخذ عندهم أنهم  
 حين تشاوروا في هؤلاء الأسرى كان الرأي الغالب يعيل إلى استنفائهم وقبول  
 «مهاد» منهم، وكان هذا من عامه الخلد تظنفاً إلى المال ﴿يَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾، وإن  
 كان كبار الصحابة لم يتبعوا به إلا صلة الأرحام وقوة الإسلام، وبعد هذا العتب  
 المردوح يئن الله لهم حين ما أخذوا ثم بشر بعض الأسرى الذين أخذ منهم القداء  
 وكانوا في بطن الأمر مؤمنين ولم يعلموا إسلامهم بشرهم بأنه سيعرضهم حبراً عما  
 أخذ منهم، ثم حرضهم على الهجرة مع الرسول ليكون منهم مع المهاجرين  
 والأبصار صفة واحدة تقاوم الفتنة والفساد الكبير الذي بشره انكسار في الأرض  
 بتكفلهم ومولاة بعضهم لبعض، وأبذرهم بأنهم إن رضوا بالمقام في مكة ولم  
 يهاجروا فليس يكون لهم حق على المؤمنين إلا في ماصرة حزنية، ويئن لهم أن هذا  
 لولاء العام القائم بين المهاجرين والأبصار لم يسمع من قيام ولاء بين الأهل  
 والأقارب من كل أسرة في الميراث وغيره

﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ يَنْفَعُونَ كَيْفَ أَفْقَهُ يَذَّاقَهُ يَكُلُّ مِنْهُ عَلِيمٌ ۝﴾





## سورة الحجر

### بيان موقف المستهينين بالدعوة المحمدية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بدأت سورة الحجر بأن عرّضت موقفاً محبباً من مواقف المستهينين بالدعوة المحمدية؛ ذلك هو الالتباس برؤية الملائكة التي برلت بهذه الدعوة ﴿لَوْ مَا نَأْيُ بِالْمَلْأَنَةِ إِذْ كُنْتُمْ تُضْمِرُونَ﴾.

وقد عقب القرآن عن هذا الالتباس بأنه تعلّل غير حدي ولا مجيد؛ لأن نعمة الشك أو التشكيك التي أعرضوا عنها لن تروى عنهم حتى لو رأوا الآيات التي التمسوها، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا مِنْهُ مُخْرَجُونَ﴾ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْصُرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّشْغُورُونَ﴾.

وبعد أن دعاهم القرآن إلى النظر في الآيات العديدة في السماء وفي الأرض وفي خلق الإنسان، وبعد أن سبّهم برفق إلى أن انصرفهم عن الدعوة وركبهم إلى هذه الحياة وريبتها إسمها هو حصوع بإيجاد خمي من عدوهم المين الدين أقسم أمام الله أن يرين لهم في الأرض وأن يصلهم أجمعين، بعد هذا وذاك سجلت لكل من المريقين -مريق المارين ومريق المتقين- عاقبة المعدة في الدار الآخرة، تلك هي خلاصة ما سقت تلاوته من هذه السورة الكريمة، والآيات التي سنستمع إليها الآن إسمها هي استمرار لهذا النسق بعد أن تبينت عاقبة المريقين في الدار الآخرة؛ أخذت تبين عاقبتها في هذه الدنيا، ثم تبين للرسول ما يجب أن يكون عليه موقفه في هذا الشأن وفي سائر الشؤون، تبدأ الآيات الحكيمة سلاع سماوي قوي يهز نفوس مرء

ويملاهما في وقت واحد رعباً ورهباً، ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَنَا الْقَدْرُ أَلَيْسَ لَنَا عَدَدٌ هُوَ  
الْقَدَارُ الْآيَةُ ٥٠﴾ ﴿

فإن الله ما أحصى هذا الأسلوب! وما أشدَّ أحدهم مجامع القلوب!، وتنساق الآيات  
من هذا الإجمال إلى تفصيل، وتسرد الشواهد التاريخية التي تحقق فيها ذلك الوعد  
ولتي نفذ فيها هذا الوعد، ومن غمام الحكمة والبراعة في اختيار هذه الشواهد أنها  
صدرت بها هو أمش بموضوع السورة، أعني اقتراح رؤية الملائكة، ذلك هو حادث  
برول الملائكة صبيحاً على إبراهيم وعلى لوط وفي إحدى أيديهم شارة العمة لأوب  
الله، وفي اليد الأخرى نذير القمة لأعدائه، جاءوا إبراهيم بالبشرى الصادقة  
فشرّوه بعلام عليهم، وجاءوا لوطاً بما يشفي صدره من عدوه إنذاراً صادقاً بأن  
دبرهم مقطوع مصححين، فما هو إلا أن مضى سواد الليل حتى أحدثهم الصيحة  
مشرقين، وهؤلاء الملائكة أنفسهم هم الذين أخذوا بيد لوط وأتباعه المؤمنين،  
ورسموا لهم سبل السجاة من الخطر قبل نزول الصاعقة بقيل ﴿فَأَنشُرْ أَفْئِدَهُمْ وَنُفِخَ مِنَ  
الْجَنَّةِ وَكُتِبَ لَهُم مَّا كَانَتْ يُسْأَلُونَ عَنْهُم وَأَصْلَحُوا حَتَّى تَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿

فهذا كذب فليعتبر قوم محمد وليكفوا عن اقتراح برول الملائكة، لقد عرفوا الآن  
ببطلان تنزل الملائكة عن المكذبين، ثم ليعتبروا بأصحاب الأيكة قوم شعيب، وكيف  
انتقم الله لشعيب منهم، وليعتبروا بأصحاب الحجر قوم صالح أحدثهم الصيحة  
وهم يستحقون من الحيا بيوثاً آمنين، وهؤلاء وهؤلاء، قد عرف العرب ديارهم  
ويعبرون عليها في رحلاتهم إلى الشام في سبل مقيم، وفي إمام مبين، طريق ثابت  
واضح المعالم.

وفي الختام يتوجه الوحي إلى النبي عليه السلام ليرسم له الخطة الشاملة التي  
يسير عليها في شتومه كلها في موقفه براء العالم ورحمته، وبراء القرآن ودعوته،  
وبراء المؤمنين بها، وبراء المعرصين عنها وأحبارها في صلته بربه، أما رسة الدنيا

ورحرفها فيها يقول الله ﴿لَا تَعْدُوا عَذَابَكُمْ إِلَىٰ مَا هِيَ بِهِمْ أَوْ رَبَّكُمْ يَنْهَىٰ﴾

وكيف ينطعم إلى هذا العرص الرائل وقد أهد الله مفتاح الخير والسعادة الحقيقية  
﴿وَلَعَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا لَّهُمْ وَلَئِنْ لَّمْ يَنْتَفِعُوا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْقُرْآنِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾

روى البخاري في التاريخ عن النبي ﷺ أنه قال: «من أعطاه الله حفظ كتابه،  
فطر أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي، فقد عظم أعظم لنعم»

وأما الرسالة التي بطلت به فواجهه أن يجهر بها غير منال تكذيب ككذابين،  
واثقاً بأن الله سيكفيه شرهم، ﴿فَأَمَّا بَعْضُ مَا يَدْعُونَ تَعْرِفُ وَأَخْلَسُوا مِنْ كِبَارِهِمْ﴾

وأما أمته الذميمة فعليه الفرق بها وليحضر الحياح لها، ﴿وَأَمَّا بَعْضُ مَا يَدْعُونَ تَعْرِفُ﴾،  
وأما المعرضون المعارضون فسيله فهم أن يصقح الصقح الحميل، وأن يفرض  
عهم ولا يحزن عليهم، وأما واجهه نحورته فهو أن يقلل على عبادته والتقرب إليه.

\*\*\*

## نور من سورة النحل

### مقاصد الدعوة المحمدية في مكة

بسم الله الرحمن الرحيم، ما أحسن هذا الانتقال من سورة الحجر إلى سورة النحل، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، أتى أمر الله، اختتمت سورة الحجر بهذه الوصية الذهبية التي تهدي لكل من ألم به ضيق نفسي ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَبْدُوَنَّ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ يَهْتَدِي رَبُّهُ وَقَدْ رُفِعَ عَنْ يَأْتِيكَ الْيُوشُ ۝﴾، واليقين كما يكون برؤية الحقائق عياناً عند الموت، يكون برؤية شيء من وعد الله محققاً واقعياً في هذه الحياة، وهكذا أشادت هذه الحائمة إلى أن ساعة نصر المؤمنين والانتقام من المكذبين آتية لا ريب فيها، فجاءت فاتحة سورة النحل مشيرة بأن هذه الساعة قريبة جداً القرب، كانت قد ألت بالمعمل ﴿إِنَّ أَوَّلَ نَفْسٍ مَّا تَسْجُدُ﴾.

### سورة النحل

سورة النحل من السور الجامعة لمقاصد الدعوة المكية، فلنعرف حظ سيرها في بيان هذه المقاصد، بها سخوم أول كل شيء بإرساء الأصول الاعتقادية، ثم تسي عليها أصول مكرم الأخلاق، ثم تتبعها سطران عامة في تأييد الدعوة وتثبيت قلوب المؤمنين عيها، وتحديد المعرضين عيها، ثم تحتم بأدب الداعي ﷺ ورسم المهج الحكيم له في دعوته، تبدأ السورة بصيغة موجزة، تنظيم أركان العقيدة الثلاثة على هذا الترتيب: التوحيد، النبوة، الجزاء.

التوحيد ﴿مَنْحَسَنَةً وَمَعْلَى مَعًا شَرُكَوْكَ ۝﴾؛ سورة، ﴿مَرَّةً مَّا تَكُنَّ بِرُوحٍ مِّنْ أَمْرِ، عَلَى مِّنْ بِنَاءٍ مِّنْ يَّابِقٍ﴾ الحراء، ﴿أَن تَدْرَأَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝﴾ ثم أخذت في بسط هذه

الأركان الثلاثة واحداً بعد واحد مسددة بأولها؛ بوحيد المعبود، وأن كان توحيد المعبود عقيدة مركبة من عقيدتين استحقاق لله - عز شأنه - للعبادة، وعدم استحقاق شيء غيره لها، كان من حق كل قصة مهما أن يقام عليها دليل مستقل، وذلك هو ما تكملت به الآيات الحكيمة في سورة مطهي رابع

أما أن الله سبحانه أهل لأن يبقى ويُعبد، فقد برهنت عليه من طرق ثلاثة؛ عظمة قدرته، وعظمة نعمته، وشمول علمه وإحاطته، عظمة قدرته ﴿حَلَوَ الشَّرِبِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ﴾، ﴿حَلَكَ الْإِنْسُ مِنْ نُفُوسِهِ إِذَا هُوَ حَمِيمٌ مُبِينٌ﴾، وعظمة إحسانه وإعنايه بكل ما ينع الإنسان من الحيوان والماء والنبات إلى سائر الكائنات الخفية، ﴿وَالْأَنْعَمُ حَقُّهَا لِحِكْمَةٍ فِيهَا دَفَعْتُ دَسَمَ وَأَكْثَلُونَ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا خَمَالٌ جِبَرُ تُرْمَعُونَ وَبِهِ تَرْجُونَ ﴿وَعَجِلُ أَتَمُّ لِسِكُنُ إِلَى تَلْذِثُ تَكُونُ بِيَدِهِ لَا يَتَنَقَّى الْأَمْشِرُ يُرْكَبُ لَكُمْ رُءُوفٌ رَزِيمٌ﴾، ومن نعمة الحيوان تناسق إلى نعمة الماء والنبات، ﴿هُوَ الَّذِي أَسْرَلَ بِرِكَ السَّمَاءَ مَاءً لَكَرُمَةٍ شَرَبَتْ مِنْهُ شَجَرٌ مِنْ ثَمَرِهِ يُسْمَكُ﴾، ثم من هذا إلى سائر نعم الكونية ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِباً وَتَسْتَخْرِجُ مِنْهُ جُلُودَ ثِيَابٍ﴾، ﴿وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوِيٌّ أَنْ يَبَدَّ بِكُمْ وَأَنْهَارٌ وَيُسْبِلُ لَكُمْ الْبَحْرَ تَهْتَدُونَ﴾، ﴿وَيَذَرُكُمْ رُسُومَ اللَّهِ لَا تَحْسَبُونَهَا﴾، وأخيراً سعة علمه وشمول إحاطته ﴿يَقُولُ مَا يُرِيدُ وَمَا يَنْتَهِزُ﴾، ها اجتمعت صفات الألوهية لله.

وأما أن شيئاً غير الله لا يستحق هذه الألوهية، فقد برهنت عليه بمقاربة واصحة بين هذه الصفات وبين أصدادها؛ كأنها تقول أنا وقد عرفتم هذه الصفات الحسنى في جناب الله، فأين شيء منها في جناب غير الله ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَمْ يَخْلُقُوا شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنُونُ رَمَا تَشْرُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾.

هكذا تم الدليل بمقدمتين، ولم يبق إلا إعلان نتيجه، وهذا هي الحقيقة يعلنها القرآن قوة جلية ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾، يا سبحان الله! وكيف إذ حاد المشركون عن هذه الحقيقة الخفية؟ يجيب القرآن بأنهم لم يؤمنوا من جهة خفاء الحق وعموضه، ولكنهم



أوتوا من قبل كبرياتهم وإعماصهم، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوقُهُمْ تُكْرَهُ وَهُمْ يَنْكَبُونَ﴾

والآن تسفل الآيات إلى الركن الثاني من أركان العقيدة، وهو ركن الوحي والسورة معتمدة مباشرة الحديث عن هؤلاء المتكبرين، أنه أنهم علوا في هذا الإنكار والاستنكار إلى حد أنهم لم يقموا من الدعوة موقفاً سليماً محايداً، بل أخذوا يحاربوها بتعتيمها على الناس وتصليلهم عن طريقها، فإذا جاءهم وقد يسأهم عن محمد ودعوته، وعن شأن الكتاب ندي جاء به، قتلوا هم: إنه لم يأت بجديد، إنه أساطير الأولين، وسنكوا في ذلك مسالك من التبر والتصليل، ألم يعلموا أنه قد مكر الدين من قسهم، فأحبط الله مكرهم وعدتهم في الدنيا وأحراهم في الآخرة، كذلك سيكون حراء الظالمين، وسنكون العاقبة الحسنى للمتقين.

\*\*\*

## نور من سورة يس (أصول العقيدة الإسلامية)

سورة يس من السور المكية، الجامعة لمبادئ العقيدة الإسلامية، وما أكثر السور الكريمة التي تتناول أصول العقيدة، وتسمى بإرساء قواعدها، ولكنها على كثرتها وكثرة تعلُّلنا النظر في مذهبها، لا يكاد نجد سور من منها تتحدثان مباشرة ولا أسلوباً، ولا مادة ولا ترتيباً، بل يرى نكل سورة لونها ومراجعتها، وماذنها ومذهبها، فتبارك الله الذي لا تتعد كتمانته، ولا يُملُ حديثه، ولا تُحصى آياته!!

أول ما يبدو لنا من طرافة المذهب في سورة يس، أنها تدب أن تتناول أركان العقيدة على ترتيبها التوجدي (الله - الرسول - اليوم الآخر) تقدم شأن الرسالة، فتجعله في مكان الصدارة، ثم تتعه بالركبتين الآخرين، سالكة في ذلك سبل الترتيب الظهوري التعظيمي، فعنصر الرسالة هو أول ما يظهر أمامنا على منصة لتعليم والإرشاد، ومنه نلقى سائر العاصم، وتبين سائر المعالم، فهو حلقة لاتصل بين الماضي والمستقبل، وهو رأس الراوية التي يرى من خلالها طرفا المبدأ والمعاد والإيمان برسالة الرسول ﷺ فيطوى فيه لا محالة الإيمان بالطرفين وبكل ما جاء به، ولا كذلك الإيمان بأحد الطرفين أو كليهما، فهو إذاً جماع العقيدة وبواسطة عقدها، ولعمري إلى هذا المعنى يشير إلى ما ورد في الأثر «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس».

ولنأخذ الآن في عرض أجزاء السورة الكريمة فأول ما يطالعنا فيها ذلك لقسم العظيم ﴿القرآن الحكيم﴾ ﴿تفصيل القرآن﴾ ﴿عز وجل﴾ ﴿يس ١﴾

فهذا هو تسجيل الركن الأول، ونحيي الآية التالية مباشرة فتعين الجهة العليا التي صدرت عنها هذه الرسالة (وهذا هو الركن الثاني) ﴿يَرْسُلَ الْمُرْسِلَ الرَّحِيمَ ۝١﴾ [يس ١٥]، ثم نحيي الآية التالية مباشرة فتبين المهمة التي تنطوي عليها تلك الرسالة، مهمة الإندار للمعافين، بما أعد لهم في العاقبة، وهو الركن الثالث والأخير ﴿يَشِيرُ قُرْمَاتًا أَيْدِيَهُمْ أَزْفَةً لَهُمْ عَيْلُونَ ۝٢﴾ [يس ١٦]

ولا تكتفي السورة في مستهلها بهذا الإجمال في بيان المهمة، بل تنلطف في حصر حدودها وحدود مسؤولياتها، بالداعي الكريم، وتحفّظ عن كدهه بإراء ما سيلقيه من الصعاب أرايب الراعي الصالح حين يرد بأنعامه ماعل الماء، ويحاول حملها على الارتواء، فتستعصي وتأبى، وتصل مقمحة الرؤوس صلبة كأنها مشدودة بلجم، متصلة الأعناق كأن فيها أعلا لا كاسية إلى الأدفان، تحول بينها وبين الانعطاف على الحياض، ثم تطل متجمدة لا تبرح مكاسها، وكأن أمامها سترا، وحلمها سدا، أرايت لو هبكت هذه الأنعام طمأ بعد أن بدل راعيها جهده في سقيها، (أبلى في عيه) تعة بعوقها؟! ذلك مثل هريق من الناس بل مثل أكثر الناس في استعصانهم عن دعوة الرشاد، فلي يكون عليك أيها الرسول حساب هؤلاء ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾ [يس: ٧].

﴿إِنَّمَا نُدْعُهُمْ لِيَكْفُرُوا بِالْعَبَثِ وَأَكْفُرُوا بِتَوْبِهِمْ وَأَنَّهُمْ حَكِيمُونَ ۝٤﴾ [يس ١١]. أما أوثق الموتى فإن الله وحده هو القادر على أن يحبسهم وسيتولى هو محاسبتهم عن ما قدموا من عمل، وما حللوا من آثار ومثل ومن ﴿إِنَّ تَحْنُ شَتَّى الْقَرْبِ وَنَحْنُ شَتَّى مَا قَدَّمُوا مِنَ الرَّمِيمِ وَكُلُّ شَيْءٍ لَّحْصِيَّتُهُ فِي مَا وَفَّقُوا ۝٥﴾ [يس ١٢]

اثنا عشرة آية تستهل بها هكذا سورة يس، كأنها نص خطاب الاعتقاد ورد به الرسول ﷺ ليتقدم به أمام أمته محموتا بحاتم مرسله، ومبيناً فيه كنه مهمته وحدودها، وموقعه من العقبات التي تعترض طريقها، فيقدر ما كان محمد ﷺ حريصاً على هداية قومه، كانوا هم حراساً على القرار منه والإعراس عنه.

على أن هذا الإلحاح في الطلب من حاسب، واللحاح في الحرب من الحاسب الآخر، لم يكن فيه محمد ﷺ وقومته مدعاً من الرُّسل و لأقوام، فيما من رسول أتى قومه بمثل ما جاء محمد ﷺ إلا كُذِّبَ وعُودِي و خُورِبَ. وهب تقرب السورة أقرب الأمثلة التاريخية التي يرجى أن يكون فيها الرسول ﷺ وأصحابه حيز أسوة، وأن يكون فيها للمكذِّب أسوأ عر، بلث هي قصة الخواريين أصحاب عيسى عليه السلام الذين أرسلوا بمثل دعوة محمد إلى أصحاب انقرية (وهي بإحماص المفسرين مدينة أنطاكية عاصمة البلاد السورية القديمة) أرسل الله إليهم على لسان عيسى اثنين من الخواريين، فكذبوهما فعرزهما ثالث، فيما رادهم إلا تكديناً للرسول وتهديداً لهم بالرجم إن لم يكفوا عن دعوتهم، ثم جاءهم رجل من أقصى المدينة يعلن إيمانه بالمرسلين ويصيح لقومه بالتباعهم، فكان جواب قومه أن قتلوه. فماداً كان مصير الفريقين؟

تجيب آيات الكريمة أما هو فبيل له ادخل الجنة، وجعله الله من المكرمين، وأما قومه فلاهم لم يُنْهَلُوا أكثر من ذلك، فلم يرل الله ملكاً من السماء بالوحي على رسول الله إليهم، ولم يرل جدّاً من السماء لتعبد هلاكهم ﴿يَا كَاذِبِينَ وَجَدَ قَوْمَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [١٢٩]

فهل اعترف قوم محمد واتقوا أن يحل بهم ما حل بأصحاب تلك القرية!!  
﴿يَحْتَرَّةَ عَلَى الْوَيْدِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [١٣٠] لكن الموعد اخضر ﴿وَلَا تَكُنَّ مِمَّنْ كَذَبُوا كَلِمَاتٍ كُذِّبَتْ عَنْهُمْ﴾ [١٣٢]

قلنا إن ركن البوة والرسالة كان هو الركن الذي أحلته سورة يس مكان صدارتها، وهته أول قسط من عايتها وقد قررت فيه رسالة محمد -صلوات الله وسلامه عليه- مشهاده شاهد لا يحاح إلى تركية، شهادة القرآن الحكيم الذي يحمل في تفسيره برهان صدقة وصدق من جاء به، ثم أحاطت الرسول ﷺ بنوعين

من أنواع التسلية واستعربة عما نصادفه دعوته من ظهور القنوب الميتة، وإعراض العقوب المتحجرة؛ نوع ستمدنه من طبيعه الداعي وطبيعة المدعويين، ذلك أنه ليس عن الرسول ﷺ وهو من الشر إحياء الموتى، وإن ذلك إلى الله عز وجل إذا شاء، ونوع اقتبسته من عبر التاويح القريب؛ ذلك هو نبأ الرسل من الحوارين، وما لاقته دعوتهم من تكذيب، وما لاقاه أناسهم من قتل وتعذيب، ثم ما صار إليه أمر إفريقياين كل بحسب ما هو أهله.

هنا تم الحديث عن الركن الأول..

والآن نأخذ الآيات في تقرير الركبين الآخرين، بادئة بأولهما وأولاهما، فتسطر ما شيئاً من آيات الله في الأرض وسماها، وآياته في السماء وأفلاكها، وآياته في لحدود وفلكها. كتبها آيات إنعام وإحسان، ولكنها في الوقت نفسه آيات في العظمة والسلطان، وآيات في إحكام التدبير ودقة الحساب، ثم آيات مباشرة أو غير مباشرة على صحة البعث وصدق يوم الحساب: ﴿وَابْتَهِمُ لَمْ تَأْمُرُ الْبَيْتَ لَمَّيْنَهَا وَأَخْرَجَ مِنْهَا جَ مَوْثُ بَأْسُكُمُونَ﴾ (س: ٣٣).

لعمري إن كل واحدة منها آية في جملتها للعامة والدعاة، ولكن صياغتها على أدق وحوه التعبير العلمي تجعل للعلماء في كل آية منها آيات. فهل عرف علماء الهند منذ كم قرن كشف لنا القرآن ما اكتشفوه هم من اشتغال السمات على أعضاء تدسية؛ أعضاء تدكير، وأعضاء تأييث، وأن ظهور الثمرة إما يكون بالتراوح بينهما، إما مباشرة في النبتة التي تحتوي الجنسين، وإما بالتلقيح بالرياح أو غيرها في السنة التي تحتوي أحد الجنسين فحسب ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرٍ مِنْ أَكْثَرِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [فصل ٤٧] وهل عرف علماء المناطيس والكهروماء منذ كم قرن أنه القرآن على آثار هذا التراوح والنوالدين تلك القوى الخفية، حين يلتقي التياران الموجب والسالب؟

﴿ شَيْئًا أَلْوَىٰ خَلَقَ الْأَزْوَاجَ حَكَمًا وَمَا يُبْذَرُ الْأَرْضَ وَمَنْ أَنفُسَهُمْ وَمِمَّا لَا يُعْتَمَدُونَ ﴾

[44]

وهل عرف علماء الفلك مدكم من أشار القرآن إلى هذا الكشف الحديد في سير الشمس (حتى على فرض أن الأرض تدور حولها)، وهو أن الشمس وللكوكب التي تدور في منكبها تجري كلها فاعلة واحلف، سائرة في اتجاه معين نحو مجرم المجرة السوية!! ﴿وَالْقُرْآنُ يُخبرُكَ دِينَهُ﴾ ﴿وَالْقُرْآنُ يُخبرُكَ دِينَهُ﴾ ﴿وَالْقُرْآنُ يُخبرُكَ دِينَهُ﴾

[ ٢٨ ]

وهل عرف عدي. وصف الأرض والسماء مدكم قرن بقرآن على كروية الأرض بإثبات أن الليل والنهار والشمس والقمر ليس أحدهما سابقاً للآخر، بل هي مفترقة الوجود في كل لحظة، نكن على سطحين مختلفين من الأرض، بحيث يكون هنا الليل يكون هناك النهار، وبالعكس ١١ ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس ١٢).

حَقًّا إِنَّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَآيَاتٍ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿وَحُكُّهُمْ مِنْ بَيْنِ  
فِي التَّنْزِيلِ وَالْأَرْضِ يَشْرُونَ عَنْهَا وَأَنْهُمْ عَنْهَا مُنْزَوُونَ﴾ [يس ١٠٥]، وَإِنَّا لَنُتَوَقَّعُ  
مِنْ عَمَلِهِمْ حَدًّا نَعْصِلُهُمْ قُوَى الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ، ثُمَّ انْضَعُوا بَيْنَهُمْ مِنْ مَشَاعِيرِ الْخَوْفِ  
وَالْخُذْرِ، وَعَرِثُ الْحَرَمِ وَاتَّقَاءُ الْخَطَرِ، وَلَكِنْ هَاهُمْ أَوْلَاءُ إِذَا سَجَاهُمْ اللَّهُ مِنَ الْبَحْرِ،  
وَقِيلَ لَهُمْ ﴿ثَقُلُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ [يس ١٤٥] أَنْ يَخْشَفَ بِكُمْ حَاسِبُ الْإِبْرِ ﴿وَمَا  
خَفَعْنَاكُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ فِيهِ نَارَ أُخْرَى يُمْسِكُكُمْ فِيهِ، أَوْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنْ شِقَاءِ  
الْأَلْبَاءِ، وَمَا يَلِيهِ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، لَمْ يَتَّقُوا وَلَكِنْ أَعْرَضُوا، وَذَلِكَ دَأْبُهُمْ أُمَمَ دَعَا  
لِلدَّاعِينَ وَوَعَدَ الْوَاعِظِينَ ﴿وَمَا نَأْتِيهِمْ مِنْ دُيُوسٍ أَلَيْسَ لَهُمْ لَكَؤُلَافٌ مُتَرَبِّعِينَ﴾ [١]

[16] 1999.

ثم يا لستهم إذ تجردوا من فصيلة الفكر والبطر، ومن عريضة التبصر والخلود،  
نفت لهم عاصمه الإنسان على أحيه الإنسان، ولكهم ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ بِهِ أُولَئِكَ أَن يَدَّبُّ رَدْدًا﴾  
أليس حتموا بلذير يا مشر الطمعة سر لو تذا: ﴿لَا تَقْعُدُوا عَنْ صَلَاةِ رَبِّكُمْ﴾ (س ١٧)

6114

ويقولون ﴿من بعد موتنا كُنَّا مُصِيبِينَ﴾ [يس ٤٨]

وهذا الحديث عن الركن الثاني تقريراً للإلحيت ودلالاتها وإطلاً للوثنيات وصلالاتها، وكان حتم الحديث بهذا لاستفهام التهكمي من جانب المشركين فتحاً للحديث عن الركن الثالث والأخير؛ ركن الحساب والحراء، وهكذا تأخذ الآيات في وصف مقدماته من السماح في الصور، وقيام الناس من القصور وحشرهم جميعاً في موقف القضاء بعدل حيث لا تظلم نفس شيئاً ثم تأخذ في وصف ما يستقبل به الكافرون من تأيب ونحسب وتنديم، ثم تصلية حعيم، وما يستقبل به المؤمنين من تكريم وعيم ونحية رب كريم: ﴿سَيَكُونُ الَّذِينَ يَخُوفُونَ رَبَّهُمْ يَكُونُونَ فِيهَا﴾ [يس ٥٨]

عرضت علينا سورة يس من أمر النبوة وأعبائها وأمر الألوهية وآلائها، وأمر القيامة وأبائها، ما يشاء الله لها أن تعرضه؛ عرضت علينا ذلك كله مرتين؛ مرة في افتتاح السورة، ومرة وحياً وعنواناً مطوياً، ثم مرة في امتداد السورة حديثاً مرتلاً وقولاً مفصلاً.

والآب وهي على وشك الرحيل، تريد أن تعرض علينا عرصة ثالثة بين الإجمال والتفصيل تحت حلال حديدية، وفي ألوان عضة ضريفة.

وكان حديثها آتفاً عن الرسول ﷺ تقريراً لرسالته، وتحديدًا لمهته، أما ما مستحدثنا عن خلقه وشيئته، تبرئة له من برعة الشعر وبرغته.

سيقول قائل: ولم ذلك؟ وكيف ارتحل الكلام ارتجالاً؟

نقول لا ارتجال، فلقد كان في سياق الحديث الأخير ما يشير هذه التهمة، ويستوجب هذا الدفاع. ألم سمع إليه إذ يقول على لسان رب العزة في وصف لقيامة وأموالها: ﴿لَنُؤْتِيَهُمْ فِي أَقْوَامِهِمْ وَنُخَيِّطُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْغُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآيات ٦٥] نرى ما هذا! أيد تتكلم، وأرجل تشهد، أليس هذا صرناً من حيال الشعراء الذين يستنطقون الجهاد، ويستكون الخيام والأوتاد؟!

كلا! ذلك عن الجاهلين؟ قال شعراء سمعهم ان يقولون ﴿لو برأيتهم في صحن رابيعهم﴾  
 ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ١٠ ﴿١٢٥ - ١٢٦﴾ وما كان ذلك من شيعته محمد  
 في صفة ولا شارب ولا كهول ولا منسب ﴿بَنِي لُؤَيٍّ مِصْرَ﴾ ﴿وَمَا يُفْعَلُ﴾ ١١ ﴿الطريق ١٢،  
 ١٤﴾ ﴿وَمَا عَلَّمَهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغُ لَهُ﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ﴿يَسْتَدْرِكُ مَنْ كَانَ خَيْبًا وَمِنْهُ الْقَوْلُ عَلَى  
 الْكُفَرِ﴾ ١٢ ﴿١٢٩ - ١٣٠﴾

وكان الحديث آفاً عن الأنوذية خفة، تقريراً لآلائها، وتحريراً لدعوس على  
 استشعار خوفها ورحانها، أما هذا فيكون الحديث عن الأنوذية الباطلة، تعجيباً  
 من عقول متعبيها وإدانة لاطمئناسهم وانكاس رؤوسهم، نعم ألم تر كيف كرم  
 الله لإسار وفصله عن سائر الخيوان، وكيف جعل له الأنعام مقهورة مسخرة  
 مملوكة مدلية، فانظر كيف حلق اشركون هذه الكرامة فجعلوها أنفسهم عبداً  
 مسخرين، لا لهذه الأنعام، بل لما هو أدل منها للأحجار والأصنام، يرجون معونتها  
 وبصرتها، وهي لا تنصرهم ولا تنعيم، ولا تستطيع لهم معونة ولا نصراً ولكنهم  
 هم الذين يعبدونها ويخدمونها ويدعون شئونها ﴿وَأَسْتَعِذُّ مِنْ نَوْءِ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِرُوحِهِ  
 يُصْرِكُ﴾ ١٣ ﴿لَا يَسْتَعِذُّونَ بِشَيْءٍ مِنْهُمْ وَهُمْ مُخْمَرُونَ﴾ ١٤ ﴿١٣٥ - ١٣٦﴾

وكان الحديث آفاً عن البعث وصفاً لأحواله وتصويراً لعجائبه وأهواله، أما  
 هذا فيكون الحديث عن البعث إقامة للحجة، وإقحاماً لشكري حقيقه، يقول  
 الإنسان ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَلْفُ مِائَةٍ﴾ ١٥ ﴿١٣٧ - ١٣٨﴾ ﴿مَنْ يَجِبُهَا لِيَوْمٍ أَشْهَدُ أَنْ لَا يُؤْتَى بِكُلِّ  
 خَلْقٍ عَلَيْهِ﴾ ١٦ ﴿١٣٩ - ١٤٠﴾

فإن كان عندكم بدعاً أن تعود الحياة بحرارتها وحركتها ومرونتها إلى هذه  
 العظام في برودها وسكونها وبيوستها، فهلا كان عندكم بدعاً عما هو أعجب من  
 ذلك قد أحكم إلى بعض التي تروون بها باركم عودان الخراب يقطران ماء تنحذان  
 من شجرتين ذكر وأنثى، فتحك بعضهما إلى بعض، فإذا هما يرميان بالشرر، ألا إن



الذي سعيده حروره الحياه الى برودة هذه المعظم هو ﴿ يدي جعل لكم من سحر لأحصى  
نار يده شرمه ترفعون ﴾ [يس ٤٨٠]، ولقد علمتم أن خلق السماوات والأرض أكبر  
من خلق الناس.

﴿ أوتيس ألدی خلق السموات والأرض يقدر على أن يخلق مثلهم بل وهو الخلق أعظم ﴾  
بما أمره، إذ أراد شيئاً أن يقول له، كن فمكون ﴿ فتنحس ألدی يدهم فمكون كل شيء وروبه  
ترجعون ﴾ [يس ٨١-٨٣] صدق الله العظيم.

\*\*\*

## نور من سورة غافر

عرض لقضية الفراغ والصراع

بين دعاة الحق والباطل والخير والشر

سورة المؤمن «ظاهر»

تفسير لفتح الرحمن

سورة المؤمن هي عرض لقضية الفراغ والصراع بين دعاة الحق والخير، وبين جند الشر والباطل، وإنها لقضية أرضية خالدة، لا يرال التاريخ يُدئ فيها ويميد، حتى يرث الله لأرض ومن عليها، والعجب في أمر هذا الصراع المتجدد أنه على الرغم من تعدد القوتين، وعلى الرغم من عدم التكافؤ بين السلاحين يتقرر النصر في النهاية دئ لقصة المتعين الصابرين، وتدور الدائرة على الفجرة المعادين.

تلك هي الحلقة المعرعة، وأحرقة الدورية المستظمة، والتي عفدت هذه السورة الكريمة.

١- لتصويرها.

٢- وإبراز شواهدا.

٣- ولاستخلاص العبرة من تلك الشواهد.

تبدأ السورة بعرض موحز لهذه الحصة التاريخية المستمرة ﴿مُتَحَوِّلٌ فِي مَا يَشَاءُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُفَتِّرُ مَا يَشَاءُ وَيُعَلِّمُ ۚ﴾ ﴿١﴾ كذبت قوتهم قوت نوح والأحراب من بقدهم وهمت ككل أم برشهم لياخذوا وحدهم بالسطر لندموا به لئن ظلمتهم فكيف كان يعذب ﴿٢﴾ [عامر ٥، ٤] ﴿أولم يبينوا في الأرض قيطروا كيف كان عية الذين كانوا من قوتهم كانوا هم أشد منهم قوتاً وءأشارا في

الْأَرْضِ فَأُخْذُوا مِنْهُمْ نَفْسُهُمْ وَإِنْ كَانَ لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِن دُورٍ ﴿٢٦﴾ [عاد ٢٦].

ثم تأخذ السورة في تطبيق هذه القاعدة الكلية، فتختار مثلاً من بين أمثلتها العديدة؛ ذلك هو موقف فرعون وملكه حين جاءهم موسى بالآيات البينات فلم يقصروا حاجته بحجة مثلها، ولكنهم أخذوا يتشاورون كيف يستخدمون سلاح القوة والعنف، فأما الطدة والحاشية فقد اتجه بدسائهم إلى الانتقام من أناس موسى، قالوا ﴿ قَتَلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيَوْا نِسَاءَهُمْ ﴾ [عاد ٢٥]، وأما فرعون فكان أشد رعونة وأصيق صدرًا من أن تعطشه للدماء لم يكن ليرويه إلا اقتلاع الشجرة من مستها ﴿ دَرُوءٌ أَفْشَرُ مَوْسَى وَلِيَذْغَ رَبُّهُ إِلَىٰ نَحَافٍ لَّا يَبْدُلُ دِيحَكُمْ أَوْ أَن يَخْطُرَ فِي الْأَرْضِ فَتُضَادَّ ﴾ [عاد ٢٦].

وإن تعجب لشيء فاعجب لهذا الاتهام: إلى موسى يُنسبُ شيء من الفساد؟ أهكذا نقلب الحقائق ونسحق الأشياء باسم أصدادها؟ نعم إنه أهوى، يريى لصلال في عين صاحبه، فيجعله هدى ورشادًا ويشوّه هدى فيصوره شرًا وفسادًا، وكذلك كل ثورة إصلاحية يسميها الطغاة الخبايرة تمردًا وحرورًا عن الطاعة ومحاولة لقلب نظام الحكم وإثارة للقلال والفتن، ولفظ هاها وقمة يسيره سته فيها إلى سرّ هذا التشابه اللفظي في أساليب الدعوة ومهاجها عبد الغريقين، إن السورة لتسمعا منها صوتًا واحدًا، هو شعار مشترك بينهما يردده داعي الهدى وداعي الصلال على السواء، كلاهما يقول اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد؛ ذلك لكيلا نحددنا الأسماء والألقاب، ولا نبني أحكامنا على زحارف الأسماء ولوعود، ولكن على الحقائق العممية الماثنة، إنها تشابه الأقوال، ولكنه لا يستوي الخبيث والطيب، وإن سيره كل امرئ في ماضيه وحاضره ومستقبله هي الفاصل بين الصادق والكاذب ﴿ يَفْقَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَىٰ صَدَقُوا وَلَعَنَّ الْكَذِبِينَ ﴾ [المكوب ٣].

ويعود إلى سياق الخديث عن حصومة فرعون موسى، فنقول إن السورة بعد أن عرّضت علينا منظر هذين المعسكرين، وبعد أن صوّرت اشتداد لأزمة بينهما،

قدمت بإلاوحة ثالثة، تنطّف من حده الموقف

هو هو ذا طرف ثالث تتدخل بين الطرفين بأسلوب طريف من الإبداع ونهضة الخوض، وقد منع من طرفه هذا الأسلوب أن السورة اسمها من اسم صاحبها (سورة المؤمن) نكت هي المحاوره السارعه، بل المحاجة البليغة التي على لسان رجل من قوم فرعون، شرح الله صدره للإيمان ولكنه لم يجرؤ على إعلانه، موقف وقفة المحايد المنصف، وحمل يائس قومه ﴿نَعْتُونَ رَبَّنَا أَنْ يَقُولَ رَبَّنَا اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَيْنُهُ كَذِبٌ﴾ ويد بك مسجود بعبثكم بعض أنعمكم ﴿[عامر ٢٨]

يقول إن دس هذا لرجل هو أنه قال رب الله، وأقدم الأداة على دعواه، وهذا دس لا يستوجب القتل، ولكن تعالوا بنا نطرح في مصلحتنا نحن، تعالوا بقدر حساب أرباحنا وحسناتنا في قوله دعوته أو رفضها عن احتمال صدقه وكذبه، فإن العاقل إذا خبر بين طريقين أحدهما تكسبه المخاوف والشكوك، والآخر يحقق الأمن والسلامة، فإنه يؤثر طريق السلامة المحققة، ويتجنب طريق الريبة والمخاطرة، ذلك مثل شأننا مع هذا الرجل.

به يرغم أنه يحمل رسالة إلهية، ويتوعد محالها بعقوبة لسيء، فإن فرصا أنه كاذب فلن يعود إنهم كذبه إلا على نفسه، أما نحن فإن لم نعد منه حيرا، فلن يحقق بنا صر في اتساعه، وعن العكس من ذلك؛ لو تبين أنه صادق في دعواه، إذن لكان عليه الخسر كل الخسر، فقصبة الخذر والتبصر توجب علينا إذن أن نسمع به ونطيع

هكذا قدمها هم عملية حسانية هيئة توحىها امطره السليمه، ويؤيدها الإدراك الرشيد، ثم يتابع المؤمن نصحه لقومه، فيحذرهم أول الأمر من احتمال روال ملكهم ﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ تَكُنْ أَتَوْكُمْ مُنْهَرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ نَضْرِبُكَ مِنْ تَأْيِسَ اللَّهُ إِنْ جَاءَنَا﴾ [عامر ٢٩]

(١) وقد اقتبها بعض الفلاسفة والحكماء، وسارت كذلك على ألسنة الشعراء

فان المنجم ولصيب كلاهما لا تخسر الأجساد؛ قلت إلكما  
يا صخ قولكها، قلت نحاسير أو صخ قولي، فالخسار عديكما

ثم يشفق عليهم ثانية من أن تمرل بهم الكوارث الكوبية التي حلت بالأمم قبلهم ﴿يَنْقُوهُ فِي أَسْفَى عَذَابٍ يَنْقُوهُ يَوْمَ الْآخِرَةِ﴾ [عمر ٣٠]، ويشفق عليهم أخيراً من عذاب يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ هُمْ فِي آسَفٍ عَذَابٍ يَوْمَ الْآخِرَةِ﴾ [عمر ٣٦] كل ذلك في قالب من التفكير والتقدير، ولا تبدو عليه محة من الحزم واليقين، وإنما هو حساس لصروب الإمكان وتقريب لوجوه الاحتمال.

لقد كان حتى هذه اللحظة يعالئ عداوته، ويحاول كتمان إيمانه، ولكنه لم يطق البصر طويلاً على هذا الكتمان، فاستمع إليه حين يتحول أسلوبه من الشك إلى اليقين، ها هو ذا يصمم الآن عدّاً إلى صف المؤمنين الموقنين، بل يرتقي من الدعاة المرشدين ﴿يَنْقُوهُ يَوْمَ الْآخِرَةِ﴾ [عمر ٣٩]، ﴿يَنْقُوهُ يَوْمَ الْآخِرَةِ﴾ [عمر ٤١]

هناك أصبح مثل موسى عرضاً لسهام الكيد والاصطهاد من الصراعة ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ سَيَأْتِيهِمْ عَذَابٌ وَخَافُوا بِأَن يَمُوتُوا﴾ [عمر ٤٥] عذاب السداب بالفرق، وعذاب الآخر بالحرق.

نعم... تلك هي العقوبة للعالمين ولو بعد حين؛ كما أن النصر عاقبة المصدقين ﴿إِنَّا لَنَصُرُّنَّكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبَعَثْنَا لَبَّاسًا﴾ [عمر ٥١]، أما النصر يوم يقوم الأشهاد فالدرجات العلى والحجيم المقيم، ورؤية الأعداء هناك يتقبلون في الحزى والعذاب، وأما النصر في الحياة الدنيا فإنه صروب وهون. أهله وأحلاه ما يتحقق في حياة المصلحين أنفسهم، باستعلاهم في الأرض والتمكين لهم من أعدائهم كما تم لداود وسليمان ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم - أجمعين، وأدفعه وأصممه ما كان بعد استشهادهم أو وفاتهم بالانتقام من عدوهم، وباستقرار دعوتهم، وبانتشارها بعدها كما وقع لركريا ويحيى عليهما السلام.

ألا فلتقر أرواح الشهداء الذين لم يدوقوا طعم الانتصار في حياتهم، فإن شجرة

لإصلاح. د شُفيت بدعائهم نعم و بر عرعت و نت أكلها، وذلك نصر أي نصر ﴿وما أريد فيه هتجة و ما سمع أساس فبنكث في لأرض﴾ [الرعد ١٧].

ومن أن يحتم السورة براهها تستخرج العبرة التي يسعى أن يقتسها منها النبي  
 -محاهد- عليه الصلاة والسلام-، مما هي دي تؤكد له قبل الوعد الكريم، بأن  
 عاقبت ستكون كعاقبة إخوانه الأسياء، وأن النصر سيكون حقيقه كما كان حليهم،  
 جراءة نصبره على مقاومة الشدائد ﴿فَضِيرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾ [عافر، ٥٥]، ﴿فَأَضِيرْ إِنْ  
 وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾ وما يُرَبِّتُ بِنُفْصِ أَلَدِي نَعْدُهُمْ أَوْ تَوَقَّيْتُ قَائِلَتَا يُرْجَعُونَ﴾ [عافر ٧٧]؛  
 انهم نصر ك اندي وعدتنا، رب اعمر لنا ديوب، وإسرافا في أمرنا، وثبت أقدامنا،  
 وانصرنا على القوم الكافرين.. آمين.

\*\*\*

## نور من سورة القمر

### الإنذارات الثلاثة وعاقبة الإعراض عن النذر

هل سمعت الإنذار البليغ الذي احتتمت به سورة الحشم، ﴿أَلَمْ يَأْتِ الْآيَةَ ۖ نَاسٌ﴾ لهذين ذروا للوكايفه ﴿نَاسٌ﴾ (سج ٥٧، ٥٨) ها هي دي سورة القمر تتناوله سيانه وتحليده ﴿أَقْرَبَتْ آلَ عَادَ وَأَنْشَأَ الْفُتُورَ﴾.

أما الساعة فقد اقترت حقاً منذ بُعث حاتم النبيين وبرت حاتمة الرسالات لسيو به فلم يبق دوسها كتاب ولا سي آخر غير أن الأيام في عمر الدنيا لا تنفس بأيامها ﴿وَلَا يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَذِبٌ مِّنْهُ ثُمَّ تَقَدَّرُ﴾ (المع ١٧) وأما القمر فمحمهور المفسرين على أن آية المحيدة تحبرها بحادث فلكي ونقص عليها ما اشفاق قمري وقع بالمع في اسوة قل هجرة، وأنه حدث ذلك حين طلب بعض المشركين آية كريمة، فأرهم الله هذه الآية، ولكنهم أصروا على عبادهم قاندين لقد سحركه محمد، وحكى الله عنهم ذلك بقوله في الآية الثانية ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سَحَابٌ مُّشْتَبِهٌ﴾

ومن المفسرين من ذهب إلى أن الآية إيمانين بقرب اشفاق القمر يوم القيمة على حد قوله - تعالى - أتى أمر الله؛ أي أرف محبته، وقد رعموا أن الأحبار التي وردت باشفاق القمر روايه آحاد لا يثبت بها مثل هذا الحادث الحلل الذي تنوافر ادوغي على بقله، بل الذي ستكره العقول في رعمهم؛ لأنه لو كان لاحتل به نظام الأرض والعام، إلا أنه لو سار هذا الاستكار في عصر ما، ما ساع مثله في هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم الفلكية واخترعت فيه آلات التصوير للكواكب وأحدثت فيه للقمر صور كثيرة تدل بوضوح على حدوث الاشفاق فيه غير مرة، سواء بفعل العوامل الداخلية كالانفجارات ونحوها، أو بعض العوامل الخارجية

كمرور السحوم دون الأدب بالمرتب منه بحث تحدث في سطحه صدغاً عائر  
كلوادي المنظم على حين معنى حاشاء به من أو بعد

ذلك من الأسس، ثم لا يحى أن الشئ قد يكون أهون من الحق، فيكون  
أمر جاً سطحياً غير مفصل كي، فلو بقي الصبر مشعوقاً هكذا أند الدهر لم يحتل  
للعالم نظام، وإذا كان الشئ نفسه معجزة للمعدة، لشريعة، فإن الإحسان به قبل  
وقوعه في ذلك العصر وفي تلك البيئة بعد معجزة للعالم لشري، وحدث بعد هذا  
كله قد ثبت باستقل الصحيح بل المتواتر على ما حقه المصوب من علماء الرواية، عبر  
أنه تواتر لا يكفر مكره، لأنه من دقائق العلم، وليس من ضروريات الدين، كما أن  
الحدث لم يكن موقفاً للناس حتى يأنس جمهورهم لمشاهدته ونقله

آيات السماء وأكثر الناس عنها بام، ونعود إلى سياق السورة الكريمة وما فيها  
من الأنباء والندر، فنقول إنها تنظم ثلاثة دروب من الإنذار

الإنذار الأول بالساعة وأهوالها في مطلع أمرها قبل الحساب والجزاء، وذلك  
يوم يدعو الداعي إلى شيء نكر مكر ومطيع، خشعاً أبصارهم يخرجون من  
الأحداث كأنهم جراد متشر.

الإنذار الثاني بمصير المكذبين الأولين قوم بوج وعاد وثمود وقوم لوط ومن  
قرأت عليه آباءهم من لعنة للحاضرين ﴿أَكْفَرُكُمْ كُفْرًا وَلَئِنَّكُمْ لَفِي الزُّلُمِ ۝﴾ ثم  
﴿مَرْكُومٌ مِّنْ جَمْعٍ مُّصَرٍّ ۝ سَبْعٌ مِّنْ لِّمَنَ وَتُولُوا أَلْفُ ۝﴾ الفهر ١٣ ١٤، وذلك بعد برول الآية  
بوضع سين، فكان هذا علماً من أعلام النبوة الباهرة

الإنذار الثالث بالساعة في نهاية أمرها بعد تقرر المصير، وبعد استقرار كل في  
مقره الأخير؛ إذ يسحب المجرمون في النار على وجوههم دوقوا من مقر، وإذ يقيم  
المتقون في جنات وسهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، بل كم لندر، فهل تعني  
الندر ﴿وَلَقَدْ نَزَرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ﴾ [عمر ١٧]



## نور من سورة الواقعة

### وأحوال النشأة الآخرة

#### وعرض مواطن العبرة من شؤون الحياة العاصرة

من أحب أن يسمع إلى صدر سورة الواقعة، فلينظر قبل ذلك لوصف الثاني من سورة الرحمن، ﴿إِذَا نَسَفَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿يَتَرَقَّبُونَ يَوْمَئِذٍ هُمْ كَالْعِشِيِّ وَالْأَنْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، ﴿وَلَمَّا سَاءَ مَا يَدْعُونَ عَلَى شَرِّهِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ﴿وَمِنْ دُونِهِ جَبَلٌ مِثْلَ بَرْحٍ﴾ [الرحمن: ١٦٢] هذه اللببت الأخيرة من سورة الرحمن تنمها سورة الواقعة، فتصنفها في قوائم جديدة تتحلل منها قاعدتها وأساسها، ثم ترفع موقفها من البيان ما كان اتخذ أساساً في سورة الرحمن

نعم لقد بدأت سورة الرحمن بأوصاف النشأة الأولى، ثم انتعتها بأحوال يوم الدين، أما سورة الواقعة فتستهل بالمهجع المتقابل كأنها رد العجز عن إصدار تبدأ بأحوال النشأة الآخرة، ثم تعود إلى عرض مواطن العبرة من شؤون الحياة العاصرة، والطريف أنه في كلا المقامين لا يرى أثر لقول مرقد، ولا يبدو طابع لحديث معاد، وإنما هو أبدي ررق جديد وعدم صديد، ما كنه الأحداث المعجبية في يوم القيامة

أحاشا سورة الرحمن بوصف الوقائع التي يتبدد بها نظام لعالم العلوي، فإذا نسفت السماء فكانت وردة كالدهان، أما سورة الواقعة فتجيبنا بوصف الوقائع التي ينقلب بها نظام العالم الأرضي، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وَنُسِطَ الْمِبَالُتُ ﴿فَكَانَتْ مَلَّةً مُنْبَتًا﴾ [الواقعة: ١-٦].

ولام تفصي تلك الأحداث فيما يتصل بمصائر الناس؟ الخواب ينلخص في كلمتين: إما ترفع أقواماً وتضع آخرين، هكذا وصفت السورة وقعة الواقعة بأنها حافضة رفة، إذن سيكون الناس يومئذ طفتين، ناحيين وهالكين، أليس كذلك؟ الجواب: ليس ذلك فحسب، بل ثلاث طبقات؛ إذ الناحيون أنفسهم صنفان أوامات

إلى ذلك سورة الرحمن جعلت حتم أدنى من حتم، أما سورة الواقعة فقد صرح حتم بدت من أول الأمر، وكتم رواحا ثلاثة ﴿ نَأْصَحُّ الْمَيِّتَةَ مَا أَصْحَبُ الْحَيَّةِ ﴾ ﴿ وَأَصْحَبُ الْمَيِّتَةِ مَا أَصْحَبُ الْحَيَّةِ ﴾ ﴿ وَالسَّيُّئُ الْقَبِيحُ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ الْمَفْرُوقُونَ ﴾ ﴿ وهذا شأن المسائل كم يكون النسبة العددية إجمالاً بين هذه الفرق الثلاث؟

لقد دلت مصوص القرآن في غير موضع على أن أصحاب الشياهم في كل عصر الأكثر عدداً، ﴿ لَنْ تُفْعَ أَكْثَرُ مِنْ فِى الْأَرْضِ يُصْنُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، أما النسبة بين الفريقين الآخرين فتشتت عنها سورة الواقعة؛ إذ تقرر أن أهل لسق والامتنار كانوا أكثر، في أنفسهم في عصر السوء والذي يليه، ولكنهم يقعون في آخر امرمان ﴿ ثَلَاثِينَ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ وَثَلَاثِينَ الْآخِرِينَ ﴾ ﴿

كما تقرر أن فئة الأبرار المقصدين يرى منها في كل عصر عدد كثير، ﴿ ثَلَاثِينَ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ وَثَلَاثِينَ الْآخِرِينَ ﴾ ﴿

وعلى إثر هذا التقسيم تعتمد الآيات إلى تصوير لون الحياة عند كل فريق، فتقدم لنا لوحات ثلاثة، كانت سورة الرحمن قد أبررت جاساً منها، غير أن اللون الواضح هناك كان هو لون البيئة؛ البيئة المكابية والبيئة الإنسانية، فتحي سورة الواقعة لتكمل اللوحات لثلاث بتقديم صورة لألوان الطعام والشراب في كل مرحلة من هذه المنارل، ومن تمام السامق بين أجزاء السورة أنها حين تتقل من ذكر تفاصيل الحراء إلى تقرير أصل الحراء وإلى الاستدلال عليه بالدلائل المشورة أمداً في هذه الحياة، سيكون من أهم عناصر هذا الاستدلال لفت النظر إلى آية الله في تكوين أصل الطعام وأصل الشراب؛ وذلك بإحراج السات من الأرض، وإبرال الماء من السماء في آيات أخرى هي في وقت واحد دلائل على البعث ودلائل على التوحيد، وهكذا تنظم السورة مركبي المبدأ والمعاد، ولا تلم إلا إلماً عابراً بالركن الثالث

وهو مبدأ الوحي والسوء؛ بد تقسم بالقرآن الكريم الذي لا يمسه إلا المطهرون على صحتة هاتين الخيفتين، ثم يحتم السورة بإقامة دليل حاسم على صحتها، دليل

عملي تتحدى فيه المكربين إن كانوا قادرين على الخروج من سلطان الله أو على نمرار من ديونته وحراته أن يقاوموا سلطان الموت وأن يراجعوا روح المحتصر إلى هذه الحياه ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَمَّ مَيْمِينَ﴾ ﴿رَجَعْتُمْ إِلَى كُنْتُمْ سَبِيحِينَ﴾ ﴿إِلَّا أَنَّهُ لَا قَلَّ﴾ محبوبي بلوقوف أمام هذا المحدي، ألا فلتحنن فلو أن نذكر الله، وتطلق ألسنتنا بمعجيد اسم الله ﴿وَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

تمت مجموعة السور المكية التي صدر بها المفضل، وتبدأ لأن مجموعته من السور مدنية، تتقدم في طليعتها سورة الحديد، وعلى الرغم من أن سورة الحديد تنسب إلى مجموعة جديدة، فقد روعي فيها ما روعي في سور السابقة من اعتبار في حائجة كل منها وفائجة السورة التي بعدها، وفائجة كل منها وحائجة السورة التي قبلها، ألا ترى كيف ختمت سورة الواقعة بالنسب، وكيف تبدأ سورة الحديد بالنسب؟ به ختمت سورة الواقعة أمراً ﴿وَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، وبه تفتح سورة الحديد حراً ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ختمت سورة الواقعة بإعلان أن عجز الناس وحضوعهم أمام ذلك المحدي السبغ سلطان الموت القاهر حدير بأن يطلق ألسنتهم بتسبيح الله، وتبدأ سورة الحديد بأن تجمع السلطان كل في يد الله الذي يحيي ويميت أطلق من قبل ألسنة الكائنات كلها في السماوات والأرض تنسح الله. فانت سورة الواقعة لقد عرفت عجزك أمامها لإسناد، فسبح، وتقول سورة الحديد، لقد سمعت أمامك الكائنات كلها، مهلك أنت لا تسح، هكذا تصهوت على دعوتك شتى الدواعي والدلائل والبواعث والتحارب السعوية والتأملات والاعتبارات الكونية، ثم تخفي السورة قائدة: به ليست ظاهرة الحياة وموت وحدها تدعوك لتسبيح الذي يحيي ويميت، بل كذلك سائر آياته لكبرى وصفاته لمثل، وبوجه أحص إحاطته الشاملة الكمله إحاطة رعية، هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، وإحاطة مكابية هو لظهور الذي ليس فوقه شيء، والظاهر الذي ليس دونه شيء، وإحاطة علمية ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْأَرْضِ وَالْمَرْجُحُ﴾ سائر ما يرى من تملأ وما تفرح بها وهو معك إن ما كنتم وأمة بما تملأ بصير ﴿الْحَدِيدُ ٢٥﴾، وإحاطة

مديرية «يوليخ ألثر في ألشهر ويوليخ ألشهر في ألثين» الحديد ١٦، وأخيرًا، حاحه في فصل القصص وتوزيع الخراء «وإلى الله ترجع الأمور»

ماذا يراد من وراء هذا التعريف بالله وصحته؟ ما الذي تنصه سورة لكريمة من تربية القلوب على هذه المهارة والإحلال لدي العظمة والحلال؟ أهو تمكين لعقيدة من النفوس وتحديد الإيمان في العيوب؟ ليس هذا محسب، أهو إلى ذلك التحريض على التحق بالأحلاق لمصلحة، واحكم بالأحكام العادلة؟ ليس هذا وذاك محسب، وإلا فهاد، تريد السور المدية على السورة النكية؟ إن أبرر طابع للسور المدية هو أنها لا تقف عند الأهداف الأولية للتشريع؛ إنها لا تكفي بتربية الفرد ولا بتكوين الجماعات المحصورة، ولكنها تسي أمة، وتقيم دولة، فعلام تسي الأمم بعد إصلاح عقيدتها وتطهير أخلاقها؟ على قوة المال، وعلام تقوم الدول بعد كماله أمنها وتوفر أسباب استقرارها ورحائها؟ على قوة الدفاع وحس التأهب للقتال

وتلك هي الأهداف العليا التي نزلت من أحلقها سورة الحديد «وأمثوا بالله ورسوله. وأمثوا مئة جعلكم مستخلفين فيه». «لا تشتري بكم من ألق من قبل الفتح وقتل أولئك ألقكم رجة ير الذين آمنوا من بعد».

في هذه الكلمات اليسيرة يتركز المقصد الأعظم من سورة الحديد، الدعوة إلى البدن في سبيل الله، وإلى التصحية في سبيل الله، الدعوة إلى الجهاد بالنفس والمال مريضة محكمة، وسنة عامة دائمة لا تنقطع قبل الفتح ولا بعد الفتح، وإن كان أجر الدين احتملوا أعباءها قبل الفتح أعظم وأكرم؛ لأنهم بذلوا حين بخل الناس، وأقدموا حين أحجم الناس، ولأنهم هم الذين وضعوا الأساس لسايبين، ومهدوا الطريق للساالكين، فوالله لو أن أحدا ألق مثل أحد ذهب ما بلغ مد أحدهم ولا نصيبه، غير أن فصل لسابق لا يجمع أجر اللاحق، «وَمَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُؤْتِي خَيْرٌ» أما كيف تعالج النفوس لكي تجود وتسخر هذه التصحية المردوجة، فذلك ما تكلمت به السورة في امتداد سيرها.

القسم السابع  
نور من سورة الملك  
ومقاصد الدعوة الإسلامية

- ١- التعريف بالله وصفاته.
- ٢- الندب إلى خشيته والتحذير من عاقبة الكفر به.
- ٣- التعريف باليوم الآخر.
- ٤- التعريف بالله وآياته.
- ٥- تقرير اليوم الآخر.
- ٦- الخاتمة.





مطلو لأشياء إساده إلى غير الله، تلك هي كلمة (تبارك) فهي كلمة تخرج عن موصوفها بأنه دائم تراددت عظمته، وتسمى كنهه على وجه الاستمرار، بحيث كنه وصل الفكر إلى تصور درجة من العظمة، أدب عليها عظمه صاحبها، وكما ارتسم في الخيال نوع من الكمال، تسمى فوقه كمال موصوفها، فهو دأ لا نهائي العظمه والكمال، وليس ذلك إلا الله سبحانه

وأخذت السورة تفصل من صفات الله الحسنى ما يُعَدُّ في حقيقته وتفصيله برهاناً عن هذه العظمة وهذا الكمال استرايدتين اللانهايتين

الصفة الأولى صفة الانفراد بالملك الكامل والحكم الشامل، فهو وحده الذي بيده الملك، انقضض عن صولجان الحكم، الذي يدثر الأمر في السماوات والأرض، فلا يخرج شيء عن سلطانه، ولا يشذ شيء عن أمره وفهره

الصفة الثانية صفة الانفراد بشمول القدرة، وهي صفة معايرة للصفة الأولى، فتدبير الملك بما هو تصرف بالأمر والنهي في الوجود، ولا شأن له في أصل الوجود، وإنما تكون الألوهية العظمى لمن جمع إلى سلطان التصرف بالأمر في كل شيء سلطان التصرف بالخلق في كل شيء، وتلك هي الصفة التي أفادتها الآية الكريمة بقوله: ﴿وَمَوْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التك ١]، وهكذا تمت له الألوهية بصفتيها ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَنسُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الاعراف ٥٢].

ولما كانت الصفة الثانية وهي صفة القدرة تتجلى آثارها في عالمين: عالم الإنسان، وعالم الطبيعة، وهما المشار إليهما في القرآن الكريم بعالم الأنفس، وعالم الأماق، أهدت الآيات التالية تعرض علينا مثلاً من تلك الآثار في كل المجالين، وبدأت بما هو أحصى بالعناية والتقديم في هذا الموصوع، وهو عالم الأنفس؛ لأنه يتجلى فيه صفة نائمة من صفات الألوهية الحقّة تكمل الصفتين السابقتين ها، فإن الألوهية الحقّة ليس سلطاناً شاملاً واقتداراً محيطاً فحسب؛ ولكنها فوق ذلك صلة



من العبدية والرعاية، والمحاسبة والمسؤولية بين العابد والمعبود، فلا بد أن يكون من مظاهر سيطرتها واقتدارها مظهر خاص بالإنسان الذي هو هدف الخطاب ومناط التكليف، مظهر يدل على اتجاه معبوده إليه، واهتمامه بشأه وشعوره بعبادته، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَقَدْ شَرَكُواهُمْ نَاكَمُ إِيمَانًا مَعْدُودٌ ۝ فَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا يَتَسَاءَلُونَ عَنْ عِبَادِكُمْ لِمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ (يوس ٢٨، ٢٩)، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ مَوْلَ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْوَالَهُ بِأَكْمُ مَكَاوُجُودٌ ۚ فَلَوْ شِئْتَ ۚ﴾ [١١، ٢٠]، فانظر كيف نقرأ لمعبود من عبادته أنه يشعر بعدة هذا العابد، ولم يكن بينهما موالاة ونحوه؟<sup>١</sup> قد هذا كله عن أن الألوهية الحق لا بد لها من عنصر ثالث وراء سلطان القدر والحكم، وهو عنصر الصلة الشعورية المتبادلة بينهما وبين عابدها، هذا العنصر لثالث الذي أبررته الآية الثانية: ﴿أَلَيْسَ مِنَ الْبُوءِ وَالْغُيُوبِ لَكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَاءٌ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝﴾ [الحق ٢].

ويقول إن هذا المقنن الشامل القدرة ليس كل شأنه أن يصنع الأعاجيب مطلقاً على نفسه في ملكوته الأعلى، وليس كل مقصد، أن يعرض هذه الصفة مجرد إشارة لإعجاب بمهارته، ولكنه يتوجه إلى الإنسان نفسه فيحدث فيه آثاره ويجدّد وعده وإيمانه وإحياءه قاصداً من ذلك إلى غاية معينة، وهي إيقاظ وعي الإنسان ولفت نظره إلى مصدر هذه الآثار التي يحس بها في نفسه ليتبين: هل يفعل الإنسان معرى هذه الصفة ويبرّر ما يعطوي فيها من خطاب وإشارة؟ فهو يتوجه إليه يرى من توجه إليه، ويلفتنا تصرفاته في شئوننا ليطر هل يقبل عليه وهل يسارع إلى تلبية ندائه، ويقف عند حدود أمره ونهيه، ثم ليحاربا بعد ذلك على وفق أعمالنا فهذه الآية الثانية تشتمل إذن على ثلاث نقاط

١ - العمل الذي قصد به الاختبار ﴿خَلَقَ الْبُوءَ وَالْغُيُوبَ﴾ [الملك: ٢].

٢ - مادة الاختبار ﴿يَبْلُوكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مَكْرًا﴾ [الملك: ٢].

٣ - عاقبة الاختبار ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ١].

فأما لفعل الذي قصد به الاحتار فهو حثُّ طاهرين الموت والحياة وتعاقبهما على الإنسان، حيث أنه لو كان هناك موت محدد بلا حياة، لم يكن نحن أهلاً للاحتبار، ولو كانت هناك حياة جالدة بلا موت، لكان استمرارها هكذا على نمط واحد معوقاً عن تنوع المشاعر إلى ما يترددها من الاحتار، وإنما يسقط الوعي بهذا تنعاقب بين الطاهرتين، كما تنعاقب السائلة إلى محاصر الطريق ومطلبه، تنعاقب الور والطلام وإشارات الصوء المحتملة أمام أعينهم

ومعلوم أن هاتين الطاهرتين تتعاقبان على كل إنسان مرتين حسبما عبر عنه قوله - تعالى - في سورة النقرة ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُنْجِيكُمْ﴾ (سورة النقرة ٢٨)، فالإشارة في الآية هنا إلى الدورة الأولى من هاتين الدورتين، والإشارة إلى الدورة الثانية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي دَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

(المؤمنون ١٧٩).

وأما مادة الاحتار فهي: التماس في ميدان العمل لينين أي أحسن احتياراً من هيج السلوك وأشدُّ التزاماً للحدود، وأخصُّ قصداً من شوائب الهوى والغرض، وأب أكثر نفعاً خلق الله، وأشدُّ رفقا بهم ورحمة لهم، وأب قل دلت كنه أقوى معرفة بالله وأشدُّ حباً له، وأدقُّ قصة لأسرار صممه، واستبطاً لروايس شسبه، فالعمل في الآية مأخوذ كما ترى بأوسع معانيه؛ يتناول عمل الفكر والقلب والحوارج، ويتناول السلوك الفردي والجماعي، ويتناول المجال الإنساني والرواني، فذلك هي رسالة الإنسان في هذه الحياة، وذلك هو النظام الذي صممه قانون التكليف

وقد سمي الله لتكليفه اتلاء واحتياراً، وحقاً إنه اتلاء واحتيار، ولكنه ليس ككل احتيار؛ فشان المحير أن ينتظر نتيجة الاحتار ليعرف هو منها ما لم يكن يعرف، ولكن المحتار هذا ينتظر نتيجة الاحتار لا ليعرفها بنفسه، فهو بها أعلم ﴿لَا يَغْنَمُ مِنْ خَلْقٍ﴾ (النساء ١١٤) ﴿هُوَ الَّذِي يَكْرِزُ أَنَّكَ تَرَى الْأَلَمِيَّ وَإِنَّهُ أَيْمَةٌ فِي تَطْوِيرِ

أُمِّكُمْ» . سج ٣٢ ، ولكن ليعرفها الشاهد والمشهد ، ولكلا يكون للناس على الله حجة بعد لرسول ، فهو لفاضي العدل الذي لا يحكم بغيره قبل ظهور معلومه

وأما عاقبة الاختار فهي المحاسبة والمجازاة على وفق العمل ، فيكون من ادس من إذا سمع داعي الله تصم عن دعوته ، ونفر منها وصد عنها ، ومنهم من يستجيب لها ويقبل عليها ويتخسبها ، فأما من أدبر واستكبر فإحده الله باسمه (العرير المقدر) لذي لا يمنع شيء عن قدرته ، وأما من أقبل وأبانت فيجلى الله عليه باسمه (العفور) عاقر الدسب وقابل التوب .

وهنا ختمت الآية الثانية بعد أن عرست على آثار قدرة الله وعنايته في عالم الإنسان ، فتحيء الأبواب التالية لتصعدنا إلى لأفاق العلى ، فتطبع على ما فيها أيضًا من آيات ودلائل .

فهي الآيتين الثالثة والرابعة بوجه انقرآن نظرنا إلى مظاهر الخلال في خلق ذلك العالم العلوي خلقًا محكمًا لا حلال فيه ولا تنافر بين أحرامه وكثرة طبقاته وتعدد مراتبه ، وفي الآية الخامسة بوجه نظرنا إلى ما فيه من جمال وبهاء هو زينة وبهجة بظن طرين ، وإلى ما فيه مع ذلك من نُذر ووسائل انتقام من المكذبين .

أما مظاهر القدرة والإحكام ، فقد تحدى القرآن فيها أشد لتحدي كل من يحاول أن يجد فيها معمرًا من العيب أو الشذوذ ، ونحن إذا نظرنا في خلق سماء وحادثة ترتفع مسقة بغير أعمدة ، نجد فيها قدرة باهرة حقًا فإذا نظرنا في خلق سماء ثانية لا ترتفع عن الأرض ولا على السماء الأولى ، ونفى مع ذلك محمودة في مستواها عن مد العصور والدهور لا ترتفع ولا تنخفض ، ولا يعيل جانب منها عن جانب ،

(١) ليس من ريب في أن عمل العاملين سيكون من حسن وأحسن وسيئ وأسوأ ، ولكن الآية الحكمة صرحت صراحة عن المراتب الدس ، وحملت الهدف الذي يتفهم به لعافون هو أفضل الأعمال وأحسنها سامية إلى مثل الأعلى في السلوك

نجد فيها لا شك قدرة أعظم وأعظم، فكيف نحصى أعداد كثرة من هذه السماوات، وجفت كل واحدة منها في طمسها على ما عُد ما يسهر وعدم ارتكارهن عن شيء إلا عن قدرة الرحمن ١١٩ لا شك أنه الإعجاز في القدرة والإحكام جميعاً.

وقد سَمَّى الله هذه لأعداد الكثيرة (سبع سماوات) حرياً على الأسلوب العربي في التعبير بالسبع والسعين والسبعين عن الكثرة الطيبة في الأحاد والعشرات والمئين، على أنه لو كان المراد بالسبع هذا العدد المعلوم، فليس في ذكره تحديد، ولا بهيبت تحديد، وإبى احتير هذا العدد بالدات لأنه هو الذي يتم فيه التحدي العالمي؛ إذ هو هو انقدر الذي تدركه لأبصار في كل عصر بالعين المجردة، والذي يمكن كل نظر الثابت منه بمراقبة الكواكب، وهي بحجب بعضها بعضاً، فيعرف بذلك عدد طبقاتها السبع، ذلك أن هداية القرآن لا تحصى فئة من الناس دون فئة؛ بل هي رسالة عالمية تتحدى العالم وأحاهل على السواء، ولا يتوقف تحديها على وجود أدوات ووسائل علمية خاصة برمان دون رمان، ولعله من أجل هذا المعنى نفسه جاء لفظ (السماوات) في القرآن مجملًا لم يحدد مادتها ولا لونها ولا أبعادها. فهل هي طبقات من الفضاء أم من الأثير أم من الموح أم من مادة أخرى غير ذلك كله؟ هل هي دات هذا اللون الأزرق الهاري، أم دات اللون الأزرق الليلي؟ إن واحداً من هذه المعاني لا يمكن أن يتحدى مصدقه كل العقول في كل العصور، ولكن الذي يتحدى به الجميع هو هذا المعنى الجامع الخالد، وهو أن هناك طبقات تعلو بنا ونظلمنا، وهذا هو معنى لفظ (السما) الذي اقتصر عليه القرآن. وكان اقتضائه عليه معجزة علمية عابدة دلت على سماوته والوهية مصدره؛ إذ لو كان من صنع بشر لاصطبغ بصبغة العقلية البشرية في عصر من عصورها؛ تلك العقلية التي نرى آثارها عند كل الأمم وفي كل اللغات حين نتحدث عن ورقة السماء، وعن سائر صفاتها مستمدة في غالب الأمر على خطأ الحس أو سوء الخيال.

قدما إن الآيتين الثالثة والرابعة وجهتا جل عابتهما إلى مظاهر لقدرة الباهرة في



بحكم الصعقة السماوية، وإسماها تتحديان كل من يحاول أن يجد حداً في هذه الصعقة، ويقول الآن إسما بصفت هذا التحدي أربع مرات.

١- بتقرير هذه الحقيقة في نفسها: ﴿ثَانِي فِي حَتَّى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعَوُّبٍ﴾ [سك ٣]

٢- بدعوة لساظر إلى تجربة ذلك بنفسه: ﴿ثَلَاثُ الْمَرْكَزِي مِنْ قُطُوبٍ﴾ [الملك ٣]

٣- بمطالبتة تكرير هذه التجربة مرة بعد مرة ﴿ثُمَّ أَرْجِعِ الْمَرْكَزِي﴾ [سك ٤]

٤- بتقرير النتيجة المحتومة التي تستمر عنها هذه التجارب، وهي بكمال والإعلاء والسأس من الظفر في هذه انصعقة شيء من العيب ﴿ثُمَّ أَرْجِعِ الْمَرْكَزِي يَنْفَتِ إِلَيْكَ الْمَرْكَزِي وَهُوَ خَيْرٌ﴾ [الملك ١١].

فلنظفر في هذه الوحوه الأربعة: أما دقة هذه الصنعة وبراءتها من العيب، فإن العيب في صنعة البناء عيباً في شكل البيان يحل بالتشاكل والساسب بين جوابه، وإن كان كل جانب منهما سدياً محكمًا في حد نفسه، وهذا هو (التعاقب) وعيب في جوهر البيان يخرجه عن قانون الصعقة، ويشذ به عن مس الحكمة، ويجعله عرضة للتمكك والانهيار، وهذا هو (التعوت)، وقد جاءت الآية بمجموع قراءتها منزهة لصنعة السماء عن كلا النوعين.

عل أنها لم تكتب بإعلاناتها حقيقة جرتية معزلة، بل أدرجتها في قاعدة كلية تصح برهاناً على تلك الجزئية، وهي أن هذه السلامة من التعاقب والبراءة من التعوت شأن صفة الله كلها في الأسمى وفي الآفاق، ولقد أشارت الجملة في الوقت نفسه إلى أن الله - جلّت حكمته - لو شاء لخلقها متعاقبة متعاقبة أو متعاقبة متعاقبة؛ إذ لو لا هذا الإبداع والإتقان في الصعقة، ما كان فيها عبرة لمعتبر، ولا ذكرى لمذكّر، بل ربما اختل به نظام العلم ولم يصلح معه للقاء، ومن هنا وضع اسم (الرحمن) في الآية في موضع لفظ الجلالة وغيره.

وأتم دعوه الباطن إلى تجربه هذه الحقيقة نفسه، فقد سلك القرآن فيه مسلكاً عجيباً من التحدي إذ لم يدعه إلى الباطن الإلهي في هندسة السماء والبحث فيها عن شيء من عدم النسب كأن هذه الساحة قد فرغ منها، ولم يدعه إلى التماس حجرات أو ثغرات كبيرة بين أجزاء السماء، إذ كان من العيب محاولة ذلك؛ وإيها دعاه إلى ليس أقل ما أحد وإلى البحث عن شيء «من فطور» من شقوق وحدوش

فهيئات أن يجد إلا تماسكاً والتحاماً، وصلاً واحداً، ولما كانت هذه النظرة السائدة ليست هي الطرة الأولى الساذجة التي تقع عمواً من عامة الناس، ضرب المذكر صمغاً عن هذه لطرة الأولى ودعاه إلى الطرة الثانية، قائلاً: «فَنَرْجِعُ النَّصْرَ» [ص ٣] ذلك أن الطرة العلمية الفاحصة هي دائماً نظرة ثابتة، وقد ترقى القرآن في هذا التحدي مرة ثالثة، فطالب هذا الباحث المتخصص أن يكرر التجربة مرة بعد مرة، وكرة بعد كرة، إنها أوصية ذهبية لعلماء التجارب ألا يقسطوا في إثبات نظريتهم بمثال أو بصفة أمثلة، وأن يدلوا بأقصى جهدهم في التثبت والاستقصاء طلباً لليقين وشعاعاً لبعض من كل ريبة، وهنا تم تقرير الدعوى وعرض وسائل إثباتها، فلم يبق إلا إعلان النتيجة التي تفصي إليها هذه الوسائل، وهي رجوع البصر بعد طول تلمسه لعبع محرومة من مطلبه، حاسماً صاعراً ومطروذاً عن هذا الحرم الأقدس «وَهُوَ خَيْرٌ» قليل مجهود.

وهكذا كانت الآيات الثلاثة والرابعة ممرحاً لمحادثة الصعقة في العالم العلوي، صوّرت ما فيه من اتساع وارتفاع وإحكام وتناسب أوصاع، وتحدث تحدياً مكرراً كل من يحاول أن يجد تمازجاً في أوصاعه، أو صمغاً في بنيانه، أو ثغرة يسيرة من أجزائه، وكان هذا حديثاً عن هيكل البيان نفسه وما له من محاماة وجلال، فتجيء الآية الخدمية لتحدث عما أودع في هذا البيان من نجوم وكواكب، وتوابع لم تخلق لداتها، ولكنها خلقت للحكم وعنايات تتصل بها، وقد بيست الآية من هذه الحكم ثلاثاً فهي:

١- ربة

٢- هداية ونعمة.

٣- بلاء ونقمة.

فأول ما يلعت لناظر إلى سمائنا الدنيا هو تجمع ما في السموات كلها من  
سدرات وثوبت واتسامها على صفحة هذه السماء في نقش نوراني يدعج بهج يسر  
لناظر، ويريح لناظر، ويرضي حاسة الحما، ولكنها لم تخلق لحرد هذه لمعة؛ بل  
إن لها وراء ذلك فائدة ومفعة، فإنها فصلاً عن كوكب ربة فهي مصاييح حسية  
ومعوية، حسية يهدي بها الساري في ظلمات البر والبحر، ومعوية؛ يسترشد بها  
الحائر إلى معرفة صانعها ومبدعها، لكن هل كل الناس يتمتعون بهذه الدلالة؟ كلا  
فأكثر الناس لا يعرفون عن الكواكب إلا زيتتها ومنفعتنا لمادية، ولا يصعدون  
بفهمهم إلى هذه المعاني الروحية ﴿وَكَايْنِ مِنْ ءَايَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمَزُونٍ عَلَيْهَا وَهُمْ  
عَمَّا مُفْرَضُونَ﴾ [يوسف ١٠٥]، فلئن كانت الربة السماوية نعمة في حق المؤمنين، فهي  
نقمة بـنقياس إلى هؤلاء المعاندين المتمردين كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا رُجُومًا لِّلْمُطَّيِّبِينَ﴾  
[سج ٥] رجوماً حسية ومعوية؛ رجوماً حسية؛ بما يجرح منها، أو من حوها من  
الشهب لشفة، ورجوماً معوية يطردهم النطر فيها عن نور الله وهدايته، كما أن  
القرآن ﴿بَشَارًا لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفْئِدَةً تَبْغِي وَلا يَرْضَىٰ لِقَابًا يُكَفِّرُ﴾ [الأنعام ٨٢]

﴿هُوَ يَتْلِي صُدُورِ الْأَمْوَانِ هُذًى وَشَمَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَابِهِمْ وَقَرُّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَنِّي﴾

[ص ١٤]

﴿وَلِيَرْبِطَنَّكُمْ كَثْرَتُهُمْ مَا أَرْزَلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَلِقًا وَكُفْرًا﴾ [النساء ٦٤]، ثم هذه النقمة العاجلة

تبعها نقمة آجلة ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ الشَّعِيرِ﴾ [النس ١٥] عذاب النار المستعرة  
المتأحقة.

المقصد الثاني: التصريف باليوم الآخر (١٧ ٦)

هكذا، رأيت مجرى الحدث يتحول رويداً من المقصد الأول إلى المقصد الثاني،

فينقلنا من التعريف بالله وصنائه إلى التحوف من عاقبة الكفر به والترعب في حشيته والخشوع لعظمته

﴿وسيد حكامهم عدل جهنم﴾ [المث ٤٦]، إلى قوله ﴿وإن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ [ممت ١٢] يقول الله تعالى: إن عدالته الإلهية قد هيأت للكفار لوتيق من العذاب، عدائاً حساناً، وعدائاً مصائباً ترى في صدر هذه الآيات تصويراً مروعاً لدار العذاب الحسائي يصف شهيقها وعذابها وخطراتها، وقد جاء ذكر (الشهيق) هنا في سورة الفرقان (الرقيب) وجاء في سورة الأنبياء (ذكر رقيب أهلها)، وفي سورة هود (رقيبهم وشهيقهم معاً).

ومن أمثل مواقع هذه الأوصاف المختلفة سائر له وجه اختلافها، فالشهيقة حركة النفس أخذاً واحتدائاً، والرقيب حركة النفس طرداً ودفعاً، والذي يحسه النفس على النار عن بعد إما هو رقيبها وقذفها بالحرارة واللهب، وهذا هو الذي ورد في سورة الفرقان ﴿وإنهم يراهم فيها وهم لا يسمعون﴾ (الفرقان ١٢)، فإذا اقترب منها ودخل بابها كان أعظم إحساسه بحركة احتدائها وانتلاعها كما في هذه السورة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا شَهِقُوا فِي نَارٍ﴾ [النك ١٧] فإذا استقر به المقام فيها، كان تصوير حاله في تعذيبه أهم من تصوير النار نفسها، وهناك يجتمع له كلا الأمرين، غير أن الرقيب أسبق وأوضح تعبيراً عن الألم ولذلك أورد في سورة الأنبياء ﴿لَهُمْ فِيهَا رَاقِبٌ﴾ (الأنبياء ١٠٦)، وقدم في سورة هود ﴿لَهُ فِيهَا رَاقِبٌ وَشَهِيقٌ﴾ (هود ١٠٦).

ويرجع بن الوصف الذي تناولته الآية هنا، وهو وصف النار حين تحمى عليهم في تدحرج حين يلقي بها أهلها لتبين مراتب التصاعدية في التعذيب والإبلام، فقد سأل لسانك عن حال النار ودخول أهلها فيها أيدخلون وهي بعد فائرة في مدا إيقادها ثم تحمى عليهم بعد ذلك شيئاً فشيئاً؟ قال الله تعالى: (كلا) بل يدخلونها وهي (تقور)، وقد اكتمل حرها وارتداد حنى ناصب، فهي تعلي غلي القدور.



ثم ترقى الآية الثالثة في وصف ما في النار من حرارة حارقة، فصور إن ما  
كمن من هذه العذبة أقوى مما يترى منها في عليها ومورسها، وبه لا يزال يحترق منها  
مقدير هائلة تؤدب مصحارها، ولذلك (تكاد غير) تكاد تمرق وتسقط وبها كان  
هذا التمرق والانعقاد نفس من حرها وبه من أمرها، تبعته الآية في يد عن  
أنه ليس ندد وماء ورواؤ؟ بل هو انطلاق مشر موحه إلى مرسنة يراد الانتقام  
منها، وأن إرادة هذا الانتقام ليست صادرة من رب النار وحده، بل حتى هذه النار  
نفسها لم تغد أداة مجردة؛ بل أصبحت ذات حركة استعائية امرسية كأها قد ملئت  
هي أيضا عصب على أعداء الله حتى لتكاد تنفجر منهم من العبد<sup>١١</sup>

هنا تم تصوير روعة العذاب الحسابي، فيتفل الحديث إلى وصف ألم العذاب  
الحسابي في صورة محاورة بين حرية النار وبين أصحاب النار، طهرها محاورة  
التلطف والمواساة من السائلين، وحقيقتها التفرغ المز والتأيب اللادع ولتحسير  
ولتنديم ﴿كُلُّهُ أَتَىٰ فِيهَا فَوْخٌ سَأْتِهِمْ خِرَابُهُمْ﴾ ألم يأتكم نذير ﴿سج ١٨﴾ يشكم بهذا  
المصير، فإن لم يكن قد جاءكم نذير كان هذا معدرة نكم وحجة يقدمها أمام الله في  
اندفاع عكم، وه لا يسع المكذمين إلا الاعتراف بالواقع ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ نَذِيرٌ  
فَكَذَّبْتَ﴾ [سج ١٩] أسرفنا في التكذيب، وقلنا ما برل الله من شيء (لا عليكم ولا  
عليك) إن أنتم (ما أنتم أيها النذر) (إلا في صلال كبير)

على أن هذا الاعتراف بمحيي النذر لهم، وتكديهم إياهم لم يكن كاميا في إلقاء  
التبعة عليهم، فقد يكون هذا دس الرسل؛ لأهم لم يجئوا بآية بيعة، وقد يكون دس  
لفطرة إن كانوا قد فطروا غير مرودين بوسائل الطر والاعتبار، وقد يكون دس  
القدر الإلهي نفسه إن كان قد ألحاهم إلحاء غير اختيار منهم، فكان لا بد في تحميم  
الاعتراف من إعلان أن هذا التكذيب تقع مسؤوليته عليهم أنفسهم لا على القدر،  
ولا على الرسل، ولا على الفطرة التي فطروا عليها؛ ولذلك جاءت الآية اللاحقة  
مبرزة لهذا العنصر من الاعتراف بالخرية. قالوا لقد جعل لنا الله أسماعا لنستمع



ومن هنا يبدأ الشوط لثاني مرحلته أيضًا على الترتيب السابق، فهي لاثني عشرة آية لتلك [١٣ - ٢٤] التعريف بالله وإبانه، وفي الآيات الخمس بعدها [٢٥ - ٢٩] إنذار باليوم الآخر.

### المقصد الأول: التعريف بالله وآياته [١٣ - ٢٤].

كان الحديث عن الله في الشطر الأول من السورة تعريفًا شموليًا منكم، وإحاطة قدرته، وعظم عديته، واحتير مظهر هذه الصفات العالمان: لإبني والسموي، وهذا الشطر الذي سحّار من مظاهر صفاته العالمان: الإنساني والأرضي، وهكذا تحيط السورة من طرفيها بآيات الله في الأرض والأفق عنيها وسملها، فسطر هل ترى أحسن من هذا التبدل والعدول بين الحاحين؟! ثم ارجع البصر كرة أخرى لنظر بقطة التحول من المقصد الثاني في الشطر الأول إلى هذا المقصد الأول في الشطر الثاني؛ فقد كانت نهاية الحديث في الشطر الأول من الأجرية لأحرورية على الدين لا يؤمنون بالأحرية إلا عند معاينتها، ودعوة إلى مخالفتهم بالنصر في العواقب وحشية الله بالعيب، ولكن هذه الدعوة إلى الخوف من لعائن لا تستقيم في مجاري العادات، فكان لا بد من تكميلها ببيان أن هذا الذي يدعوك لخشيته وإن كنت أنت عائنًا عنه، فإنه هو ليس عائنًا عنك «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ» «وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ».

وهكذا كان موقع الحملة الختامية من الشطر الأول موقع قولك: (اعبد الله وأنت لا تراه) وموقع هذه الحملة الافتتاحية في هذا الشطر الثاني موقع قولك: (إن لم تكن تراه فإنه يراك) وهكذا أصاب الشطر الثاني بيانًا لصفة جديدة من الصفات الحسنى، فوق صفات الملك، والقدرة التي فصلها الشطر الأول، تلك هي صفة العلم والمراقبة الإلهية لشتون الإنسان، ولا يخفى ما فيها من تسميم وحسن مقابلة لمعاني الابتلاء والحراء التي صدر بها السورة آية (٢) ولم تكتب الآية الحكيمة بإثبات شهود الحق ورؤيته لأعمالنا الطاهرة وأحوالنا العلوية، بل هررت إحاطته جل شأنه

محرمًا وسريًا وبها يصوي عنه سرًّا، وهو سبحانه يستوي عنه السر والعلني ﴿سورة معكم من سر أعوان ومن جهر به﴾ [١- مد ١١]، بل تسوي عنه حركة البدن وحركات الحياء، بل ما سم عنه الدلائل ونعوم عبه الأمارات والشواهد وما تطوي عبه الصدور بطواء محكمًا مؤيدًا بحيث لا تدل عبه عبارة ولا إشارة

وقد جعلت الآية هذه امرته من العلم دليلاً على ما دوى، ذلك أن من كان عنه هذه الدرجة من السراء، كان أولى بأن يعلم كل ما في الطواهر سرها وعلايتها، وهكذا وقع قوله ﴿بئس علم بذات الصُّدُور﴾ [سك ١٣] موقع الرهان لما قلناه، عبر أن هذا الرهان نفسه في حاجة إلى برهان؛ إذ من أين لنا أنه يعلم ما في الصدور؟ فجاءت الآية بعدها لتوق هذا الرهان ﴿ألا يعلم من خلق﴾ [سك ٤] أي يكون هو الخالق للإنسان حسياً وعقلاً مادةً وروحاً ثم لا يحيط بصفته حقاً؟ كيف وهو ﴿الغيب الخبير﴾ أم الخبرة فهي العلم بدقائق الأمور وحجباها، وأما اللطف فله في الدعة معاني مختلفة

أحدها لدنو والقرب، وهذا هو أنس المعاني لسوق الرهان؛ إذ يجعل الوصف به توطئة للوصف بما يليه، فيكون المعنى: كيف لا يعلم بنا وهو أقرب إلينا من حل الوريد؟! فإن من كانت هذه سرته في القرب منا، كان خبيراً بنا حد خبير.

المعنى الثاني من معاني اللطف: لدقة والشفافية وإخفاء عن الأنظار، فإذا أحد هذا المعنى كان الوقف تاماً عن قوله ﴿ألا يعلم من خلق﴾ [سك ١١]، ويكون قوله ﴿وهو الغيب الخبير﴾ [سك ١٤] جملة مستقلة هي فذلكه جامعة للوصفين اللذين تشاوهما الآيات الثلاث. فقوله ﴿الغيب الخبير﴾ ناظر إلى قوله ﴿بالغيب﴾، وقوله ﴿الخبير﴾ ناظر إلى قوله ﴿بئس علم بذات الصُّدُور﴾ [سك ١٣]، وهو نظير ما في سورة الأنعام ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو الغيب الخبير﴾ [الأنعام ١٠٣]، فالغيب راجع إلى أنه ﴿لا تدركه الأبصار﴾، والخبير راجع إلى أنه ﴿وهو يدرك

لأنصر<sup>٢١</sup>، وأعدم أن اللطف على كلا المعنى صفة من صفات الذات

المعنى الثالث: التنطف في تدبير الأمور وإيصالها إلى عاينها سرًا في رفق ويسر، وانطف بهذا المعنى صفة من صفات الأفعال، فإذا حملت عليه لعبارة القرآنية هي كانت جملة ﴿وَهُوَ لَنُصِيفُ الْخَبِيرُ﴾، جملة متصلة أيضًا ولكنها غير ناطقة إلى الصفات لساقطة؛ بل تكون معربة عن صفة جديدة محتاجة بدورها إلى برهان، وتكون الآيات التالية تفصيلًا لهذا البرهان.

الآيات من [١٥-٢٤].

وفي هذه الآيات الكريمة يمشي الله علينا بمظاهر لطفه وعنايته وتديره في أمست وفي الأكوان القريبة ما من تحتنا ومن فوقنا، من تحتنا ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ دَلُولًا﴾ [الملك ١٥]، ومن فوقنا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْفُتُورِ هُمْ أَتَمُّنَ﴾ [الملك ١٦]، وفي أنفسنا ﴿ثُمَّ هُوَ الَّذِي أَنشَأَ رَحَلَ لَكَ الْأَشْجَارَ وَأَلْأَنَ الْأَوْدُنَ﴾ [الملك ٢٢].

يمشي الله علينا في آيات الثلاث الأولى هو الذي جعل لنا الأرض دلولاً مسخرة منقادة سهلة الانقياد، أو هي السهولة في الانقياد، وتنحل لنا من وجوه كثيرة:

أولاً من حيث طواعيتها تنصرفات الإنسان حفرًا وبناءً، وتمجيرًا لأنهارها، وتنقيًا في حوضها، وعوصًا في بحارها، واستعلاء على قممها، واستشراقًا لبريقها، وصهرًا لمعادنها، وتحليلًا وتركيبًا واستخراجًا لوجوه المافع المختلفة فيها

ثانيًا في وضعها إحمالًا واستقرارها في حيرها من العالم بحيث لا تتكأ ولا تصطرب، فيست كالمرس الخموح معلو وتهبط، أو تتقدم وتتأخر، أو تأخذ ذات اليمين وذات الشمال في عصف وفي غير نظام؛ بل هي كالمظية اندلول لا يشعر راكبها سبورها.

نشأ من حيث حوَّها وملاءمته لطبيعتها وحلولها من الآفات والتقلبات  
المحاكاة بـ، وهذه الوحوه الثلاثة تربيها هكذا يرى لتيه عليها في الآيات  
الحكيمة، فهو تعالى ﴿فَمَنْ فِي مَكْنٍ وَكَلَّوْا مِنْ رَزَقِهِ﴾ [الملك ١٥]؛ تسيه عن  
ابوحه لأول، فهي المني في مكنها إشارة إلى وحوه الاستيلاء والاستعلاء عليها  
والممكن من التصرف فيها، فإنه إذا كانت مكنات الأرض -وهي جزء منها- وقسم  
حيث قد دُنت صعود الإنسان عليها ومشه فيها، كانت سهوها ونطون وديها  
أولى بالتسخير والتدليل، وفي الأكل من رزقها إشارة إلى وحوه الاستشهارها  
والانتفاع منها، وعني عن السان ما في هذا كله من دعوة إلى بذل الجهد في استعمار  
الأرض، وبد العجز والفقود عن العمل، وتلك مقبرة للإسلام ولكتاب الإسلام  
تبين منها مدى بُعد أهل الإسلام عن مدته في هذا الحرمان، ولا يموت أن لله إلى  
المعري الروحي في اعدول عن ضمير المؤث إلى ضمير المذكر في قوله: ﴿وَكَلَّوْا مِنْ  
رَزَقِهِ﴾ [الملك د] أي من رزق الله، وهو الإشارة إلى أن الأرض بطبيعتها أعجز من  
أن تخلق أو ترقى، وأن الإنسان بكذبه وكدحه وحده لا نصيب نه من الرزق إن  
أخطأه توفيق الله وقد راد هذا المعنى وصوحًا في قوله ﴿زَايِهَ أَشْفُونُ﴾ يقال:  
شرت الأرض شورا إذا أصاب الربيع فحيت وأبتت، فمن بحرث وبيدر، ولكن  
الله -تعالى- هو الذي يهيئ الأرض ويخرج منها سائها، فإليه وحده يرجع الفصل في  
شور الأرض وحياته وإسائها ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [البقرة ١٦٨] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْأَرْضَ قَاذًا هِيَ تَمْوَرُ﴾ [الملك

[الواقعة ٦٣، ٦٤].

وقوله تعالى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْأَرْضَ قَاذًا هِيَ تَمْوَرُ﴾ [الملك  
١٦]، تسيه على الوحه الثاني من وحوه التدليل، وهو جعلها كالمطبة الدلول التي لا  
تجمع براكها، كأنه يقول إن وجود الأرض في هذا المستوى المعين من الكون إسها  
هو ثمرة من ثمرات لطف الله وعمايه، وأنه لو شاء لحسف لأرض -أي لجعلها  
ترب- فمن فيها إلى أسهل، فنزول عن مستقرها، وإذا لتجددتها لكواكب والأفلاك،



وحمل نوارسها وراى تماسكها وجعلت (ثمر) أي غموح وتضطرب اضطراباً يهلك من عليها.

وتعبر عن رب العرش العظيم بكلمة (من في السماء) تعبر بملأ القلوب روعة ورهبة، ولا يحظر بيل مسلم كلمة (في لسماء) تحديد المكان أو تصوير لطرف ومطروف؛ فإن رب العرش كما وضعه القرآن لا يحده زمان ولا مكان، فهو الأول والأخر والظاهر والباطن، وسع كرسيه السماوات والأرض، الأرض جميعاً قبضته، والسماوات مسخرات يمينه.

وكل دلائل العنق والقل تدفع هذه الصورة المحدودة، وترشد إلى أن هذا لتعبر إنها هو تعريض بالتصورات الخاطئة التي كانت عليها الوثنية الجاهلية، وتوجيه لبصائر إلى معنى العظمة والعلو اللاتقيين بجلال الله تعالى، ونريه له سبحانه عن معنى الدنو والتسمل الذي للمعصودات الأخرى.

وقوله تعالى ﴿أَمْ أَمِئْتُمْ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك ١٧] تنبيه على الوجه الثالث من وجوه تدليل الأرض، وهو جعل الجو المحيط بها صالحاً لدميش عليها في استقرار وصمائية، ولو شاء الله لأحاطها بجو من العواصف والأنواء يجمع التقب عليها، ويجعل السائر فيها لا يربح يلاقي في كل خطوة حاصباً من السحاب تقدهه فقطع الشلح والرد، أو حاصباً من الروح يقدهه بالرمال والحصاء، فما أن يهلكه رحاً، وإما أن يردده عن قصده، ويقعده عن السعي في معاشه ويلجئه إلى مأوى بأوي إبيه حتى يأتيه الموت صبراً، ونش كان حسف الأرض وإرسال الحاصب من لسحب أو الريح لم يقع حتى اليوم في كوكب الأرض جهة واحدة، لقد وقعت منه أمثلة جريئة في مواضع متفرقة من الأرض، وكان منه ما هو عقوبة على الكفر، فأى صمد لنكاهرين والباعين أن نحل بهم أمثالها انتقاماً؟ بل أي ضمان للناس جميعاً أن نفع هم هذه الطواهر الانقلابية اسلاء لهم واحتشاراً؟ يوحى القرآن هذا السؤال

ونكرر هذا الأثر (مسم) (مسم) ثم لا ينصرف عنه جوائ، فاجواب معروف، لأن الكلدان في مسم به لا يشعرون بحصر، بل يسحرون بكل هذه النذر، وينتفحون الله تعالى هم إن كان لهم حظكم هذا المدير ﴿فستعلمون كيف ندير﴾ [سورة الأعراف] يوم نخدعون؛ عند الله مفادته دني أن إنذارني لم يكن بالنذر، ولكنه كان هو القدر. فعصا ثم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام درهم حتى تأتيهم سنة لأولين ويندين حاديهما سحر وسحر وأماها ﴿بعد كذب ندين من قسبهم فكيف كان حكيماً﴾ [سورة الأعراف] فقد كان إنذارني عنهم بيب ونصني بهم شديد.

هكذا كانت لايات أساقفة مردوخة المعري. كانت بيداً لدى نصف الله بالإنسان وتدلّل لأرض له بكلها، وعاصرها وجهها، ثم كانت بيداً لدى قدرته على طلب هذه النعمة إن شاء.

وفي الآية الثالثة يرى صورة مادية هذه الصورة المردوخة، لكن في عالم آخر غير عالم الإنسان؛ ذلك هو عالم الطير الذي سحر الله له الهواء كما سحر الأرض بسبي آدم، والذي لولا نطق الله ورحمته لخرّ ساقطاً على الأرض يقعون حاديتها، وثقل كتله في هذا الجو من الطيور السانحة على كتلة الهواء الذي يعصل بيبه وبسبها

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [سورة الأعراف] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [سورة الأعراف] ١٩، ولقد راد هذا الانتقال حسناً أن نهاية الحديث عن تدليل الأرض كان حديثاً عن طواهرها خونة، فكان أقرب الصور إلى ذهن السامع صورة ما في هذا الجو من الطيور السانحة في الهواء، ذلك إلى ما في هذا الحديث الجديد من تلويح إلى حادثة تاريخية كان انظر فيها أداة إهبة للانتقام من أعدائه أصحاب القيل بإرسال الخاصب عليهم من الطير الأناجيل، فكانت الآلة من هذا الوجه بمثابة لتطبيق على مصعون الإنذار بدي قلها مباشرة مع ما فيها من تذكير بقدرته وعابته في هذه الطاهرة



العجيبه طهره حفظ الطير على من الهواء في حال بسط جناحيها ومصلها ﴿صعب وبصر﴾ است ١٩ مع محالة ذلك للمس المعروفة في هذا الطق من لكون

فمن ذا الذي يمسك هذا الطير أن يقع على الأرض ١٩ بل من ذا الذي يمسكها أن تقع على الدس بأنواع الضر والأذى ١٩ إنه لا تمكها طفة هواء ولا حبه الإنسان، بل ﴿مَا يَتَكُونُ إِلَّا أَرْحَمُ﴾ [الملك: ١٩].

فبولا رحمة بها، فكان لنا ولها شأن غير هذا الشأن، لكن كيف يمسك هذا الطير ولو لم يكن يراها أيعلم مسراها وماواها؟ وكيف يرفق بالإنسان ويرزقه ويمنع عنه عوادي نزالزل والصواعق وعمرها لو لم يكن يراها ويعلم مسهره ومستودعه ١٩ بل ﴿يَعْنَمُ مَا يَبِخُ وَيُؤْتِي مَا يَخْرُجُ مِنْهُ وَمَا يَبْرُكُ مِنْ أَسْمَاءٍ وَمَا يَفْرُخُ مِنْهَا﴾ ما ٢ لا يد إد أن يكون مطلقاً على دقائق الملك والملكوت، بحيث يوحوه لأحكام والإتقان في كل الشئون، وحقاً ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ است ١٩: بصيرٌ بمصيب كل شيء وحاجته، بصيرٌ بمواطن علته وأفعه، بصيرٌ بوسائل حفظه وحديثه من بدايته إلى نهايته، وعلى الحملة بصيرٌ بالأسلوب الحكيم في كل صعه، فتارك لله رب العالمين!!

كانت الآيات الخمس السابقة تذكيراً لنا بعممة القرار والاستقرار في عالمنا لأرضي والجوي، ونبيها ل إلى أما مدينون بهذه النعم إلى فصل الله ورحمته بحب، وأن هذه النعم كلها معلقة في كفة القدر، معرضة في كل لحظة أن يمسكها ادي أرسلها، وأن يسلبها الذي مسحها، وفي الآيتين التاليتين تذكيراً باخل المصادفة هذه احوال، قالت ل الآيات السابقة: إن الذي أمذكم بهذه النعم قادرٌ على أن يسبها، وتقول الآيتان اللاحقتان: إن الذي أمذكم بنعمه لو سلبها منكم، فمن الذي يجلبها لكم ١٩ ﴿أَمْ مَنْ أَتَى مَوْجِدٌ لَكُمْ يَصْرُخُ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُوبٍ﴾ [الملك: ٢٠، ٢١]

ومن حمة الأوت السبع تنحصر لنا قاعده مردوحه، وهي أنه لا ضمان لبقاء النعم بوجوده، ولا ضمان لرجوع النعم المفقودة، حكمة بالغة من وضعها دائي نصب عنه مسر منه سور الإيمان بالله، واضمأت بعنه بالوكل عليه.

ولقد احتير هـ من أمثله النعم مثلاً من الخطوط الإنسانية الصبر والرق، وتركت لأمثله السابقة التي تناولت أصل الحق والتكوين؛ وذلك لأن أحدًا لا يحرق على سة حمر الأرض وهواء والطير إلى غير الله، فلم يكن هناك عجان لتحدي المشركين بعدتها لو غير الله أوصاعها وطائعتها، أم هذه الخطوط فقد كان الوثنيون ربما يسجدون بدعوى أنهم يصرون ويترقون بركة آهتهم، فنقل الحديث إلى هذا البساط الخديد إراحة للشبهة فيه، واحتير لتحدي به أسلوب معايير لأسلوب سابقه؛ إذ لو قيل هم من يصركم أو يررقكم أحد من دون الرحمن؟ لكان من المحتمل أن يقولوا نعم، فجاءت الحاجة لهم على وجه حاسم مفهم؛ إذ قيل هم: ذلونا على هذا الذي يرد لكم نعمة يسليها الله منكم، وسئو له، قولوا لك من هو؟ بشرط أن نحصرنا بحثكم في نطاق الذين هم من دون الرحمن؛ أي في مرحلة نازلة عن رتبة عظمتة وحلاله، ولا شئ أن كل من عدا الرحمن هو دون الرحمن.

فمضى عجزوا عن جواب يعيرون به ناصراً أو رارقاً لهم من دون الله، فقد اعترفوا بأنهم لا يجدون غير الله يكشف بأساً أراد الله، فإن أصرؤا بعد ذلك على شركهم، لم يكن ذلك امتداداً إلى حجة ﴿إِنَّا كُنَّا بِأُولَئِكَ عَوْدِينَ﴾ (المائدة ٢٠) ما هم إلا محدوعون بحيلالات وأوهام وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ولقد كان من حق هذا الإلزام والإلزام أن يمنع أعينهم على ما هم فيه من صلالة صارخة، وأن تقف خطواتهم قليلاً ليذكروا في حظورة طريقهم، فمهم يفعلو، ﴿بَلِّغُوا﴾ (النحل ٢١) فنادوا على كمرهم ﴿بَلِّغُوا﴾، في تكثر وتجرؤ ﴿وَنَقُوبُ﴾، إعراضاً عن الحق وشروداً عنه.

تري إلى أي صورة حسية تشير هذه الكلمات؟ إنها تشير إلى متعسف عبيد قد

ملأ الصعر قلبه حتى أغماء العصف، كالحب يعني وبصم، فجعله يحط يحط عشواء، ولا يلوي على شيء. وهذه الخطوط الأولى التي تنقي طلاها كلمات لدجاجة في لصور يتناوط السربل الحكيم، فيمسخها ويررها في صورة تمثل حال المعبدس، ثم تدر في مقابلتها صورة أخرى تمثل حال المؤمنين ﴿أفمن ينشئ مكيئاً على وجهه، نُفْذِيْ أَسْرَ ينشئ سوياً على صرط مُّنتَقِرٍ﴾ [سك ٢٢]، فقد مثل حال هذا السافر لعرص المستمر في هوره وإعراضه بحال الذي يمضي مكيئاً على وجهه دكت رأسه لا يبصر ما يصادفه في طريقه من نجاد أو وهاد، ولا يأس في كل لحظة أن يصطدم أو ينزدي وهو مع ذلك يستمر في مشيه ولا يتوقف، فهل يستوي هو ومن يمضي ﴿سوياً على صرط مُّنتَقِرٍ﴾ [سك ٢٢] متصب القامة يبصر ما حوله وما أمامه ويستمر في سيره على طريق مستقيم؟!؟

دكت هذه الصورة المقارنة لغةً عارضةً وتعبيراً عابراً ساق إلى موقف معارصين ومحاجتهم في العباد بعد أن انقطعت عنهم كل حجة، وأنسد أمامهم كل طريق فبعد السياق سيرنه الأولى ليعرض علينا آيات الله وآلاءه في الأنفس بعد أن عرص آت آياته وآلاءه في الأرض وفي الآفاق.

وهكذا كان خط سير السورة من الإنسان إلى الآفاق العلب، ثم إلى الآفاق لب، ثم إلى الإنسان، فبالإنسان نُدِيْ الحديث وبه يحتم؛ إذ هو المقصود الأعظم، وهو مناط التكليف ومحور الخطاب: ﴿قَدْ مَوَّاهِيْ أَمَّا كَرُوحٌ لِّكُرِّ الشَّمْعِ وَالْأَصْرَرُ لَأَنْفِدَةَ بِلَاءًا مُّشْكُورًا﴾ [سك ٢٣].

في هذه الآلة يتعرف الله إلى الناس لا بالعم لحزنية التي قد يجادون فيها ويكابرون، بل بأصون العم التي لا يجرؤ أحد على نسبتها إلى غير الله، وليس لأحد غير الله فصل في أصل شأه لإنسان، ولا فيها أودع فيه من الهوى والملكات الحسية كالسمع والبصار التي هي أهم الخواص الإنسانية الظاهرة، ولا فيها أودع

فيه من القوى انفسائه ﴿وَلَا تَيْدُ﴾ أي القلوب والعقول التي هي وسيلة لعدم الساطنة

أفليس من حق هذه السم أن تتمع بها في وجهها، وأن تُصرف فيما خلقت، من أجل أدائها لواجب وشكر عليها؟ بلى، ولكن هل قام الدس بشكرها؟ ألم تسمع الحديث أن عرس أوشك الدين لحواشي عمو ونفوس<sup>١١٩</sup>

فأصمهم بمرزهم وأعمى أبصارهم، وهؤلاء وأمثالهم، بل هم أكثر ليس لم يشكروا نعمة الله عليهم في سمعهم وأبصارهم وأعتدتهم، وهؤلاء هم الأقوياء كما قال تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ عَادَى الْكُفْرَ﴾ [سأ ١٣]، ومن هذا صيغ توجيه لخطاب إلى الناس حملة بأنهم لا يشكرون نعمة الله إلا قليلاً منهم ﴿فَبَلَّغْ شُكْرَهُمْ﴾ [النس ٢٣]، وهو خطاب للمكذابين خاصة، وقلة شكرهم أن يصرفوا نعمة الله في أصيب أبواب وفي أدنى وجوهها، في شأن البدن لا في شأن الروح، وفي شؤون الدنيا لا في شأن الآخرة.

وهنا أشرفت السورة على الانتهاء من المقصد الأول، وهو التعريف بالله وصفاته، والدخول في المقصد الثاني وهو ذكر اليوم الآخر، فجاء بآية واحدة موحدة تجمع المقصدين كليهما لتكون ختاماً لما قبلها، وافتتاحاً لما بعدها ﴿قُلْ هُوَ أَلْبَىٰ ذَرَأَتُكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ يُخْشَرُونَ﴾ [ملك ٢٤]

الدرء الش والشر والتعريق، والخسر النقص والجمع بعد تفريق والمراد هنا سوق الخلائق وتجميعهم بعد معيشتهم للوقوف بين يدي الله ومحاسنتهم على ما قدموا، وأم الدرء فهو درأه: درة في الحياة تكثير نسل الإنسان وتعمير وجه الأرض به في الدنيا، ودرء في القصور بتفريق أجزاء الإنسان بعد الموت إلى رطوبات تتحرر في الهواء، وتراب يختلط بالنبات وغيره، وروح تفارق بدنها، وتأوي إلى حيث يشاء خالقها.

فقد حمل على هذا المعنى كانت السورة قد استوفت الأطوار الأربعة للإنسان، فهي صدرها ذكر الموت والحياة الأولى، وهي حياة الامتلاء على سبيل قوله تعالى ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوًا تُخْبِتُونَ﴾ (آخر ٢٨)، وفي عجزها ذكر الموت والحياة الأخرى وهي حياة خراء على عوار قوله سبحانه ﴿ثُمَّ يُسَبِّحُكُمْ ثُمَّ يُخَبِّطُكُمْ﴾ (آية ٢٨) وأيّ ما كان فهي هذا الافتراق بين الشر والخير جمال وجلال وصرب لطيف من الاستدلال، جمال البيان في جمع الصورتين المتقابلتين في كلمتين، وحلال صعب الرخص في شر اخلايق وطيبها، ونفريقها ثم جمعها، وأحيزا تلطف في تمهيد لرهاق على الخشر، فون الذي يفدر على تفريق الأشياء وتدير شأنها وهي مفرقة موزعة، يقدر على جمعها وتدير أمرها وهي مصمومة محتمة بهذا التحلص البديع تهبأت العرص للحدث عن هذا الخشر لموعود وهو المرحلة الأخيرة في هذه الجولة الثانية

#### المقصد الثاني: تقرير اليوم الآخر [٢٥-٢٩].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا وَدَّتُمْ تَأْتِيكُمْ مُبِينًا ﴿٢٦﴾ هَذَا رَأْيُكُمْ يَوْمَ تَأْتِي سُنُوفُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُقَالُ لَهُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ زُيِّنَ لَكُمْ إِذْ أُنْهَكْتُمُ اللَّهُ وَتَرْتَمُونَ أَوْ رَحِمَا مِمَّنْ يُجْعِلُ الْكُفْرَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَعَلَيْكُمْ تَوَكَّلْ فَتَعْلَمُونَ مَن هُوَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿٢٩﴾

في هذه الآيات الخمس تقوم السورة مرة أخرى إلى شأن البعث والحشر، وليس الحديث عنه هنا وصفا لما فيه من ألوان العذاب والنعيم كما في أول مرة، ولكنه تقرير إجمالي لوقوعه، وتفيد الشبهات التي ينيرها المكذبون في حواشي موضوعه، وبيان للمدركة بين حالهم: قبل تحقيق الوعد وبعده، وإندار لهم بأنه لن يحل بأسه إلا بأشركين، وأنه لا مسجى منه إلا بالإيمان بالله وإحلاص التوكل عليه.

بقول المجادلون في صحة هذا الوعد (سئونا) متى يكون موقعه، بشأن الذي يجر بأمر ويزعم أنه على يقين من وقوعه، أن يعلم ما يحيط به من ظروف زمانية

ومكايبة، فإن لم يعرف تحديد زمانه، كان هذا مطعماً في خبره، وتشكيكاً في صدقه، فأمر الله رسوله أن يتولى خواب عن هذا الحدث بثلاثة أحوبة، وقد لقَّنه الجواب الأول بقوله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُبِينٌ﴾ [سك ٢٦]؛ كأنه يقول لو كتب أحبرتكم بشأن الساعة عن عدم بحقيقتها وإطلاع ومعابية هذا، لأحبرتكم برماها وسائر تفصيلها، لكن هذا الإطلاع على الحقائق بدواتها ليس عهدي ولا عهد أحيد من إخلق ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِندَ اللَّهِ﴾ [سك ٢٦]، ولا أعلم لأحد إلا ما علمه الله ياء، وإياها يكشف الله لرسله بمقدار ما ينفع الناس وتمس إليه حاجتهم، فما حاجتكم إلى معرفة زمانها؟!

إن العاقل خريص على نجاة نفسه وسعادتها لا يعنيه من أمر المستقبل توقيت أحداثه، وتحديد أيامه وساعاته؛ وإياها يعيه أن يتعرف ما في تلك الأحداث من خطر جاثم، أو من أمل يسعى لمحصل عليه، وهذا الجانب الذي تمس إليه حاجة الناس أشد المسيس هو الجانب الذي كشفه ربي، وأمرني أن أحذركم منه وأبذركم به ﴿وَلَيْتَ أَنِّي نَدِيرٌ مُبِينٌ﴾ [سك ٢٦]، فقلت هي رسالتي أبلغكم ما أرسلت به، لا أكتكم من أمره شيئاً؛ لتكوبوا على بيته من أمركم، ونأخذوا حذركم وأنتم في سعة من الحياة.

لكنَّ العجيب أن هذه السعة التي جعلها الله فرصة للتدبر والتأهب كانت هي سبب بلاتهم منهم كلما رأوا طول السلامة وبطء تعبد الوعد، كذبوا وسحروا منه، وقالوا متى هذا الوعد؟ حتى إذا حل بهم انقست سحريتهم ندماً، وششتهم كابة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ رأي لعين ﴿رُفِعَ﴾ عن كث وقرب ﴿سِيفَتِ وَخُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سك ٢٧] عشيتها فترة لحر والدم، وليس ذلك فحسب، بل جمعوا إلى هذا الألم المادي ونجح الحسي آلاماً نسيبة لاذعة؛ إذ سمعوا من الملائكة أو من المؤمنين عبارات التحسير والتذمير، وفيل لهم هذا العذاب الذي تروونه اليوم هو تحقيق الوعد الذي كنتم به (توعدون) ﴿يَقُولُ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ مُعْطَوَاتٍ﴾ تعالون قنلين ﴿وَلَا

قَالُوا لِلَّهِ مَا كُنَّا نَعْلَمُ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا مَا نَطْلُقُ عَلَيْكَ جَهَنَّمَ أَوْ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ آتٍ سَآئِرٍ ﴿١٣٢﴾ وَكُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ قَائِلِينَ ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا بَطْشَ قَبْلِ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص ١١٦] هذا وتدلُّ فرقة التشديد في ﴿يَدْعُونَ﴾ على أنهم كانوا لا يفتصدون في هذا لدعاء، بل كانوا يدعون ويلحون فيه متعطلين إلى وقوعه، وكلما تأخر قالوا، (ما يجيئه).

الجواب الثاني لقوله الله رسوله بقوله: ﴿قُلْ رَبِّدُّوا إِلَهُكُمْ اللَّهُ وَمَنْ عَزَا فِي دِينِكُمْ فَلَا عُدَّةَ لَكُمْ بِهِ﴾ [ص ٢٨] كأنه يقول قل لهم: إني لست أدري أقریب أم بعيد ما توعدون، فقد يرحمنا الله ويظيل آجالنا أنا ومن معي حتى نرى بأعيننا في هذه الدنيا بعض الذي توعدون، وقد يتوفانا الله قبل أن تشمي صدورنا بهذا الإلزام الإلهي من الكافرين، ولكن إن أهلكني الله ومن معي أو رحماً فالأمران سواء في قضية العدل الإلهي؛ فإن وعده آت لا محالة، إن عاجلاً وإن آجلاً، فأخبروني: (من يجير الكافرين يومئذ من عذاب أليم)؟ الجواب: لا يجير، عذاب الكافرين واقع واقع ليس له من الله دافع، وهكذا يتبين أن (التشقيق) في الآية نظيره في الآيات الأخرى كقوله ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ فِيهَا مَوْتٌ أَوْ تَنَادُّوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [ص ٢٩] (الرمز ٢٠)

الجواب الثالث ولاحير: لقوله الله لرسوله بقوله ﴿قُلْ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [ص ٢٩] وهذا يشبه أن يكون جواب موادعة ومناذرة بعد أن التحدث معهم كل وسائل الإقناع والإنذار كأنه يقول: فإن أصررتم بعد هذا كله، فكنم دينكم ولي ديني، فاعبدوا ما شئتم وافعلوا ما شئتم، أما نحن فقد عرفنا ربنا ﴿هُوَ أَرْحَمُ﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء في السموات والأرض وما بينهما، وقد آما به وإن كفرتم ﴿وَعَنِيهِ﴾، وحده ﴿تَوَكَّلْ﴾، وأشركتكم معه ما لا يعي عنكم شيئاً، فتوكلتم نذرة على أصنامكم، وتارة على عشيرتكم وأموالكم، فإن كنتم اليوم لا تدرون أيما عى حق أو باطل ﴿مَسْتَغْلَمُونَ﴾ غداً ﴿مَنْ هُوَ ضَلُّوا شَيْئاً﴾ [ص ٢٩] (الرمز ٢٩)

واصح، وستمولون عدداً يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول، ليتنا استمعنا وأسمعنا  
بصيحة الناصح الأمين!!

والآن نمت أحولتان بمعصديهما، وكانت آخر خطوة خطتها نيران كي رأسا  
تذكيراً بصفة سرحن، وندت إلى الإيثار وإخلاص التوكل عليه، فكان هذا وعداً  
بمؤوس لاستماع الحديث عن المقصد الأول، وهكذا تعود لسورة إليه كربةً ثالثةً  
لتحتم بمثل ما حدثت به من تمجيد الله والتذكير بقدرته ونعمه

الخاتمة في آية واحدة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَصْحَابُ مَأْوَئِكُمْ عَرِرَ مِنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ  
مُعِينٍ﴾ است ٣٠ يقول لهم أحذروني يا سلب الله عنكم نعمة الماء الذي به حياتكم  
وحياة أعمامكم وررؤعكم، فأصبح مأذكم ﴿عروا﴾ عذراً لا تله الرشاء ولا  
لدلاء، ولا تحيء به المؤوس ولا المعاول، وذهب الحمرون في طلبه إلى أبعيد  
لأعرق، وستند أهل العلم وأهل الصناعة حول العلوم والصبغات وهم  
يستطيعوا الإتيان به ﴿مَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مُعِينٍ﴾ بك ٣٠: ظاهر مكشوف نراه  
ابعدون بحيث لا يحتاجون في طلبه إلى حمر ونقيب ولا إلى كد ونصب، سؤل  
تعرف جوابه المطرة، ويكاد كل من أنقي عليه هذا السؤال يجيب قائلًا: الله رب  
العالمين.



## القسم الثامن

### سورة القلم

#### والحديث عن الرسول ﷺ وحال المكذبين

- ١- ربط سورة النك بسورة القلم.
- ٢- دفاع السورة عن الرسول ﷺ.
- ٣ أسرار الحروف المتقطعة في أوائل السور
- ٤ منهج في تعلم القرآن.
- ٥ دفع تهمة الجنون وتبرئة الرسول ﷺ
- ٦ الهجوم على الطاغين والصاق التهمة بهم.
- ٧ قصة أصحاب الجنة، رواية ذات أصول خمسة.
- ٨ كن لك العذاب للمكذبين.. وللمتقين عند ربهم جنات النعيم.
- ٩ هذرني ومن يكذب.. واسبر لحكم ربك [٤٤ ٥٢].
- ١٠ تعليق ختامي.. الصبر المطلوب.



## سورة القلم

**والعديث عن الرسول ﷺ وحال المكذبين له**

١ ربط سورة ملك بسورة القلم:

حدثنا سورة الملت عن الله تبارك اسمه، وعن مصير الكافرين به، وتحدثنا سورة القلم عن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وعن حال المكذبين له، فهي تالية في المرتبة لسورة الملت، كما هي تالية لها في التلاوة، أما في ترتيب الرسول فسورة القلم على ما يروى عن ابن عباس هي ثمانية سور القرآن برولاً بإطلاق، كما لم يزل قلبها إلا سورة العلق وهي هو جدير بالملاحظة أن هاتين السورتين اللتين افتتح بهما الوحي - أعني سورة العلم والعلق - قد صدرت كلتاهما بالتبوية بشأن القلم، فهي سورة العلق يقول تعالى ﴿أَنزَلْنَاهُ بِالْأَنزَالِ﴾ (الذي علم بالقلم) ﴿العلق ١-٣﴾، وفي هذه السورة ﴿وَنُزِّلْنَاهُ بِتُرْجُونِ﴾ (العلم ١). هكذا جاء الإسلام من أول يوم داعياً إلى نحو الأمانة، مؤمناً بشأن العلم وتدريسه وتعليمه وتعليمه، وكفى بهذا حقراً للدعوة المحمدية، أقامها الله وأدامها.

٢- دفاع عن الرسول ﷺ

في الآيات السبع الأولى من سورة العلم تطيب لقلب الرسول ﷺ تبرته من  
 نعمة الشفاء والحق التي رماها المكذبون، وشهادة له من الله بما هو في الطرف  
 الأقصى من هذه التهمة، ألا وهو علمه الراسخ وحلقه العصيم

وفي الآيات التسع بعدها من قوله تعالى: ﴿لَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥﴾ وَذُوا لَوْ تَذَكَّرُوا



﴿ح﴾، واثني عشر بثلاثة أحرف ﴿طسم﴾، ﴿ان﴾، ﴿نذ﴾، وثني بأربعة أحرف ﴿لتص﴾، ﴿لن﴾، ﴿كهمعض﴾، ﴿حمر﴾ ﴿عق﴾، نرى ما شأن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور؟ ماذا أراد الله منها؟ أيجاطها الله بها لا يفهم؟! كلا، إن أقول المفسرين على تشعبها إلى أكثر من عشرين موقفاً ليس منها قول واحد بأن هذا الخطاب غير مفهوم.

### ٣ أسرار الحروف المقطعة في أوائل السور

وفي الحق إننا لا نجد أدنى غموضي في أن يأمرنا الله بأن نقول في افتتاح قراءة سورة من السور كلمة ﴿ن﴾، أو ﴿ص﴾، أو ﴿الم﴾، أو غيرها، وإياها الخفاء لو كان خفاء في حكمة هذا الأمر وسر هذا التعبير، فهل نقف عند حدود الأمر كما فعل كبار السلف، أمثالاً مطمئناً لا يزعجه بحث عن سره، أم هل نتقدم خطوة في اكتشاف هذه الأسرار وتلمس هذه الحكم كما فعل المقتصدون من الأئمة، أم هل نحاور هاتين المرحلتين مزعم أن هذه الأسماء قد نُقلت في إمرادها أو في تركيبها إلى معاني جديدة، من أعداد أو هيئات أو غير ذلك من المعاني؟! إننا نميل ميلاً شديداً إلى قول السلف، ونرى أن الأحاد به أسلم، وأن الوقوف عنده أليق بالقلوب المنظمة، ولكنا لا نمنع أن يلتبس منتمس أو يتذوق متذوق شيئاً من الأسرار وحكم هذا الأمر التعبدية، على شريطين اثنتين:

الأولى: عدم النعش والتكلف في تحميل النصوص ما لا تطيق.

ثانية: عدم القطع بأن ما وصل إليه فهمنا هو الذي أراده الله من هذا الأمر. فذكر طرقاً من المعاني التي تخطر ببالنا، أو التي يرتضيها من أقوال أهل العلم كل عربي، أمياً كان أو غير أمي، يؤدي مراده في كلمات، أو حل، أما تحليل الكلمات إلى أحرانها الصوتية، وتسمية كل جزء منها باسمه، فإنها بعمله «المعلم» أو المتعلم في بداية تعليمه أو تعلمه، أليس في تكليف كل قارئ لهذه السور أن يبدأها

هذا لتتضح ولو كان علماً منتهياً أو كان رسولاً نبياً، إشعاراً له - وهو أمام علوم القرآن - بأنه في بدايه العلم لا في نهايه، وأنه بمثابة طفل يتتبع خاصاً متواضعاً أمام معلمه الأعلى<sup>١٤</sup>، بل، إما كلما أطمع في مدرسة القرآن، ما أوتينا من العلم إلا قليلاً، وما تنزل بينا علومه إلا بقدر معلوم، فلكي هذا لكل قارئ درساً في أدب المواضيع والخشوع لعظمة منزل القرآن

#### ٤- منهج في تعلم القرآن

ولكن هذا درساً آخر في المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه كل امرئ في تعلم القرآن وتعليمه تأنيلاً وتمهلاً وترتيباً وتغييراً لخروجه بعضها عن بعض، بحيث لا يسرده سرّاً بل يصنع كل واحد منها في حيره على مهل، بحيث لو عدها العاد لأحصىها، كما ينبغي أن يصنع المعلم والمتعلم كل مسألة من العلم في حيرها، لا يجلط بعضها ببعض تأسيلاً بالقرآن ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْزَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ فَقَدْ خُذُوا مِنْهُ حَرْزًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَنْزِيلَ إِلَّا نَجْمٌ مُنْجَمٌ كَذَّبُوا بِآيَاتِهِ وَهُمْ فِي شَكٍّ﴾ [الأنعام: ١٥٦]

القرآن ٣٢.

ولكن هذا درساً ثالثاً لغير المؤمنين حين يسمعون محمداً الأمي ﷺ الذي لم يجلس إلى معلم يفعل ما لا يفعله الأميون، لا في نطقه بأسماء الحروف الهجائية بحسب؛ ولكن في أسلوب تعريفها وجمعها على نمط عجيب، وذلك أن لو أحصى حروف المعجم في أوائل السور، وأسقطا المكرر منها لوجدنا جملتها أربعة عشر حرفاً، وهو نصف حروف المعجم، ولوجدناها تتألف من جميع أحاسيس الحروف من مهموس ومجهور، وشعوي وحقيقي، وشديد ورخو، وغير ذلك، ولوجدناها تأخذ من كل جنس نصفه بحسب، كما أخذت من جهة الحروف نصفها، أمكن أن يكون هذا كله محض المصادفة والاتفاق؟! ألا يكون ذلك دليلاً على أن هذا الأئمة ﷺ الذي لم يجلس إلى معلم من أسرار قد درس وتعمق في الدرس على يد معلم من غير بشر<sup>١٥</sup> ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]

## ٥- دفع تهمة الجنون وتبرئة الرسول ﷺ:

أم ألمها المتسرعون في الحكم، فقالوا قد احتلظ عقله، واضطرب حباله، به مخبول. أفلم يروا أن هاهنا حداً فاصلاً بين طاهرني لوعي والخبول؟ إن لمجنون لا يصدر عن كتب مرقوم، ولا عن علم مسطور؛ وإنما يصدر عن حيان مضطرب، وأوهام لا حقيقة لها وهذا هو المعيار الذي استند إليه لقرآن الحكيم في دفع هذه التهمة عن محمد ﷺ؛ حيث يقول: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْوَحْيِ وَإِنِّي أَنَا بَشِيرٌ رَّحِيمٌ﴾ [نجم ١-٢]، فأثبت له البراءة من الجنون بدليلين وشاهداهما، كأنه قل وحق لعلم مسطور المنزل عليك، وحق القلم الذي سطره في اللوح المحفوظ، أو وحق الملائكة لكرام انكاتبين الذين حملوه إليك، ما بك من وهم باطل، وما أنت في حلم أحلام المجانين؛ إذ شتان بين من يصدر في أقواله عن علم وإطلاع، ورجوع إلى الوثائق المسجدة، وبين من يصدر عن خيال أو عن مجرد قيل وقال وفي هذا كما ترى توبه بشأن العلوم المدونة، والوثائق المحررة، ودعوة إلى العناية بهذا التدوين ولتوثيق الذي تنتقل به العلوم والمعارف عن قرب وعن بعد من قطر إلى قطر، ومن حبل إلى حبل، لتكون دحر للإنسانية، يربط حاضرها بماضيها، ويكون أساساً يرفع عليه بيان مستقبلها، ويمهد لمرورها وتقدمها انطرد

وتدبر قوله - تعالى - لنبيه ﷺ في جواب القسم: ﴿مَا أَنتَ بِمُتَحَوِّبٍ﴾ (القم ١٢) إنها مقالة قصيدة، ودعوى متواضعة، إذا قيس بالشواهد التي مسقت لها، فإن هذه الشواهد لا تثبت له البراءة من الجنون وحسب، ولا تدخله في رمة العقلاء وكفى، ولكن ترفعه إلى الدرجة العليا من بصوح الفكر وسعة العلم، والإطلاع على مواطن الأمور وإملاك ناصية الحقائق، فهي الاكتفاء بنبي الجنون

(١) كما يطلق القسم على أداة الكتابة، يطلق تارة على أرباب الأعلام وتحتها، ومن ههنا ما جرى به عرف في مصر من التعبير بقلمه الصادر وقلم الوارد إلح عن هيئة الكتاب الموكول ليها هذه لشؤون.

عنه مع عدم لشوهد عن ما به ، ذلك من المدقب السيه هاية النطق والاقتصاد في الرد، وهاية السكب في الوقت نفسه هؤلاء الذين أرادوا أن يصنعوا الرسول ﷺ، فصنعوا صلا لا نعمت، ووصفوه به هو بعد شيء، عن شتمه

ونظر إلى لأدب الرباني الذي أدب الله به نبيه ﷺ في قوله «بمعة ربك»، ونظر كيف نادر هذا الاحراس والحفظ فل أن تتم الجملة بأركانها، ذلك يعلم محمد ﷺ أن ما هو عليه من سلامة الفطرة، وأن ما جاءه من نعمة الوحي والبر، كل ذلك لم كان بفصل الله وحده، حتى لا يداحله شائنة من العجب حرفة عبي، وحتى يخلص سزه، ويسلم وجهه في كل لحظة لله رب العالمين لا شريك له، وهذا نظير قوله تعالى: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» (المر ١٢٨)، وقوله «سَتَجِدُنَا فُلَا سَ» (الاسنة ٦٦)، وقوله «وَبَيْنَ شَتَّى مَذْهَبَيْنِ بَالِيئِ أَوْحِيْنَا إِلَيْكَ» (الاسراء ٢٨) من هاتين الآيتين خلصت للرسول ﷺ مفتان؛ مفتة العقل في طي جواب القسم، ومفتة العلم في طي جملة القسم؛ كأنه قيل بحق العلم المكنون الذي أت وعافوه، والذي كان إليك انتهازه، ما لك من جون، وما ألم بك داؤه

وتنضي آيات الكريمة عن هذا السس؛ تشريف للرسول ﷺ بعد تشريف، فتصيف إليه شرفين حديدين. شرف العقدة الحسي، وشرف الخلق الأسنى «وبذلك لأخراة مشهوراً» (وبذلك خلق عظيم) (العلم ٣)، ولقد كان من قصية الترتيب الوجودي أن يقدم وصف الخلق الخاصر على وعد أخراة المستقل عبر أنه قد حوّل هذا بترتيب - والله أعلم - مسارعة إلى اترويه عن قلب النبي الكريم ﷺ الذي كان لا يلح في الأفق أملاً فرياً في هداية قومه، وكان يجربه ما يقولون فيه، وكان مع ذلك صبراً على تلص الوحي وحفظه والعمل به، وعلى تكذيب قومه وتسميهم له، فكان في حاجة عاجلة إلى سيد نفسي يفتح له باب الأمن في المستقل البعيد، ويطمئن به إلى أن صبره واحتماله لن يذهب شدي، ولن يصع هباءً لهدا أتبع الله حديث بني النهمة عنه بما محو ذكراها من نفسه، ويجول شعوره من الألم



في الأمل، إلى الوعد الحميل الذي تكفل الله فيه بأحر غير محسوس، لا يعتريه نقص، فضلاً عن أن يعتريه رول، ثم نختتم له بالشرف الذي ما بعده شرف، ألا وهو شهادة الله له، شهادة مسجلة في كتابه احياله ذكرًا تلي على مرّ العصور شهادة مؤكدة بأنه على خلق عظيم، وأي خلق أعظم من خلق القرآن الذي كان هو خلقه عليه الصلاة والسلام ﴿عِذْ لِلْقُرْآنِ نُزُولُهُمْ وَأُنْزِلُوا مِنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الاعراب ٩٩]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْ تُخْلَىٰ عَنْ هَٰؤُلَاءِ وَإِنْ يُدْرِكْ أَجُوكُمْ مُّوْتٌ يُّدْرِكُ الْيَاقِينَ﴾ [الحجر ٩٥].

[آل عمران: ١٥٩].

﴿لَعَذَابُكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ يَأْتُمُّكُمْ

هناك امر على لاتهم تجربة للرسول من التهمة، وتكرمة به بأصداها، غير ان  
من اعدل كفس الراية كرومر، وهجوم ودفاع  
٦ الهجوم على الطاغين، والصاق التهم بهم،

٦ الهجوع على الطاغين ، والصالح التهم بهم .

فالآن وقد تم الدفاع عن مساحة الرسول ﷺ، أخذ الموقف يتحول هجوماً على الطاعين فيه، والصافاً للتهمة بمتهميه ﴿فَنُتَبِّرُونَ نَجْمًا﴾ بِأَيْبَيْتِكُمُ الْمُفْتُونُ ﴿فَالْقَمَرُ﴾ القسم ٥  
٦، وهو كما ترى هجومٌ في أعفٍ لعلّ وأرقى تعبير، إنه لم يقل لهم من فيكم أنتم  
الخبون والصلال والمفتون، ولكنه قال شكشفت الحقائق غداً، وسرى العريقان  
عيداً في أيهم كان لصل المفتون، نعم سري العريقان ذلك في غد قريب، وفي غد  
بعيد:

أما العبد القريب (موم بدر) يوم يشتك الحق والباطل في صراع عنيف، فيستقم الحق على ضعفه وقلته من الباطل على كثرته وشدة شوكرته!!

ويوم الفتح، يوم تنهار الوثنية ونُحَرُّ أصنامها صرعى بيد محمد ﷺ، وهو يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْكُفْرَ إِن لَّبِثُكَ كَانَ زَهُومًا﴾ ﴿١﴾ يومئذ يعلم المعاندون أنهم كانوا في هبة

وعروا، فعلامة الحق لله واسرار، ومخير اصمحلل وانهار ﴿تسبب الله الحق  
وتبطل الله برده هذب جملة راء مسمع كاس حنك في لا زير﴾

وأما بعد اسعيد، فهو يصدر الناس أشتاتا ليروا أعيالهم، يوم يقول المكذبون  
﴿يبيت نرو ولا تكذب بانيب ربا﴾ [المع ١٦٧]، ﴿قد حدث أنزل رب بالحق من لنا من شفاء  
منهمونا﴾ [الاعراف ١٥٣] على أنه قبل أن يكشف حقيقة الفريقين للناس في ديت  
يومين، هي مد الآن مكتوفة جلية في علم رب العالمين ﴿رب رثت هو أغم يس  
صل عن سبيبه، وهو أغم بتهندي﴾ [المع ١٧]، حمدة ندر عن سابقها بأها لا تتوجه  
إلى المكذبين لفتويي وحسب إدارا لهم ونهيدا، ولكنها تطوي على عاصير  
الخوف والرجاء معاً، فيها بطمش المهندي إلى رحمة ربه، ويتوحيس المعتدي خيبة من  
عاقبة دسه، وهي كساعتها تسم بطابع التلطف والرفق في عدم تعيين من هو على  
هدى، ومن هو في ضلال مبين، غير أن عجيء هذا الإيهام بعد الشاء على الرسول ﷺ  
بما هو أهله، يكاد ينطق بأن الهدى إنما هو في صف محمد ﷺ وحزبه، وأن الضلال  
إنما هو في فريق المكذبين له.

وهكذا تحيى بقرة لتالية من السورة نتيجة مطقبة لما قلها: ﴿فلا تبغ الشكرين

﴿١﴾ ودو لومهم مدهور ﴿٢﴾ ولا تطع كل غلاب نهير ﴿٣﴾ فمن مشاء بنعيم ﴿٤﴾ ماع للسير متهم  
أبهر ﴿٥﴾ علم بعد ذلك نعيم ﴿٦﴾ أن كان ذا ماز وسير ﴿٧﴾ يد من على ﴿٨﴾ أنت قالك استطيع  
الأوليك ﴿٩﴾ سببته من لمرطوب ﴿١٠﴾﴾ [المع ١٦٠-٨].

وصفت الآيات الأولى من السورة عملاً ﷺ بما هو أهله حقلاً وعلماً وخلفاً،  
فهل يكون فيه المكذبون له إلا أصداد هذه الصفات. ضلاله وجهالة وسوء خلق،  
ودا مكيف تنقاد الحكمة للمع؟ وكيف يحصع العلم للجهل؟ وكيف يتبع الخلق  
الكريم سياسة الطمع اللئيم؟ كلا ﴿فلا تطع المكذبين﴾ إهم ليسوا من معدك ولا  
من شيعتك، إهم رحس فلا تدس بهم ظهرك، وإهم ظلمات فلا تكثر بهم نورك.

مخدير شديد وتفسير بليغ، كأنما به قد أثار في نفس الرسول ﷺ سؤالاً وتركه يبادي ربه بداءة حمياً أي رب إني ما أطعتهم قط في حياتي، وما فكرت يوماً في أن أطيعهم! إيا أطيع إلا أمرك، وإن أتبع إلا وحيك، فما بدني أنقى هذا الرجز عن طاعتهم!؟

ولكن هذا المخاطر ما كان يعر باب قلبه الرحيم حتى ملغاه الرحي بما يهدي من روعه، ويجدد له المعرى من تحذيره، يا محمد، إيا نعلم أنك أقوى إيماناً وأعظم حلقاً من أن تطيعهم في كبر من الأمر، وإنهم يعلمون أنك أصليبٌ عوداً من أن يحولوك عن صميم دعوتك، ولكنهم قد يطمعون منك فيما دون ذلك في أسوب دعوتك لا في جوهرها، إنهم يؤذون أن تغض عن بعض هياتهم، وأن تحصف الوعد في نسفيه وثبتهم ﴿وَذُورًا لِّوُتْدَهْنٍ مُّثْهْنُونَ﴾ (المذ ٩)، وذُورًا أن تلابيهم وتصابعهم وتدايهم، فهم منذ الآن يصابعوك ويلايوك طمعاً في أن تقبل مد هنتهم بعد هنة، هذا هو الذي يحذرك منه، فانت على دعوتك، في جوهرها وأسوبها، ولا تطيعهم في قليل ولا كثير.

كانت عيوب هؤلاء المكذبين ومساوئهم مطوية في صدر السورة، لهم تعهم منها إلا عرّضاً عن طريق المقابلة بمناقب الرسول ﷺ وشماله، فلما جاء قوله تعالى: ﴿وَذُورًا لِّوُتْدَهْنٍ مُّثْهْنُونَ﴾ (المذ ٩) انتقل الأمر بذلك من التوبيخ إلى التصريح، ولكنه كان تصريحاً بأهول العيوب وأحقهاها وأشيعها بين صفاتهم، فالآن ينتقل الحديث من التعميم إلى التحصيل، ومن القصة الواحدة إلى القائص المجموعة في مرد منهم، يعد مثلاً في الرديله، وفي وجوب عصيان إشارته هو ومن يشاكله ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ خَلَامٍ مُّهْبٍ﴾ (١) هَبْ مُثْمٍ بِمِمْ (٢) مُتْجٍ لِلْعَبْرِ مُتْعَمٍ أَيْمٍ (٣) عُلِّمَ قَدْ ذَلِكَ رَيْمٍ (٤) أُنْكَانَ دَا مَالٍ وَنَيْمٍ (٥) إِذْ سُلِّ عَلَيْهِ مَا يَسْأَلُكَ أَسْطِيرُ الْأُولَى (٦) (القسم ١٠ ١٥)

أكثر المصرين على أن هذه الأوصاف تشير إلى الوليد بن المعرة المحرومي، ومن: هو الأحسن بن شريق، أو أبو جهل، أو الحكم، أو غيرهم، ونحن لا يعيبا

شخص من برئت فيه لأبيات وإياها تعسا العرة في صفاته، وما يظهريه إلا صاحب  
بقوله السفيه الذي رمى النبي بواحدة كذا؛ إذ قال إنه لمجنون، فرمى الله بعثر  
حقاً؛

الأولى أنه خلاف كثير الخلف بالله، وذلك أنه احتراته على الله، وقلة بوقيره  
لأسمه الكريم.

الثانية أنه مهين حقير في نفسه وفي نظر العقلاء، وإن كان في قومه ذا مال  
وبين، ولا أدل على مهنة المرء في نفسه، من كثرة الخلف الذي يحاول أن يحتجب به ما  
يفقده من ثقة الناس في قوله.

الثالثة أنه همد كثير الهمر والطعن في أعراض الناس بالعارة والإشارة

الرابعة أنه مشاء سقيم، كثير السعي بين الناس ينقل حديث بعضهم لبعض  
ليعسد ذات بينهم.

الخامسة أنه مشاع للخبير، خير الدنيا، يحبس بره ورعده ضمن يستحقه، وخير  
الأحرار، بصدقه الناس عن ذكر الله ودين الله.

السادسة أنه معتد يتجاوز هذا الموقف السلبي الذي يصح في الخير إلى موقف  
عدواني إيجابي يسط فيه يده بإيذاء الناس.

السابعة أنه أثيم كثير الارتكاب للذنوب والآثام على اختلافها

الثامنة. أنه غش حش عليل، قام عيب في كل شأن يمارسه ويراوله

التاسعة. أنه بعد ذلك كله ربيهم، معروف في قومه باللؤم والخس، مختار بينهم في  
ذلك بعلامة يعرفونها، كما تمار الشاة برسمتها المدلاة تحت ذقنها أو أذنها، ويقال  
أبريم أيضاً على الدعي الذي يُلصق بسب قومه وليس منهم، أو الذي نعت أمه  
ولا يُعرف أبوه، فمن كان هذا المعنى هو المقصود من الآية، لم يكن تعبيراً له بدب

أمه وأبيه، فدلث ليس من سنه القرآن، ولا من مبادئ الإسلام، ولكنه يكون استدلالاً على حيث فطرته بحيث النظرة بشأنها

العاشرة والأخيرة: مقابلته نعمة الله بالطر والكفر، لا بالطاعة ولشكر، فقد آتاه الله المال والبهين، فأطعاه ماله ونشوه، وجعل يسخر من آيات الله إذا ثلثت عليه يقول ما هي إلا أساطير الأولين استسبحها محمد، فهي ثمل عليه بكرة وأصبلا!!

تدلت هذه الصفات، وصمت كما ترى بما هو تعرض في حق الله خاصة وهي الهدية دَمٌ لكثرة الخلف بالله، وفي النهاية نص على مقابلة نعمته بتكذيب آياته، أما سائر مساوئ النفس والاجتماعية فقد سردت فيما بين الطرفين، هذا الأسلوب في تعظيم حق الله، وتأكيد حرمة محالته مرتين مرة في فاتحة الحديث، ومرة في حاتمته، يعبر ما جاء في سورة المؤمنون، وسورة الماعز، من تعظيم حق الله، وتأكيد وحيث عدته مرتين كذلك بدءاً وختاماً، فقد تدلت أوصاف المؤمنين في كلتا السورتين بأهم في صلاتهم حاشعون، أو بأهم على صلاتهم دائمون، وحنمت بأهم على صلاتهم أو على صلاتهم يحفظون، وجعلت سائر الآداب النفسية والاجتماعية فيما بين ذلك، ولا شك أن تأكيد حق الله هكذا في البدء والختام يرجع صداه تأكيداً حق لعدد المدرج في تصاعيف السياق؛ إذ يشير إلى أن حق الله محيط بسائر الحقوق من جانبها يكفلها ويحميها، والرافع أنه ليس هناك حق للعباد إلا والله حق فيه.

لم يكتب القرآن الكريم بعرص أفاعيل ذلك المكذب وأقويده ليسر منها، ومنه قلب النبي ﷺ، ولیمقتها ويمفته كل صغير حي، ولكنه أتبعها جراءة، وهو جراءة من حسن العمل، من حسن حاشة العمل وأساء العمل، وفي الحق ألم يكن أعظم أعماله جرماً ما ختم به جدول أعماله من قوله: ﴿أَسْطِيرُ الْأُولَى﴾ تلك المقالة اشوهاء التي أراد أن نشوة بها آيات الله؟ كثرت كلمة نطق بها فمه، وشمع بها أفعه! أوليس القصاص العادل هو أن تؤخذ كل حارحة بما كسبت؟ هكذا، قال الله جلت

حكيمته ﴿سَبِّحْهُ عَلَىٰ خَيْرِ مِمَّا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿١﴾ سبِّحه على فمه الكاذب الخاطيء، أو على أنفه المستكف المستكر، أو على كيبها، سبِّم لباري جهنم، أو في موقف الحساب، أو بميسم السيف في الحرب، أو بميسم العار والدليل بين الناس، أو بكل أولئك جميعاً، جراءة ووقفاً، ومن ظلمهم لله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

## ٧- قصة أصحاب الجنة:

﴿إِنَّا مَوْلَانَا أَخْبَثُ مِنْهُ إِذْ قَامُوا الصُّرُوبَ مُصْبِحِينَ﴾ ﴿٢﴾ وَلَا يَسْتَوُونَ ﴿٣﴾ فَدَافَ عَلَيْهِ طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُوَ غَافِلُونَ ﴿٤﴾ فَأَصْبَحَ الصُّرُوبُ ﴿٥﴾ مَدَارًا مُصْبِحِينَ ﴿٦﴾ أَمْ تَعْلَمُونَ عَلَىٰ خَيْرٍ مِمَّا كُنْتُمْ سَرِبِينَ ﴿٧﴾ فَأَصْبَحُوا وَهُمْ يَنْخَسِعُونَ ﴿٨﴾ أَلَا يَتَخَبَّ إِلَيْهِ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ فِتْنَةٌ ﴿٩﴾ رَعِدًا عَلَىٰ خَيْرٍ مِنْ قُدُودٍ ﴿١٠﴾ طَائِفًا زَاوِيًا قَالُوا إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿١١﴾ بَلْ عَمَّ يُصْرَبُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا أُنْظِمُّكَ أَزْوَاجًا لَوْلَا أَلَمْتُمْ أَفْئِدَةً لَّيْسَ لَكُمْ فِيهَا شِرْكٌ ﴿١٣﴾ أَلَا لَئِنْ شِئْتُمْ لَرَيْتُمْ إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿١٤﴾ فَأَقْبَلَ بَعْثُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْنَهُ ﴿١٥﴾ قَالُوا مَوْلَانَا إِنَّا كُنَّا ظَمِيرًا ﴿١٦﴾ عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَبْعَثَ ظَرِفًا ﴿١٧﴾ إِنَّا إِلَهُ رَبِّكَ مُبْتَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴿١٧-١٢٢﴾ بسط الله في الآيات السابعة الخصال العشر التي أقسم بها من يكذب بالوحي والبسوة، وكانت حافزة هذه الخصال العشر أن فتنه بالمال والسين كانت سبباً في بطله وفي تفوته على القرآن، إنه أساير الأولين، أما مقلته هذه فقد لقيت جرائها في قوله ﴿سَبِّحْهُ عَلَىٰ خَيْرِ مِمَّا يَشْكُرُونَ﴾، وأما فتنه التي كانت سبباً في هذه المقلّة، فقد أراد الله أن يبين ما فيها من صلاب في التكبير وعمية عن مس الله في تدبير الأمور، فصرّب له ولأمثاله مثلاً من أئعم الله عليهم بسعة الرزق، كما أئعم على هؤلاء لحننهم أيشكرون النعمة أم يظرونها، فعزّتهم النعمة كما عزّت من قديمهم وأظرتهم كما يظروا، فكانت عقبة أمرهم حية أملهم، وزوال النعمة عنهم، وذلك

(١) الخراطوم يطلق على مقدم الألف، وعلى مقدم النعم. قال صاحب الهمام من الخراطوم الألف أو مقدمه، أو ما ضممت عليه حكيين. وعلى شارحه عن ثعلب أن الخراطوم لئمين ولبسوة كاشع للغير، والمقدّر للطير، والشعة للإنسان. وهذا التعبير به عن حارحة الإنسان فيه ما فيه من تهكم وتحقير للبع، والذي يرجحه أنه هو، مستعارة من خراطوم، معوصه بصورة النعم المكذب بصورة ذلك الخراطوم الضعيف في حقارته وفي إيدائه باللدغ الذي لا يضر.

هو مثل أصحاب الحجة الذي قصه الله عليا في هذه الآيات [١٧ - ٣٢]

إياها رواية ذات فصول خمسة أربعة منها تمثل تقلدت النفس الإنسانية وانفعالاتها المحزنة، وواحد منها (يتحللها) يصور بصرياً القدر، وسحرته من تدبير الإنسان.

لفصل لأول تبييت البية على جمع حصيلة الحديقة كلها، وتدبير المؤامرة لمنع حق الفقراء فيها [١٧-١٨].

الفصل الثاني: نزول الحائجة لاستئصال الثمار، والقوم في بيوتهم لا يشعرون [١٩ - ٢٠]

الفصل الثالث: لخروج لتفصيل الخطة المدبرة بدقة وحزم في طي الخفاء وانكتمان [٢١ - ٢٥]

الفصل الرابع: الصدمة النفسية عند رؤية الحديقة جرداً [٢٦ - ١٧]

الفصل الخامس: التعائب والنلاوم، والتوبة والدم [٢٨ - ٣٢]

وإليك الموحة كاملة كما صورها القرآن.

١ - ها قد أينعت ثمار الحديقة، وها قد قطاها، وكان طبعاً أن يبيت أصحاب لعزم على جذاذها، هكذا ﴿أَفَسَوْا لَيُضْرَمَتْنَهَا مُضْطَرَمِّينَ﴾ [نعم ١٧]، حلموا أن يقوموا بجني ثمارها في صبيحة الغد، غير أنهم ارتكبوا في ذلك خطيئتين.

أحدهما: أنهم سوا الله وأبوا منكره، وأطاعوا إلى أنهم مدركون وطّره لا بحجة، غير حاسين حسناً لمشية الله وقدره.

لثنية: أنهم صمموا على ألا يتركوا من الثمر شيئاً للمحتاجين والمحرومين، هذان الخطيئتان لله القرآن عليهما بكلمة واحدة؛ حيث يقول ﴿وَلَا يَسْتَشْشُونَ﴾ [نعم ١٨] لا يستشون في يمينهم مشية الله، ولا يستشون من ثمرهم حق الفقراء

٢ - وَذَلْ لِقَدَرٍ مَّعْرُودٍ ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَعْاقِبَهُمْ عَلَى هَذَا الْإِثْمِ الْمُرْدُوحِ ، مَعْرُودٌ : لَمْ يَلْمِ ، مَعْرُودٌ عَلَيْهِ طَائِفٌ مِنَ رَبِّهِ وَهَذِهِ مَبْنُوءٌ (الاسم ٢١ ، ٢٢) ، بَرَلَتْ ٣ حَاجَةُ سَمَاوِيَّةٍ اكْتَسَحَتْ ثَمَارَهَا وَهِيَ فِي بَنِيهِمْ يَوْمَ ﴿فَأُضِجَتْ كَأَنْضَرِيمٍ﴾ (الاسم ٢٠) ، فَكَانَ الَّذِي يَرَاهَا يَطْلُهَا قَدْ سَبَقَ جَدَادُهَا

٣ - وَاسْتَقَطَ الْقَوْمُ مِنْ يَوْمِهِمْ وَهَمَّ لَا يَدْرُونَ مَا جَرَى بِهِ الْقَصَاءُ ﴿مَسْرُوءٌ مَبْنُوءٌ﴾ (الاسم ٢١ ، ٢٢) ، أَحَدُ بَعْضُهُمْ يَدِي بَعْضٍ فِي الْمَصْبَاحِ الْبَاكِرِ يَتَحَصُّونَ عَلَى الْمَادَةِ فِي الْعَدَاةِ إِلَى تَعْيِيدِهَا بَيْنَهُ قَانِينَ ، إِنْ كُنْتُمْ حَقًّا مَصْمُومِينَ عَلَى الْحَدَادِ الْيَوْمَ فَهَذَا وَقْتُهِ ، قُلْ أَنْ يَسْقُرَ الصُّورُ ، وَيَنْشُرَ الدَّاسُ ، وَيَطْلُعَ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا تَحْسَبُونَ ﴿فَظَنُّوْهُ﴾ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَأَحْدَوْا طَرِيقَهُمْ ، بِنِ حَدِيقَتِهِمْ ﴿وَمَنْ تَحْمِلُونَ﴾ يُبَيِّرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلُ : تَأْكِيدًا لِمَا بَيْنَهُ وَتَحَالُفًا عَلَيْهِ ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَ نَيْوْمٌ عَيْنُكُمْ مَشْكَبٌ﴾ (الاسم ٢٤) لَا تُكْثَرُ مَسْكَبًا وَحَدًّا مِنْ دُخُولِ الْحَدِيقَةِ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْ حَدَادِهَا ، وَنُودِعَ ثَمَارُهَا فِي مَكَانٍ حَصِينٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الصَّبِيحَةُ السَّرِيَّةُ فَدَ وَقَعَتْ مَوْقِعَ الْإِسْتِحْسَانِ مِنْ بَعُوضِهِمْ ، فَانْجَبُوا لَتَعْيِيدِهِ ﴿وَمَدَّأَ عَنْ حَزْرٍ قَدِيرٍ﴾ (الاسم ٢٥) ، وَقَدْ أَحْمَعُوا أَمْرَهُمْ ، وَرَتَبُوا حَقَنَهُمْ عَلَى مَعَجِ الْمَسَاكِينِ مِنْ دُخُولِهَا ، وَحَرَمَانِهِمْ مِنْ ثَمَارِهَا ،

٤ - ذَلِكَ كُنْهُ ، وَهَمَّ لَا يَدْرُونَ مَا فَعَلَهُ بِحَدِيقَتِهِمُ الْقَدَرُ السَّاحِرُ ﴿مَلَأَ رَأُوعًا تَلَوَّيْنَا لِنَسْأَلُونَ﴾ (الاسم ٢٦ ، ٢٧) ، فَلَمَّا رَأَوْا الْحَدِيقَةَ كَانَتْ مَهَاجَةً أَلِيمةً ، وَصَدْمَةً عَسِمةً ، دَهَلُوا مِنْهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، حَتَّى أَهَمَّ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَحْطَأُوا الطَّرِيقَ إِلَى بَسْتَانِهِمْ ، وَقَالُوا مَا هَذِهِ بِحَدِيقَتِنَا ، فَقَدْ رَأَيْنَاهَا بِالْأَمْسِ عَامِرَةً نَاصِرَةً ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَنَظَرُوا فِي الْحُدُودِ وَالْمَعَالِمِ ، فَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقِيقَةُ الْمُرَّةُ ، فَقَالُوا : كَلَّا !! بَلْ هِيَ

(١) يَقَالُ هُوَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ أَيِ اسْتَطَاعَ ، وَيُقَالُ قَدَّرَا أَيِ دَسَرَا وَرَتَبَا ، وَهَذَا أَحَدُهَا هَذَا الْمَعْنَى الْكَلْبِيُّ : لِإِعْنَاتِهِ عَنِ التَّجَوُّرِ وَانْتَابِلِ ، بِتَعْدِيرِ أَنْهُمْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى رَعْمِهِمْ ، أَمَّا فِي الْوَاقِعِ فَلَمْ يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى عَطَاءِ وَلَا مَعَ : لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ شَيْءٌ يَعْطُوهُ أَوْ يَصْعَوْهُ



هي، ونكت قوم عروموم، قد حرم الله زرعها بنوم دسا، وعقوبة الجحاش.

٥ وكان في يوم رحل صائح هو أوصيهم، أي حيزهم وأعدهم رأياً، وكان ينهاهم من اوس يوم عن هذه الخطة الخائرة، وكان يدكرهم من جهة بأن كبد الله غير مأموم، وأن مشيئة فوق كل مشيئة، ومن جهة أخرى بأن الله أعدن من أن يرصى بظلم عاده، وأنعر من أن يرك عباله محرومين، وهكذا كان يخصهم على تسبيح الله وتربيته عن صفتي العجر ولهم السب يطوي مسهم على سبهما إلى الله، فلم يسمعوا بصيحه، فبى برلت الكارثة، أحد يذكروهم ساس نصحه وموعظته، وجعل يؤنهم عن ما فردهم في حب الله ﴿وَيُحَذِّرُ الْغُلَّامَ نَذْرًا﴾ [النجم ٢٨] هالك استيقظت صائر لقوم، واعترفوا بدسهم، وذكرو الله بعد طوب سببهم له ﴿قَالُوا شَئْنُ رَبِّنا كُنَّا ظالمين﴾ [النجم ٢٩] فجمعوا بذلك بين تريبه انرس، والاعتراف باندب، ثم رجعوا يذكروهم إلى الزراء، فأحدوا يتساءلون، كيف طرعت هم أنفسهم أن يفتروا هذا الإثم المردوح (في حسب الله، وفي حق عباد الله)؟ وجعلوا يبحثون عن المسؤولين منهم عن هذه الفعلية. أيهم أشار بالراي؟ وأيهم حرص عليه؟ وأيهم استحسن؟ وأيهم سائر واسع؟ ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ مِن بَقِيصِ عَذَابِنَا﴾ [النجم ٣٠] يوم بعضهم بعضاً، ويلقي كل منهم جاساً من المسؤولية على غيره.

على أن هذا التعائب والتلاؤم لم يكن ليشفى صدورهم؛ لأنهم كانوا كلياً حولوا وحوهم شطر الحديفة ووفعت أبصارهم على مظر الكارثة، اردت قلوبهم حرقه وحسرة، فم يمالكوا أن صاحوا يندبون حظهم العاثر ﴿قَالُوا بَلَّغْنَا كُنَّا ظالمين﴾ [النجم ٣١]، وهكذا اعترفوا بدسهم مرة أخرى، ولكن في صورة أبلغ وأوى، كأنهم يقولون: إنا لم نكن ظالمين فحسب، بل لقد حورنا الحد في الظلم، فحسن أهل لما برل سا، وما ظلمنا الله ولكنا ظلمنا أنفسنا، وأحيراً انقطع أملهم ورجاؤهم. لا في الله، فقالوا ﴿عَنى رَبَّنَا أَلِيَبَتْلُونا سِيراً إِنَّا إِذْنا مَنَعُونَ رَبَّنَا﴾ [النجم ٣٢] لا نطمع إلا في بره، ولا نرجو إلا خيره.

## ٨ كذلك العذاب للمكذبين، وللمتقين عند ربهم جنات النعيم :

﴿ كذلك العذاب وبعد الآخرة أكثر لولا أن يشعرون ﴾ [١١٣] إن المتقين عند ربهم حسب النعيم ﴿١١٤﴾ أمثل  
 المسيئين كالنحرير ﴿١١٥﴾ ما لوكذب تخفون ﴿١١٦﴾ أم لكرهت فيه تترشون ﴿١١٧﴾ إن نكروا هو لنا خوف ﴿١١٨﴾ أم نكروا  
 أنيسر علينا نعمة، إن يوم القيمة إن نكروا تخفون ﴿١١٩﴾ سلهم أنهر بذلك ربهم ﴿١٢٠﴾ أم لهم شركاء فلان  
 شركائهم إن كانوا ضدين ﴿١٢١﴾ يوم يكف عن سبي ويتعنون إلى الشجر فلا يستطيعون ﴿١٢٢﴾ حنة أنفرت  
 زمهمهم بالله وقد كانوا يتعنون إلى الشجر وهم سبون ﴿١٢٣﴾ [١١٣ - ١٢٣]

هذا هو تطبيق مورد المثل على مصرفه من حيث العواقب والتأثير بعد أن تبين  
 في صدر الآيات السابقة انطافها من حيث المبادئ والمقدمات؛ فقد دلّ قوله تعالى:  
 ﴿ إن لله عندكم برهاناً أثبت لكم ﴾ [القصم ١١٦] على أنه كما أحتر الله أصحاب السائين بسعه  
 الرزق، ووفرة الثمار، أحتر قريشاً بأمال والين، وكما أن انشعة أبطرت أصحاب  
 البسائين، فسوا ذكر الله، ومسعوا حق المساكين، كذلك أبطرت اسعمة قريشاً  
 ففسحروا من نبيهم حتى قالوا: إنه لمجون، وكذبوا بآيات ربهم، فقالوا: ﴿ أنجبر  
 الأوليك ﴾ هكذا اتخذت مقدمات القياس عند المريقين، ولم يبق إلا إعلان النتيجة  
 المشابهة هذه المواقف المتشابهة، وذلك هو قوله تعالى: ﴿ كذلك العذاب ﴾ أي كما  
 كانت عاقبة أصحاب السائين أن عوقبوا بهلاك درعهم وثمرتهم، كذلك ستكون  
 عاقبة قريش أن يعاقبوا برؤا ما هم فيه من رعد ولبس عش، وأن تدن حاجهم رؤساً  
 وشدة، وهذا وعيد قد أنجز، فإن قريشاً لما استمعوا على النبي ﷺ دعا عليهم  
 سنين كسبي يوسف، فأصابهم قحطٌ وجهدٌ حتى أكلوا العظام، وحتى كان الرجل  
 إذا نظر إلى السماء رأى بيه وبينها كهينة الدخان، رواء البحاري وفي ذلك يقول الله  
 تعالى ﴿ فاذنبت ثم تأتي السماء بشارٍ فهم ﴾ [يوسف ١٠١] ينقش الناس هذا عذاب أليم ﴿ [الدخان  
 ١١ - ١١٠]، على أن هذا العذاب الأدنى ليس شيئاً مذكوراً بجانب لعذاب الأكبر  
 الذي ينظر المكذبين يوم القيامة ﴿ وللعذاب الآخرة أشد ﴾ [القصم ٣٣] أشد هولاً  
 وأطول أمداً ﴿ ثم كانوا يعفون ﴾ باليهام كانوا يعملون أو هو شرط حذف جوابه،



الحكم وسوّي سبهم في آخره وهم ليسوا بسواء ١٩ معاد الله أن يظلم رثك أحد، وكذا نلاحظ ههنا أن الدعوى التي سبب الآيات السابقة ردها، ليست هي جعل مسلمين كالمجرمين في الشهوة، بل جعل المجرمين كالمسلمين في السعادة والكرامة، نعم إن المساواة بين الطرفين بوجه عام بطوري منه المعنى المقصود أي كان الطرف المتقدم و بصرى لما حذر، وغير أنه كان مقصود الظاهر أن يجيء الرد على وجه صميم الدعوى، فقد ﴿فَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ نعم ٢٠ وما السر في العدول عن هذا الوضع الطبيعي؟

يقول والله أعلم - إن مخالفة الظاهر هنا يدعو إليها سببان إعطى ومعوًى، أما السبب اللفظي، فهو أن هذا الرد جاء على إثر وعد المقيمين، فقدم ذكر المسلمين ليصم الشكل إلى شكله، وأما السبب المعنوي، فهو أن تسوية المسلم بالمجرم خطأ من رتبته، وبحسب من حقه، وهو ظنهم بأن، وأما تسوية المجرم بالمسلم فقد نُقِذَ تفصيلاً وتكرماً عليه بما ليس من حقه، وهو أهون في حكم العقل والصبر، فوضعت صيغة المساواة على الوجه الأول لتكون أبلغ في تصوير شاعة الظلم الذي تشره هذه المساواة.

ونقضي الآيات الحكيمة في تفيد هذه الدعوى، لتبين أنها ليست شائعة في حكم الله وحسب؛ ولكنها شائعة في حكم الشر أنفسهم؛ من أجل ذلك أخذت تستقصي الأسس التي يعتمد عليها الشر في أحكامهم، ثم تعرض هذه الدعوى عليها واحدة واحدة، حتى يتبين أنه ليس لها مستند في شيء منها، فالباس يعتمدون في أحكامهم

(١) وأعم أن وضع صيغة المساواة على هذا الرتيب هو الأسلوب الأكثر دوراناً في القرآن الحكيم، انظر قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (٢١)، وقوله ﴿أَمْ يَحْسَبُ الَّذِينَ يُمِنُونَ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّغْنَاهُمْ عَنِ الْعِقَابِ إِنَّا أَخْرَجْنَاهُم بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ مَنَاقِبَهُمْ سَوَاءً مَنَاقِبُهُمْ وَنَسَائِهِمْ﴾ (٢٢) فهو حكاية لرغمهم، وتصوير لأصل دعواهم الطولية ههنا، لا للرد عليها من جانب الذكر الحكيم بخلاف ما نحن بصدد

إما على دليل من عقل، وإما على دليل من النقل مكتوب أو غير مكتوب، وقد عرصت الدعوى على هذه المسالك الثلاثة مرتبة في ترتيبها هذا:

عرصتها أول كل شيء على منطق العقول، فثبت أن فيها من المفارقة و لشذوذ عن المعقول ما يدل على أن أصحابها دخلوا في عقوبها، ومن ثم أحدثت سادتهم في حكم موحع (مالكم) أي شيء ذهكم وأصاب عقولكم حتى صوبته بن نصدين؟ ﴿كيف يحكمون﴾ على أي صرب من المنطق أو القياس سون أحكمكم؟ ثم عرصتها على مسيح لاستدلال بأقل لمكتوب ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ دُرُوسٌ ۖ إِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أَتَمِّمِينَ﴾ ﴿عَمَّ﴾ ٣٧-٣٨ يقول بل خبروني إن لم يكن لكم من العقل برهان، هل عندكم كتاب سهوي تقرون فيه مضمون هذا النص وهو أن لكم عند الله ما اشتهيتم وثبتتم من خطوط عاجلة وآجلة، وأنه إذا كان في المقادير حير فتكون لكم فيها خيرة. وتدرسون منها ما لا يرصبيكم، وتأخذون منها ما ترضون وتجارون؟

فلما عجز القوم عن أن يأتوا بوثيقة من النقل كما عجزوا عن أن يدلوا بحجة من العقل، صالهم الله أن يأتوا بمستند شعري غير مكتوب ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ دُرُوسٌ ۖ إِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أَتَمِّمِينَ﴾ ﴿عَمَّ﴾ ٣٩.

بل لو تركنا حديث براهين العقول وبصوص النفوس، أملا أقل من أن يكون لكم عليا حجة في قول مأثور غير مسطور؟ فهل قطعنا لكم على أنفسنا عهداً ومواثيق غير موقوتة بأحد، بل محدودة إلى الأبد، ليست محدودة بهذه الحياة، بل بآلة سارية إلى ما بعد هذه الحياة؟ هل قطعنا لكم على أنفسنا عهداً هكذا صمنا لكم فيه أن حكمكم لأنفسكم نافذ لا مرد له ولا معقب، وأن ما تطمعون فيه من رحمة ونبعة فهو واصل إليكم لا تمسك به؟ لا شك أن النفوس على الله بأنه أعطاهم مثل هذا الميثاق جراءة عظيمة لا يرتكها أحد مثبث بما يقول، غير أن حمية الخدال قد تدفع من لزمته الحجة إن أن يقول ذلك بلسانه وإن لم يعتقد بقلبه، لذلك لم يكتب القرآن مهم في جواب هذا السؤال يقول (نعم) محردة، ولكنه طالب من بقوها أن يكون صامناً لما يقول ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بِآيَاتِهِ﴾

﴿١٩﴾ من من عباده ان يدعي وجود هذا العهد والميثاق من منكم يستطيع بهنص مهده مدعوى، وان يكون محامها وكهيه؟

هذا لا محذور حرس لأسسه، ونحف أربو في خلايمه، لا يستطيع أحد ان يقدم هذا نصه، نكته قد بقي أمام بوشه مدد لم يعلن بانه كل هذه الأسس المضممة نعم قد بقي هم ان يقربوا سما ان الله لم يعصا عهدا بذلك في كتاب مرله ولا في قول ماثوره. ولكن ما شعاعا يستمعون ان الله، وسرلون علي من رحمة ما لم يوحه عن نفسه، ولنت هم للملانكه، ولأسسه واصحابون الذين عذبهم بهربونا ان الله رعى، ما مرحو شف عنهم، وإسه لن يتركوا في تلك الساعه العصيه

هذا الممد الذي نحاول الوثية ان نسلل منه سيعتق القرآن بانه إعلاق محكم، وسكون آخر هذه الخوله هو هدم هذا الحصن الذي ينحصر به شركون ﴿٢٠﴾ ثم شركاء غنائو شركاهه ان كانوا حذير ﴿٢١﴾ يوم يكشف عن ساي ويذعنون ان أشعور فلا يستعفون ﴿٢٢﴾ خيعة أنصرتهم رزقته ولة وقد كانوا يتعذرون ان أشعور ثم سبون ﴿٢٣﴾ اسم ٢١-٢٣، يقول بل هل هم آفة من دون الله يشركونه في حكمه، فيرقوهم ان أمسك عنهم رزقه، ويصرونهم ان معهم نصره، ويصمون لهم من العيم ما لم يكمله الله لهم؟ ان رعموا ذلك، وكانو حاديين مما يقولون، فلهصروا هؤلاء الشركاء ويبرزوهم بل ايدان، غير انه ليس الشأن في حصارهم لأن، وإسا الشأن في إحصارهم حين يجد احد، يوم يشتد الكرب، ويعظم الخطب، وتكشف الشدائد عن سافها، أو يوم تنجلي الأمور، وتظهر لعيوب، وتكشف الحقائق عن سافها، وذلك إما يوم القيمة كما هو

(١) ساي في الأصل سبب الإنسان وسبب شجر فأما كشف الإنسان عن ساي، فيكون في شؤون دينه التي يحد بها أهله فيها جنداء إراعه، ويشتر عن سايه وساعده، وقد نشر اسمهم هذا التبع حتى حد كنهه عن بوهج في شدة، وان لم يكن هناك ساي يكشف ولا ساي يد ينشر عنها، أو، كشف عن ساي الشجر، فيكون هذا لإظهار أصول انبياء في بطن الأرض، وللمسورة عن الأنف، ونشر اسمهم، هذا سبب في معنى إراعه حبه، وإبرار الحقائق لنفسه، وان لم يكن هذا شجر ولا حذغ، لا ساي، لأنه لا قيمة لعدم المعنى كما هو طهر

المتأدر، وإما ساعه الموت، فهي كليهما انكشاف للحقائق المعينة، وشدائد الذكروب الخطيرة، وفي كليهما تير عجز الشركاء والشععاء، فلا تجدي الاستعانة بهم، ولا يُعني الالحاء إليهم، وفي كليهما يموت وقت التدارك، ولا ينفع نصا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسست في إيمانها حيرا، فإذا دُعي المحتصر أو المبعوث من قمره إلى السجود، لم يستطع، ولو استطاع لم يُقل منه

يومئذ يحىء المكذبون ناكسي رؤوسهم، حاشعة أنصارهم خشوع طمع واضطراب لا خشوع طوع واحتيار، ويومئذ تعشاهم الدلة والسكنة حيث يشعرون بأنهم صيعوا الفرصة في حياها، فقد كانوا في الحياة ﴿يَتَّبِعُونَ آلَ الْفُجُورِ وَمِنْهُمْ نُسُورٌ﴾ [نعم ١٢٢] قدرون، فكانوا يأبون ويستكبرون، أما الآن فقد فات الأوان، وذهب وقت لإمكان.

#### ٩- فذرني ومن يكذب. واصبر لعكم ريك

نرى ماذا يكون موقف الرسول ﷺ بإزاء هذا الوعيد الموجه إلى قومه؟

إنه لا بد أن يكون مورع المهتم بين واجه وعاطفته، بين حرصه على هداية قومه وبين إشفافه عليهم من العنت والعذاب، هذه هي طبيعته الثنية التي صورها لك القرآن ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ (البر ١٢٨) نعم لقد كان يلاقي أشد العنت في دعوتهم، وكان يحزنه ما كان يراه من صدودهم وتكديبهم، حتى يكاد سحج نفسه أسفاً على صلاتهم، ولكنه في الوقت نفسه كان يكره أن ينزل بهم العذاب، فكان يدعو ويستعمر لهم، وكان يسكي حين يسمع وعد الله أنه سيحيى به شهيدا عن قومه ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدٌ﴾

[الأنعام ١١٠]

لقد ورث هذا الملك الرحيم عن أبيه إبراهيم الذي كان يقول ﴿مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَافِرٌ بَارِكُ﴾ [إبراهيم ٣٦]، فلا عجب إذاً أن يكون موقفه





لدي وصف في قوله ﴿يَوْمَ نُكْشِفُ عَنْ سَائِرٍ﴾ (الأنعام ١١٢)، وإما إلى الصراط كله بما سطوي منه من هذا اسبأ وغيره، ومن في صياغة الآية الكريمة، فيها نفل دعى من يكذب، وأترك إني أمره علي سأكفكم، ولكنها تقول (دري) أي التركي به، وحل بيبي وبه، لا تمنعي من بدعائك، ولا تحل بيبي وسه شفاعتك، وهذا هو التصوير الحقيقي موقف الرسوم عنه الصلاة والسلام؛ فإنه لم يكن بصدد ادعاء عليهم، أو بصدد استعمال العذاب هم كما قد طرأ، وإنما كان بصدد الاستعطف عليهم والاسترحام هم، فقبل له دعوى أعد فيهم إرادتي، كما قبل لإبراهيم من قبل ﴿إِبْرَاهِيمَ إِقْرَبْ مِنْ هَٰذِهِ فَدَنَا لَهُ فَرَدَّ فَإِبْرَاهِيمَ يُصْبِحُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ عَن ذُلٍّ مَّرْدُودٍ﴾ (مرد ١٧٦)، ثم بين الله أسلوب هذا العذاب الموعود، فقال له جئت بحكمته ﴿سَنَنْزِلُجَهَنَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ فَأَتَى لَهُمْ بِذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الأنعام ١١٤، ١١٥) أي أسأل من هم هذا العذاب وحياً في التور والساعة، ولكنا سديهم ونقرهم منه رويداً رويداً، وستنزّلهم إليه درجة من حيث لا يدرون أنهم سائرون إلى هلاكهم؛ وذلك بأن يريدهم نعمة كلما أرادوا معصية، حتى يطمئنون إلى دينهم، ويصبروا أن ما سدهم به من مال وبين سارع لهم في الخيرات، وسأمل لهم، سأطيل لهم لعمر، وأرخي لهم الحبل، حتى يحسوا أن ما سمل لهم حيزاً لأنفسهم، إن هذا الكيد والتدبير الذي ظاهره الرحمة وبطنه ليلاء وانقمة، لا أصعه عجزاً عن مجاهدتهم بعداي، ولكن زيادة في تحييب آمالهم، لتكون الصدمة بعد ذلك أفسى وأعمق حين يؤثرون من مآلهم، فإن كيدي متين، محكم ليس فيه ثغرة تم على ما يراد بهم، ﴿سَنَنْزِلُجَهَنَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ فَأَتَى لَهُمْ بِذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الأنعام ١١٤) هكذا كان إمدادهم بالنعمة والإملاء هم في العمر، وإن كان ظاهرها الرحمة، كانا في الحقيقة وبالاً عليهم ونقمة، وهو جراء من جس العمل؛ فقد كانت النعمة هي مست التكديب، وستكون إدامتها ثوباً وغلاًفاً لعقوبة هذا التكذيب.

لكن ما يدريها، فلعل هناك سبباً وحيها غير نظر النعمة هو الذي حمهم على



كانت بسبب استعصانهم عن دعوته لكف عنها، أما وهي عُم حنص هم لا معرم فيه، وعلوم مافعة ضرورية عنه لا سبل لهم إليها عن غير طريقه، فليس لعداؤهم سب من قبله هو ولا من قبل دعوته، وإياها هو شيء وقر في صدورهم من العدو الكرياء وحمة الجاهلته!!

وهو سب خارج عن إرادته، مستعصي على حديثه، فهو الآن بين أمرين لا ثالث لهما، إما أن يترك الدعوة صجرًا بهم ويأسًا منهم، وإما أن يثابر عليها كما هي، صابرًا على لأوائها، فأبي الأمرين يحترق؟!

هنا بتقدم إليها الإرشاد الرباني ﴿فَصَبِّرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُكْرِهْكَسَاحِبْ ثَغْرَكَ إِذْ تَادِي وَفَرَّ مُكَلِّبًا ۝١٢٠﴾  
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَبِّهْنَا بِالْعَمَاءِ وَهُوَ مَسْمُومٌ ۝١٢١﴾ فَأَمَّا رَبُّهُ فَسَمِعَ مِنَ الْمُتَلَبِّسِينَ ﴿١٢٢﴾ وَلَوْ كُنَّا أَعْيُنًا لَكُنْزًا  
 لَنَرَيْنَهُ أَتَمِّمًا لَمْ يَحْمِلْ إِلَيْنَا رُفُوسَهُ لَنُنَبِّئَنَّ ۝١٢٣﴾ وَفَاوْزًا لَّا وَكَّرَ الْعَلِيمُ ﴿١٢٤﴾

هذه هي الشعنة الثانية من التوجيه السهاري لصاحب الرسالة العظمى - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله -، يقول لقد قصي ريث أن تكون بعثتك في هذه الأمة التي فسّتها الدنيا وأطرتها فأعرضت عن دعوتك، وقرص عيذك أن تلعب بهم رسالته على رغم ما تكلمه منهم من مقاومة وعباد، فاصبر لقضاء ربك، واصر على تليعهم واصر على تكديهم، كما صبر أولو العزم من الرسل، لا تُنْقِ سلاحك، ولا تمرّ من ميدان الجهاد، ولا تعمل بالخروج من قريتك مهاجرًا كما فعل صاحب الأخوت يونس بن متى - صلوات الله عليه -؛ إذ بعثه الله إلى أهل النواصل، وكان من أمره ما قصّه الله علينا في مواضع متفرقة من القرآن المجيد (يونس، والأنبياء، والصافات)؛ ذلك أنه لما كذّب قومه، نوّعدهم بعذاب سهارى عاجل، ثم حرج من بينهم مُعاصيًا ومهاجرًا، كما كان يجرح الأنبياء قبل برول العذاب على قومهم، وكان نظرًا أنه حين يجرح من بلدة الكمر سيجد في الأرض سعة، ولم يكن يظن أنه سيخرج من صيق إلى صيق أشد منه؛ إلى نظري الخوب الذي التّقّمه حين ركب السفينة المشحونة المشرقة على العرق التي كان لا بد من تخفيف

حمدني برفاء بعض ركنها، فامر عدا، فوعدت الغوطة عليه، فألقى بنفسه في ليم،  
فكـ نظر خوت به سحب، عمروه على إياقه وفراره، ولكنه كان سجيناً قصير المدى،  
حمد العاقبة، تذكر به ربه وعرف به ديه ﴿يـ ردى﴾، في طعمة اسبل، وطلعة  
سحر، وطلعة نظر اخوت، محوم من الأندلس في هذا الصدوق الحيوي، ولكن الله  
سمع دعاءه، فاستجاب له ووجه من اعظم، وأوحى إلى الخوت أن يلغظه على  
ساحل، فلغظه مهوك القوى نعره، في أرض حوداء لا شجر فيها ولا مأوى،  
ويكن الله أنت عليه شجرة من يقطر لا ساق ماء، فمدت عليه ظلها وأطعمته من  
شعرها حتى انتعش ﴿لَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نَفْثَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَكُنْتُمْ أَشْجَارًا مَذْمُومَةً﴾ اسم  
١٩، ويكن الله أعم عميه بقبول توبته، وتبريح كرتيه، وإيوائه في عربته، فلما بُدِ  
بالعراء لم يسد وهو مدموم عروم، ولكن وهو مكرم مرزوق مرحوم ﴿فَسَلِّمَةً  
رَبُّهُ﴾، فاصطفاه ﴿سَلِّمَةً يَرْتَضِي﴾ الكامل الصلاح، فرجع إلى قومه، فأموأ به،  
وكشف الله عنهم العذاب سريهم كما كشف الكرب عن سبهم سوته

ولم تكن توبة يوس عن دس حالف فيه أمراً صريحاً من ربه؛ وإنما اجتهد  
اجتهاداً نو صدر عن أحاد الناس لكان لهم فيه أجر، بل أجراء، أليست مقاطعة  
أهل الكفر ومحابة أهل الفسوق هجرة في الله؟ ﴿وَقَدْ رُئِيَ مَلَكُوتُ رَبِّكَ إِنْ إِذَا تَجَمَّعَ  
أَتَيْنَ اللَّهُ بُكُورُهَا وَيُتَنَاهَا بِمَا لَمْ يَلْمِزُوا مَعَهُ شَيْءٌ مَوْصُوفٌ بِحَيْثُ غَيْرُهُ يُتَكَلَّمُ لَهُ بِتَلْهِدٍ﴾ (الباء ٥٤، ٥٥)  
غير أن شأن المصلحين ألا يجملهم العصب على سرعة اليأس، ولعل الأخرى  
بالرسل أن يترشوا بانهجرة رشا برز إليهم الإدن بصريح النص، والله يحب لآسيبه  
أن يحتاروا الحطة لئلا، وأن يسروا إلى الدرحة المضل، فكان ذنب يوس أنه احتار  
ما هو خلاف الأفصل وكذلك كل ما ورد في عتاب الأساء والمرسدين إلى كان  
خطأ منهم في الاجتهاد باختيار رحمة هي ألبق بعامة الناس، وما أحسن ما قيل  
﴿حَسْبُ الْأَرَارِ سِنَاتُ الْمُقَرَّبِينَ﴾، وصدق الله ﴿وَمَا مِتَّا إِلَّا لَهُ مُقَدِّمٌ مَقْلُومٌ﴾،  
لذلك أراد الله ألا تنكسر هذه التجربة على يدي خاتم الأنبياء صاحب الخلق

العظيم، فوضاه بملازمة الصبر على عباء الدعوة، وانتظار الإذن الصريح له بالهجرة، وقد قدم الرسول عليه الصلاة والسلام - بهذه الوصية خير قيام، ففي مكة بعد أن هاجر منها أصحابه كلهم، ولم يبقَ منهم إلا اثنان رفق في السفر (أبو بكر)، وأميه عن الودائع (علي بن أبي طالب)، ولم يهاجر إلا بعد أن أدن الله له بهجرة في ليلة المزامرة لعادته التي دثرها المشركون لأعياله، مردُّ الله كيدهم في حشرهم، وجعل له في مهاجرة مُراغماً كثيراً وسعاً

**تعليق ختامی الصبر المحبوب:**

ليس الصبر المطلوب من الرسول ﷺ هو مجرد الصبر على المقام سهماً، وعدم  
الهجرة من دارهم؛ ولكنه أيضاً وقبل كل شيء الصبر على ما يفعلون ويقولون. صبر  
على حنقهم وغضبهم، وصبر على اتهامهم له بالحنون، على اتهامهم لنقرآن في طي  
ذلك بأنه قول مجنون ﴿وَيَذَّكَّرُ بِهِ لِيُنْذِرَ لِقَوْمٍ يُغْفَرُ لَهُمْ﴾ [النجم: ٥١، ٥٢].

لو اتخذ القرآن الأسلوب العادي في الحجاج، لبدا السورة بذكر هذه التهمة، ثم عقب عليها بالرد والتصعيد، ولكن الله كان أرق بقلب عبده من أن يفتح خطابه معه بذكر مطعن أعدائه فيه، فبدأ السورة الكريمة بإعلاني طهره، وبرأئه من بقية الشبهة والخصوم، وأثبت مكانها انتزاعه بعقله الحصيف، وعلمه التام، وحلقه العظيم، ثم وصع في مقابلة هذه السورة الكريمة بما فيها من أحمل المواقف صورة أعدائه بما فيهم من أمحش العيوب والمثالب، ثم قرّر مصير كل من الخريين، وبعد أن أوسع لسانه في هذا كله، جاء أخيراً وأخيراً فقط يشير إلى مقالهم العاخر، على أنه لم يذكره مجردة عارية، بل أحاطها بما يلطف وقعها، ويبرز ما فيها من رور وصلال بعد!!

بعم لقد نلّطفت الآية الكريمة مرة أخرى في التمهيد لهذه المقالة، عزيز مكشبة

بدت سمهد الطويل في لأيت الخمس قبلها، فلم تبدأ بحكاية نصر الانهم  
لحزرها بل بدأت بوصف التواعث التي صدر عنها هذا الانهم، وتحديد الملاحظات  
التي صدر فيها.

أما سوعث فقد ثبت أنه صدر عن نفوس معيطة محقة، تكاد عيظها وحققها  
بعمها وبصمها، فكما أنهم «وكانوا لا يستطيعون سفا» للقرآن، كانوا لا يطبقون  
نظراً سبي القرآن <sup>١</sup> بل كانوا يد لمحوه علت مراحل صدورهم حقاً، وصاروا  
يتصورون أن ترن به قدمه، وأن يرنق فيقف صريحا ليرول شاخصه من أمام أعينهم،  
وكن هذا لانفعل الصبي بطع في نظراتهم، فيطرون إليه نظرة ساحتة مائة تكاد  
تصرعه، حتى لو كانت هناك نظرة تصرع عدوه لصرعته «وكذا كان كثرة التواعث  
بأنهم من سحر يذكروا» [٥٠] كانوا لا يستطيعون سماع النفوس إذا ثائرة مسمعة،  
واسطرت ملتهبة مشتعلة، أفنك حالة يطمأن فيها إلى صدق في بقول أو إلى عدل  
في الحكم؟! بدت هي الحالة التي اسعنت منها مقالتهم.

وأما الملاحظات التي صدرت فيها، فقد ثبت الآية الحكيمة أنهم لم يقولوها عنه  
وهو في تصرفاته اليومية يباشر شؤونه العادية، قولية أو فعلية، وإنما كانوا يقولوها  
«ننا سفا نذكر» حين كان يتلو عليهم القرآن، فيرون فيه ما هو فوق طاقتهم  
جرلة ورصانة، وصفاء دياجة وسحر بلاعة، ويرون فيه مع ذلك خروجاً عن  
عقائدهم وعوائدهم، وثورة على موروثاتهم ومقدساتهم، فلا يجدون تعبيراً عن  
دهشتهم وسخطهم إلا أن يقولوا «يئة لمجنون» [القدم ٥١]

هم إذا حتى في حالة سخطهم واشتعال نفوسهم لا يهتمونه هو في الحقيقة  
بالمجنون؟ وإنما يهتمون لقرآن نصه بأنه قول مجنون، ولذلك لم تُنق الآية حاجة إلى

(١) انظر إلى الأدب السامي في حكاية القبل، ألا ترى كيف تنطبت الآية، فلم تواجه الرسول ﷺ  
نفس من الخطاب لكرهه له، إذ لم تقل ويقولون بك المجنون



نثرة الرسوب **بكتة** بصره، وإنما جاء بيان المرافقة الصارحة بين وصفهم بقرآن وبين طبيعة القرآن.

أهدى القرآن الذي هو مثال الحكمة والرشد ومعار الصدق ولعدل يُقال عنه، إنه قول مجنون ١١٩

أهدى القرآن الذي جاء ذكرًا ونسيها للعقول، بوقفها من عملتها ويخرجها من الظلمات إلى النور، وجاء ذكرًا وتنوعًا شأن أناعه يسمو بهم حتى يجعلهم خلعاء الأرض وورثة الفردوس ١١٩

به ليس ذكرًا لعتة محصورة من الناس، ولا لعصير محدود من العصور.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القم ١٥٢) للمحقق كافة، مذكور إلى يوم الدين، وصدق الله العظيم.







## القسم التاسع

### سورة النبأ

ومولّد الدعوة الإسلامية.. وتساؤلات المشركين

١- تمهيد.

٢- آيات الله هي الكون والأنفس.

٣- التذكير بأنهم الله.

٤- صحة البعث.

٥- شواهد البعث وأماراته.

٦- أحوال الأشقياء وأحوال العباد.

اللوحة الأولى من [٢١-٢٠].

اللوحة الثانية من [٣١-٢٨].

- عبرة السورة ومفزاها من [٣٩-٤٠].





وإكباراً ونهيداً للشأن الذي يحرضون فيه

[illegible]

عن أي شيء يتساءل هؤلاء الناس؟

ثم يجيبهم يساءلون عن أسأ العظيم، واحمر الخطير الذي كان من حقه أن يبعث فيهم ناعته الحذر، ولتأهب لدرء احصر، ولكهم شعلوا عن الحد باطل، فأخذوا يتدرون في لتعقب على هذا السأ بمختلف الأمالب الساحرة كادي تنهم النار أضراف داره، وهو عليها لا وفي سمره مع أصحابه.

وكان من الحكمة والرحمة بهم أن يردعهم الله عن هذا الموقف الطائش، فقال:  
كَلَّا لَيْسَ الْمَحْدُثُ بِمِثْلٍ تَسْأُولُ وَاحْتِلَافٍ؛ فَإِنَّهُ أَمْرٌ وَقَعَ لَا مَرَدَّ لَهُ، وَاصْبِرْ لَا مَرِيَّةَ  
فِيهِ، ثُمَّ أُنْذِرْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ بِأَنْ مَا هُمْ فِيهِ الْيَوْمَ مِنْ تَرْدُّدٍ وَإِنْكَارٍ سَيَصْبِحُ يَقِينًا وَمَعِينَةً  
لِلْحَقَائِقِ، وَرَبِّهِمْ سَيَعْلَمُونَ عَدَّةَ جَلِيَّةِ الْأُمْرِ بَعْدَ الْبَيْعِ مِنْ حِسَابٍ وَجَرَاءِ

ثم كن من مزيد رحمة لله بالعباد، أن هذا الإلزام المؤكد لم يتركهم في عملهم عنه، بل أن يعاجلهم برفعه، بل طلق يقيم على صدقه الشواهد والدلائل ليعلموه علم اليقين قبل أن يروى عين البقير، فهي الآيات التالية تروى القرآن الحكيم يسرد علينا من براهين قدرة الله، ودلائل حكمته، ومظاهر عبادته ما فيه مقنع لمن يتبع الحق في شأن هذه النشأة الآخرة.

### آيات الله في الكون والأنفس:

[illegible]

أحدث السورة الحكيمة نوحه أنظاراً إلى آيات الله في الكون وفي أنفسه، وبدأت بآياته في الأرض التي سكنها، فجعلت تذكرنا كيف جعلها الله مهاداً وورثاً وموطئاً مهياً للإقامة عنده، كمهد العمل المعد لراحته، وكيف أرساها وثبتها

بالحال، كما ثبت العسقاط بالأوناد؛ لكيلا تكون دائمة الاضطراب بما في جوفها من المواد شائرة العوارة، أو بما حولها وما فوقها من أمواج المحيطات والبحار.

ثم أحدث تلفتنا إلى النظر في أنفسنا، كيف حلف الله أرواحنا دكوراً وإناث نتحم بسببها آصرة المودة والرحمة، ويكون من اردواحيها حفظ النوع بالتناسل؟ أو أرواحنا وأصناف تمثل في مختلف القوى والمواهب النزاعات والملكات؛ البدنية والوجدانية والعكرية ليكمل بعضها بعضاً في إصلاح شؤون البشرية العامة والخاصة، أو أرواحنا على مباحث مختلفة في الدين والخلق لتعرف قيمة كل بمقابله، وكيف جعل نومنا سباتاً؟!

راحة ودعة نستعيد بها ما انتقصه العمل من قوتنا

أو سباتاً؛ انقطاعاً عن العمل، وتمضلاً لحركة الخواص والعقول، وتمثيلاً لطاهرة الموت؛ فاسوم إحدى الموتى: «وهو أذى يتوقعكم بالآلئ ويفلن ما جرحتم بالثمر ثم ينحسكم» (الأنعام ٦٠)، «الله يشرق الأنس حين موتها وألئ لم تثن في منامها»

[المرمر ١٤٢].

ثم كيف جعل لنا الليل لباساً يعطسنا ويسترنا بظلمته كما يعطي الثوب لابسنا ويستر هورته، ثم يعبسنا عن الهدوء والاستحمام، ويقينا من بللة الصوء وإزعاجه لأعصاننا، كما يقي الثوب لابسنا من متقلبات الحر.

وكيف جعل لنا النهار معاش؛ حياة ويقظة في مقابلة مودة النوم أو وقت نعيش وتقلب حوائج في مقابلة تعطيل النوم عن العمل.

**التذكير بانعم الله وآياته الكونية،**

وترقى اسورة من هذا التذكير بأنعم الله في أنفسنا وفي الأرض التي تقلب وترفع أبصارنا إلى الأفاق العليا لتذكرنا بآيات الله وآلاته في السماء التي تظلم كيف ساء طبقات مسعاً شداقاً، سوية لا حائل فيها، قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان،

وكيف جعل فيها سرّاً وثقّاً مصباحاً مبرّراً شديداً الإشراف حاداً قوياً الحرارة  
 دلت هو الشمس التي على حرارتها وصوتها تقوم حياة الكائنات الحية وبموها  
 وصلاحها

وأخيراً نحم هذه النسيجات إلى آيات الله في الأرض وحدها وآياته في السماء  
 وحدها بالآية التي تخص من اردواح السماء والأرض معاً تلك هي آية إيراد الماء  
 الشّجّاح المضبّ المتبع الانصاب من المعصرات والسحب التي تعصر منها  
 الأمطار تنقيح الرياح، وما يشأ من بزل هذا الماء إلى الأرض من خروج الحب  
 والبسات قوتاً لنا ولأعنامنا، ومن خروج احبات الأعلاف والساتين الملتعة الأشجار  
 التي تخرج سطح الأرض وتعطيه لتضرب أعصابها وطول أماسها تفكهة لنا وتكميلاً  
 لمتعتنا بها لها من منظر بهيج وظل ظليل.

### العلم بصحة البحث:

هذه كلها جوابات من صرح الله في أنفسنا وفي آفاقنا، من نظر فيها بعين الاعتبار  
 وجد في كلّ جانب منها دلالات ثلاثاً على صفات الخالق العظيم، وانتقل من العلم  
 بهذه الصفات إلى العلم بصحة البحث.

فاخترع الصفة البديعة وإحكامها برهاناً على قدرة الصانع وعظمته، واستتاع  
 هذه الصفة لعنايت جلييلة، ومنازع جريئة، دليل على سعة علم الصانع ودقيق  
 حكمته، وعجيبة هذه العايات على وفق حاجات الإنسان ومصالحه دليل على مبلغ  
 لطف الله بالإنسان وعنايته به، وكل واحدة من هذه الدلالات في الحال شاهدة على  
 نظيرتها في عالم الاستفصال؛ فإن من قدر على الإشاء والإبداع، كان على الإعادة  
 أقدر، ومن تحرّى في كل جرثة من صمته توصلها إلى عاية معقولة وعاقبة ملائمة،  
 ولم يتخذ شيئاً منها عتاً وباطلاً إلى عاية أعلى وعاقبة أسمى.

ومن كان ملع لطفه بالإنسانية ورعايته لمصالحها على احد الذي وصف، لا  
 يُعقل أن يصيب عمل هذا الإنسان هباءً، فلا يقسم له ورناء، ولا يمكن أن يسوّي بين

إساءته وإحسانه، وهدية وصلاته، كلاً، إن سوانق انعباه بذلُّ على لواحقها لا جرم كانت هذه الشاة للإنسان معرفة حتى إلى أخرى يؤدي إليه فيها حواء ما كسب أو اكتسب، عن أن في بعض جواب التي تناولتها هذه الآيات الكريمة دلالة رعة على أمر البعث ونحقق وقوعه، باعتبارها معوداً حاصراً لحقيقة البعث المسئلة، يعني هذا الجانب العملي التحريبي طهره البقطة بعد اليوم، وطهرة إحياء لأرض بعد إزال الماء عليها؛ فإن في كليهما حياة وشوراً بعد موت وحمود، ومن أحل ذلك تكرر الاستدلال بهما في القرآن الكريم.

### شواهد البعث وأماراته،

تلك هي شواهد البعث وأماراته:

لكن متى تكون مشاهدته ومعايته التي كرر الله الوعد بها في قوله ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ (نوكلا سينشرون) ﴿الباء ٥١﴾ بتحديد الموعد المصروب لهذه المعاية.

﴿إن يوم المصركم ميعاد﴾ يوم نسمع في الشر من أنون نوحاً ﴿وحيث أنشأنا لكاب ثوباً﴾ وشرب تمدن مكات سراد ﴿الباء ١٧ - ٢٠﴾ يقول: إن الموعد الذي حددته الله لإظهار هذه الحقائق، وجعله لها وقتاً لا تتقدم عنه ولا تتأخر هو نفسه اليوم الذي يكون فصل انقضاء بين الخلائق، وتميز المحق منهم والمطل، والمحس والمسيء، بل يكون بين الاطلاع على الوثائق وبين النطق بالحكم مهلة للتدارك، وإذا فليس في بقول مسوع لا انتظار المعاينة، إن اعاقل من أعمل فكره، وأحد حذره قل حلول ذلك اليوم، ذلك يوم ينادي الله الخلائق كما ينادي قائد الجيش حدوده لتسير بنفخة واحدة في بوق الإندار، فإذا هم محتشدون كل في صفه وفي فرقته، كذلك إذا أراد الله جمع الحق للحساب ﴿بما هم رخرة وجدة﴾ ﴿الافات ١٩﴾ يقول. ﴿حس﴾، فإذا هم يأتون أمواجاً جماعات وطوائف، كل أمة بإمامها، وكل شكل متحار إلى شكله، فيرون وبها هول ما يرون، العلم علويه وسعليه، قد تكورت معالمه؛ فلا السماء هي السماء بحكمة المتناسكة، ولا الخيال هي الخيال الراسحة الراسية، أما السماء فقد تشفتت

وبدت فيها خلجان كثيرة، ولشرب لعظمه، حتى أصبح كأنها كنها أبواب، وأمر الخبال فقد سبب وسيرت في الهواء، فصارت غارًا متكاثفًا كالعهن أو كدهاء أو كالشراب؛ بمعنى أن الذي ينظر إليها من بعيد يرى صورة الخبال ولا جان، كالشراب لدى ﴿يَحْسِبُ الْمُشْكُونَ مَاءً حَلِيًّا إِذَا جَاءَهُمْ بِهِ فَسَيَّئَرُوا فَهُمْ يُحْشَرُونَ﴾ (البور ٣٩)

### أحوال الأشقياء وأحوال السعداء

هذا كله تصويرٌ لشيء من الأحوال الرهيبة والأحوال العالمية العجيبة التي تقع في يوم فصل القصد، أما الفصل نفسه والنتائج التي يسفر عنها فتعرضه الآيات التالية في لوحين لوحة تصور أحوال الأشقياء، ولوحة تصور أحوال السعداء.

اللوح الأول تدو هكذا ﴿إِنَّ هَهُنَا مَرْجَدُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الطمير مَنَامًا ﴿لَشَيْءٍ فِيهَا أَسْمَاءٌ﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا مَاءً وَلَا شَرَابًا ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ حَرًّا وَبَارِدًا ﴿يَجْئُوكَ مِنْهَا لَا يَرْجُونَ جَنًّا﴾ وَكَذَلِكَ يُقَالُ كَذًا ﴿وَكُلُّ مَنْ أَحْمَسَ مِنْهَا﴾ مَذُوقُهُ مِنْ رَبِّكَمْ لَا عَذَابُ فِيهَا ﴿(النبا ٢١ - ٣٠)﴾.

هذه هي صورة دار العذاب، - جهنم بجانب الله من عذاب -، فقد جعلها الله ورقًا مورودًا للحلق أجمعين، ثمهم وفاجرهم كما قال تعالى في سورة مريم ﴿قُلْ يَصْطَكُمُ إِلَّا وَرْدَهُ﴾ (مريم ٦١)، وجعلها في الوقت نفسه مرصداً مكان رصد أو آلة رصد أو دت رصد ترصد الناس وترقبهم لتمييز شقيهم من سعيدهم، فعند بابا معترق الطرق إلى السعيم أو العذاب، أما المتقون فيأخذون عندها جوار مرورهم إلى الجنة ﴿إِنَّ يَنْتَقِبِينَ مَعْرَ﴾، أما الطالمون فيحجرون عندها ليقتلهم في هويتها، فتكون هم دَرَّ قرارٍ للطاعين مَأْوًى وَمَرْجَعًا كَأَنَّهَا هِيَ وَطَنُهُم الَّذِي رَجَعُوا إِلَيْهِ مِنْ سَفَرِهِمْ، وهذا التفسير الذي ذكره مرفقاً حي به مجتمعا في سورة مريم، ﴿ثُمَّ نُخَيِّضُ الرِّيحَ نَوْمًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (مريم ٦٢)، فإذا دخلها الطالمون لبثوا فيها وأقاموا أحقاً ودهوراً طوالاً، كلما مضى حقب ملاء حقب، لا يجدون فيها فترة من الراحة، ولا يدوقون فيها الرد إلا غساقاً، ومهرياً نادراً كالليل المدفع لا يطاق برده، فمزق أوصالهم، ولا يذوقون فيها الشراب إلا حميماً لا يطاق حرقه، فقطع



أمداءهم: جرأة وفقًا لمطابق لسوء أعمالهم، فقد جاءوا بأسوأ السيئات؛ إذ كفروا بالله، فكانوا لا يؤمنون بصفاته، ولا يخافون حسابه، ولما جاءتهم آيات الله وحقه، كذبوا بها كيدًا؛ تكديسًا شديدًا، ذلك وعد أحصى الله أعمالهم وسجدها كتابه، كما أحصى كل شيء فهو عدده في كتاب، لا يصل ربي ولا سى، فمن يصنع عدده عمل عامل ولو كان مثقال ذرة من خير أو شر ۱۱

وتحتم هذه السورة بأشد آية برلت في الانتقام من الطاعين، أي نراى لنا من خلالها صورة المعدين وهم يستغيثون، فلا تجاب استعائتهم إلا بعكسها كلما استعاثوا من لول أعبثوا بأشد منه، وقيل لهم: ﴿فَذُوقُوا مِنْ رُبِّكُمْ يَوْمَ تَعْدَى﴾ (٢٠) وهي زيادة لن مراها إلا ضرورة في الحكمة العليا، لإيقاظ شعورهم بما هم فيه، فإن من تعود درجة واحدة من اللذة أو الألم، وطأ عليه أمداء، ضعف إحساسه بها، وصار يحدد شعوره مستوحيا لنوع جديد، أو مقدار مزيد، كما أشر إليه القرآن الحكيم في موضع آخر ﴿كُلَّ نَفْسٍ لَطْمَاسُ رُبِّهَا بِذُنُوبٍ عَثَرَ يَدُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: ٥٦) نعود برصوان الله من سقطه، ويرحمته من سوء عقابه

### والسورة الثانية تبدو هكذا:

﴿إِنَّ لِلشَّقِيِّ مَعَارَ ۖ حَتَّىٰ وَاحٍ ۖ وَكَوَامَ أُنْتَرَا ۖ وَتَلَا وَهَاقَ ۖ لَا تَسْتَوِي فِي لَعْنٍ وَلَا كَذِبٍ ۖ ﴿٣٨﴾ مَرَّكَ عَطْلَةً جَعَلْنَا ۖ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمُوتُ ۖ يَلْجَأُ الْبُاطِلُ إِلَىٰ يَوْمِ نَفْثُ الزُّوْجِ وَأَسْلَفَكَ سَقَا لَا يَكْفُرُونَ ۖ لَا مِنْ أُولَٰئِكَ الْزَحْمَىٰ وَقَالَ صَوَامًا ۖ ﴿٣٩﴾﴾ [النبا: ٣٨-٣٩]

هذه صورة دار الكرامة التي وَعِد المتصون، فقد جعلها الله لهم معارًا، دار نجاة من المخاوف، وطمر بالمطالب، جمع لهم فيها أنواع المتع الحسي، والمتع الروحي المسكن الحميل، والقربين الأليف، والشراب الهنيء، والمجتمع المهدب. المسكن حميل، في الحذايق، وهي الساتن المسورة فيها مختلف الأشجار والكروم، ولقريبات أليفات، في سن واحدة من الشباب الناصح، أتران في أنفسهم ولأرواحهن، ليتم بينهما الامتراح النفسي متناسب الأدواق، وتشابه الممارع والمبول،

ولشرب شهية في الأنداح الطورية لمزجه المملوء، ثم المحتجم كله محتجم مثالي، لا لغو فيه ولا فصول، ولا تناقض فيه ولا تكادب.

جراهم الله ذلك كله من حراء بما أحسوا في هذه الدنيا، وهل حراء إلا إحسان؟

غير أن هذا الحراء إذا قساه إلى العمل لا يره في القياس مثل جراء الصاعين؛ فحراء الصاعين كس حراء وفاقاً أي مساوياً لأعمالهم؛ لأن عدل الله لا يحري بالسبب لا مثله، أما جراء المتصين فإن (جراء) و(عطاء) حراء هو أحر على عمل، وعطاء وهو علاوة فوق أحر العمل؛ لأن فصل الله بحري الحصة بعشر أمثاتها إلى سبعين ضعف إلى ما شاء الله من الأصعاف المصدعة، وكان جراء الظالمين مقيساً إلى ما ارتكبو من عمل، أما جراء المتقين فإنه يقاس إلى ما لهم من رعة، وما عندهم من أمل، فيعطيه الله من ذلك ما يحقق آمالهم، وما هو حسبهم وكفاية رعاتهم عطاء حساد، وأي شيء يمتع الله من ذلك، وهو رب السماوات والأرض وما بينهما، يتصرف في ملكه كيف يشاء، وهو (الرحمن) وصفته الرحمة يختص بها من يشاء؟ ليس لأهل السماوات ولا أهل الأرض أن يعترضوا عليه ﴿لَا يُلَاحِظُونَ جِغَارَ﴾ (البقرة ٣٧)، فضلاً عن أن يملكوا رداً لقضائه، أو إعلالاً لخرائن نعمائه، وكيف يملك أحد منهم هذه المعرصة في يوم الفصل، في حين أن الروح الأمين (جبريل) وسائر ملائكة يقفون يومئذ صفاء صافين أقدامهم، حاشعة أصواتهم، لا يتكلمون إل من أدن الرحمن له بالكلام، ويطوق بالحق والصواب!!!

### عبارة السورة ومفزاها:

﴿ذَلِكَ أَنْتُمْ الْحَقُّ قَسْرَاءَ مُجْدِي رِيءَ مَتَابَ﴾ (١) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ عَدَاكَ قَرِيبٌ يَوْمَ تَنْظُرُ لَمْ تَرَ مَا قَدَّمَتْ يَدًا

وَقَفُوا لَكَ أُولَئِكَ كَفَرْنَا﴾ (البقرة ٢٩-٣٠)

هذه هي عبارة السورة ومفزاها، والتشحة المطلقة التي تنتهي إليها مقدماتها، أسأتها السورة منها العظم عن يوم العث، ثم سطت لـ دلالة وشو هذه، ثم

جعلته هو يوم الفصل وتقرير المصير، ثم صوّرت هذا المصير لأخير في صورته المتقاسمتين بعيم حالص دائم، أو شقاء حالص دائم.

فإذا كان هذا هو شأن ذلك اليوم، فهو وحده اليوم الحق، وكل الأيام ساقطة من إليه سراب باطل، وظل راتل، ما أمصر أيام الدنيا إذا ولو طالبت، وما أهون بدائنها وآلامها وإن عظمت، فالعاقلة الخسر العبد البطر هو الذي يعمل هذا اليوم الأكبر ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُصْلِحْ رُبَّهُ﴾ [سورة النازعات: ٢٧-٢٩] استعد للقاءه، وتأهب لحسن القدوم عليه، فتروود بزاد الإيثار، وتحلّ بلباس التقوى.

وهي تتوجّه الرحمة الإلهية إلى الناس جميعاً، فتبث إليهم بدارها لأخير بالعدب المنتظر، وذلك ليصل منهم المدبر، ويحدّ المقصر، ويُفْلِحَ المسيء عن إساءته، ويرداد المحسن من إحسانه، وتسمى الآيات هذا العذاب قريباً، وإن كان لعامل يراه بعيداً؛ ذلك لأن كلّ طويل عند النهاية يتقصر، وكلّ بعيد عند بلوغ أجله يتقرب ﴿أَمْ يَتْلُوا الْقُرْآنَ مَكْرَهًا ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْيَوْمِ الَّذِي يَصْعَدُ فِيهِ السَّامِعُونَ ۚ إِنَّهُمْ فِيهَا يَسْمَعُونَ ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْيَوْمِ الَّذِي يَصْعَدُ فِيهِ السَّامِعُونَ ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْيَوْمِ الَّذِي يَصْعَدُ فِيهِ السَّامِعُونَ ۚ﴾ [سورة النازعات: ٢٧-٢٩]

{سورة النازعات: ٢٧-٢٩}

يومئذ يسي سائق العجيم، ويمطوي مديد زمانه، ويرى الناس ما مضى عنه كأنه فترة أحلام ﴿كُلُّهُمْ يَوْمَ يَمْشُونَ أَمُودًا ۚ تَوَسَّعُ الشَّيْءُ يَوْمَ ذَا الْحِجَابِ﴾ [سورة النازعات: ٢٥-٢٦]. ذلك يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم يقرأ كلّ امرئ كتاب عمله، ويحاسب كلّ امرئ نفسه. ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ ۖ يَتَعْنَىٰ لَوْ كَانَ قَدْ بَقِيَ فِي الدُّنْيَا تَرَانًا، وَلَمْ يُخْلَقْ بِنِسَانًا، أَوْ يُوَدُّ لَوْ أَنَّهُ بَعْدَ النُّعْثِ عَادَ تَرَانًا مَكِيلًا بِحَسَبِ هَوْلِ مَا يَرَىٰ، وَشِدَّةِ مَا يَلْقَىٰ

فهل بقيت لأحد على الله حجة؟ لقد أعلن من أنذر!

\*\*\*



القسم العاشر  
سورة التكويد  
والحديث عن أركان الإيمان

١- ربط سورة التكويد بسورة الباء.

٢- الحديث عن ركن البعث.

٣- الحديث عن ركن الرسالة.

- ما منطوق هذه الشهادة؟

- الرد على المكدين لرسالة الرسول ﷺ

- إعلان النتيجة في شأن الوحي.



**نور من سورة التكويد  
الحديث عن أركان الإيمان  
ركن البعث.. وركن الرسالة**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩. ربط سورة التكوين بسورة النبأ

كان ختام سورة السابقة (سورة النبا) إمداداً شديداً بيوم، أوله فرع، يعر لمرء  
من أقرب الناس إليه، وآخره إما مسرة تبيض منها وجوه، وإما حسرة تكفهـر منها  
وجوه.

وكان من شأن هذا الإندار المردوح أن يثير سؤالا مردوجا عن كُنه الحادث  
الخلل الذي يورث الناس هذا الدهول عند الصدمة الأولى، ومسؤولاً عن سر هذا  
لمرح أو الحزن اللادي على الوجوه بعد ذلك

فجاء صدر سورة التكويد عن هذين السؤالين في جملة واحدة تألف من أربع عشرة آية قصيرة:

﴿وَادَّ الشَّمْسُ كُوْنُهَا﴾ ﴿وَادَّ النُّجُومُ امْكُودَ﴾ ﴿وَادَّ الْبِلَالُ سُبُورَ﴾ ﴿وَادَّ الْوَسَّارُ فُطُورَ﴾ ﴿وَادَّ الْوُجُوهُ حُشْرَ﴾ ﴿وَادَّ الْيَسَّارُ سُبُورَ﴾ ﴿وَادَّ الشُّعْرُ رُجُوبَ﴾ ﴿وَادَّ الْقَوَّةُ مَهَبَ﴾ ﴿بَاقِي دَعْمُ قُيُوتَ﴾ ﴿وَادَّ الْأَصْفُفُ مَبُورَ﴾ ﴿وَادَّ الْهَيْئَةُ كَيْفَ﴾ ﴿وَادَّ الْبَقِيْعُ شَبُورَ﴾ ﴿وَادَّ لَهْفَةُ الْبَلَاءِ﴾ ﴿عَبَثَ مَقْشَرُ مَا أَخْصَرَ﴾ ﴿[التكوير ١-١٤].﴾

فالآيات كلها ما عدا الأخيرة، تفصل كما ترى أسباب الروع والعرع في سلسلة متلاحقة من الانقلابات التي تطوي بها صحيفة الكون وتشكر معالنه، وتسدل أرضه





بعضها إلى بعض، ساقها هزل إلى الهروب اليأسا للمأوى أو العدا، أو جعلت  
يحسب بالناس داهلة عن حاجتها وعما فيها من طمع الافراس، ثم يكون المظنون  
فصل الختام، حيث يكون الحذر قد سُخِّرَ من منتهى حتى يفيض عن عرف الناس، أو  
أحيب قصارت حياء لتجتمع على الناس خطرين؛ خطر لعرف وخطر آخرى

حلقات مواصله من عوامل التدمير للعالم القديم، تسعها حلقات من أعمال  
إساءة والإساءة نعلم الحديث، فالموتى يقومون من قبورهم وقد رُؤِيت بعوهم  
بن أسائهم، أو جمع كل شكل مهم إلى شكله على حسب عيائهم واعتقادهم، وأحد  
كل منهم يسأل عن شأنه، ويستشهد المظلوم مهم على طامه، حتى الموءودة تُسبب  
بأي دس قُتلت، تكبَّت وتدينها لقاتلها، فردا لم يعترف بفساده شهدت عليه معام  
حربته، بل شهد على كل عامل سجل أعماله؛ إذ شررت يومئذ صحائف بعد أن  
كانت قد طُويت عند موته، ثم رفع الجحش وكشف العطاء، وكشفت لسيه كم  
يكسب الخلد عن الدبيحة فدا ما فوقها من الملاء الأعلى، وبررت العوالم لعبيية  
فأصاحت من عالم الشهادة وهبشت مارل الخراء على اختلافها، فالجحيم قد سُقِرَتْ  
في إيقادها استعدادا للمطالين والحلة قد أرلعت وأذيت وفرت لمتقين

هالكت، وهالك فقط تعلم كل نفس ما أحصرت، تعرض الأعمال على  
أصحابها فتجد كل نفس ما يسرها أو يسوؤها.

ناله إن في هذا التوقيت والتحديد لإنذارا يقطع أعمار المؤمنين، معناه أنه لن  
يكشف لعطاء عن هذه المسؤوليات وآثارها إلا وقد داب الأورن، وتعب الرمان  
والمكن، ورالت أسباب الإمكان فمن أراد أن يحاسب نفسه عليه حسابها يرد مد  
اليوم قبل أن تكون شاة أخرى بها ينقطع خط الرحمة ولا يبقى معها محال للتدارك  
﴿وَسَمِعْتُ يُنَادِي تُكُنَّ أَنْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتَ لَهَا نَسِيًا مَرًّا﴾ (الأنعام ١٦٨).

لا ريب أنه نأ خطير، ولكن أحن هو؟ أهدا العالم حقاً هدية؟



المشهد عليها أنها شهادة سور على نور شهادة من فلق الصبح على أحقبه انوشي الذي جاء في وضح النهار وكان كفلق الصبح، كلا النورين منحه من فلق الإصباح فمن كان في شك من شيهي فيعتبر بأولهما، فإن الذي أثار الأشباح هو الذي يبر الأرواح

### كيف عبر القرآن هنا عن فلق الصبح؟

إن لجمال الفجر لسحرًا أطلق الشعراء واحكماء واستوقف العديد من المحدثين وطالما قُتس هؤلاء وهؤلاء في تصويره . ولكن اللوحة التي رسمتها آياتها لا تعادلها لوحة أخرى في القرآن كنه. إنها لوحة مؤلعة من أربعة ماطر، كل مطر منها يتألف من عدة صور حيوية متحركة.

فانظر كيف صورت انجوم وهي يتأفص عددها في آخر الليل رويدًا رويدًا، في صورة قطع من الظاء كانت متممة في مرعاها، وما هو إلا أن لمحت قنصها فردا هي تحبس أو تنكص راحة القهقري من أمامه، ثم تجري هاربة حتى تدخل في كناسها وحائتها، وهل كناس النجوم إلا ضوء النهار تستر به عن أعين الباطرين؟ ثم انظر كيف صورت سواد الليل وهو يتفلس في وقت السحر شيئًا فشيئًا في صورة غصه ثقل كان يغشى الخليفة ويكتم أعينها فجعل يراح عنها قنبلاً، وطفقت هي تتخلص منه كما يتخلص المكروب المكوث من حجاب كان قد وضع على فمه، وهكذا أحد يتفلس مرسلاً نسيمه العليل، كأنها وجد راحة وفرج من كبرته، حقاً إنها الآية من آيات الجمال والحلال فتارك الخلاق لمصور، هذا نور العيون والأنصار جيء به هنا شاهداً على أخيه نور القلوب والبصائر والعمم والهدى الذي يصوي عليه القرآن، ولا سيما أنباء الساعة التي صدرت بها السورة وقد أعيدت الشهادة في صيغة التأكيد المكرر بأن وباللام ﴿يَنْتَظِرُ لِقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (التكوين ١٩) الآيات

### من منطوق هذه الشهادة؟

إنها ليست شهادة بجملة مجردة ولكنها شهادة مفصلة مبرهنة، إنها لا تعال

الدعوى مدعوى للمعاصر صر أن استك كل أناء القرآن حق وصدق، ولكنها تحصل في نهاية إلى هذه السجدة عن طريق برهاني تحليلي، تعرض فيه السلسلة الذهبية التي يدافع بها سيد الوحي، وصحة كلامه من طرفه حامله ومسميه بما هو أنه مشيرة إلى المسح لعدوي الذي انتهى منه، ثم تخلص من هذا كله لا إلى برهانه حق وحسب، بل إنه أسس الحقائق وأعمها معاً، إنه ذكر للعالمين

تبدأ الشهادة بذكر حامل الوحي وهو الرسول المبكي الكريم حبيب الله  
 لسلام-، فتشهد له بحمى حصول "لكرم، القوة، المكانة، والرياسة المطاعة في  
 الملأ الأعلى، وأخيراً الأمانة"

نقول إنه

١- رسول كريم المعصر، طيب المتحدث، فلا يأمر إلا بحير ولا يقول إلا الحق والعدل، ثم.

٢- هو ذو قوة يستطيع ما أن يحمل أعباء الوحي ويصون رسالته من تحليط الشياطين وتلبسهم وريادتهم أو نقصهم، ثم

٣- هو عند ذي العرش مكين، ذو مكانة عند الله، فهو قريب من منبع الوحي، ذو اتصال يستقي أنباءه من مصدرها الأصيل، ثم

٤- هو فوق ذلك مطاع في الملأ الأعلى، ومعنى هذا أنه ليس واحداً من عامة الملائكة المقربين حول العرش، بل هو رئيسهم، فلا يتلقى عن أحد منهم، ومعنى هذا أيضاً في لغة الرواية أن السند ليس متصلاً وكفى، بل هو سند عال بل غاية في العلو.

٥- وهو بعد ذلك كله أمين لا يحون ولا يكذب ولا يفس، فهو منى حمل الأمانة أداها على وجهها ولعمري لقد كان حسبه من الأوصاف أن يكون قوياً أميناً ليكون أهلاً لحمل رسالة صادقة، ولكن رسالة لقرآن الكريم

بلغت من عبو مكة وساعة الشأن أنه لا يكتفي لها القوي الأمير، بل يسعى أن يعهد بها إلى كبير السمراء وأقرهم مكة من دي العرش هكذا كان لتسوية بشأن الرسول الملكي توبها بالرسالة نفسها ثم هو في الوقت نفسه توية بشأن الرسول الشري ﷺ الذي تلقى الوحي، فإنه ليس وحدثا أخرحت لداس، فلا يسعى أن يرسل إلى هذا الرعيم إلا رعم يسأبه وما من إلا له مقام معلوم، بل الأمة المحمدية نفسها قد فست ثبثا من هذ الشرف العظيم، فله الحمد لا يحصي ثناء عليه

### الرد على المكذبين لرسالة الرسول ﷺ

وتستقل الآيات الكريمة إلى الحلقة اثنية من السلسلة الذهبية أعني لرسول أنبشري محمد بن عبد الله - عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام -، فتشهد له بأربع حلال العقل والنش والامانة، والنشر عن الأعراس لعاحلة

أما العقل فقد أصبحت عه في أسلوب متواضع، وهو في تواضع فارص لادع ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ دكتور ١٢٢؛ ذلك أنه لم تكن ثمة حاجة إلى تعريضهم برجاجة عقده ووفرة حلمه، وهو صاحبهم الذي طالت صحبتهم به، ولكنهم لما كذبوه في دعواه رؤية الملك، وزعموا أنه عسى أن يكون قد احتلط عليه الأمر فتحيل حيا لا سماء ملكا، وما هو بملك، كشمت الآية عما ينظوي عليه هذا لتكذيب من اتهمه بالعتة وفساد العقل والذي هو أبعد الأشياء عن صماته التي استيقنوها منه، وهكذا أمررت المفاضة والمفارقة بين قصة معرفتهم ومصموم اتهامهم له، فكانت تعريضا لادعا بسماحتهم في هذه اللجاجة

وإن كانوا لم يريدوا انتكذيب اتهاماته في كمال عقله، ولكن تشكيك في سلامة حواسه إذ ذلك في مدى قرب الهدف منه ووضوحه في سائر الظروف الرمانية والمكايه التي ترتبط بنشته من المرثي، فقد جاءت الآية التالة مربلة لكل ليس من هذه للاحية أيضا ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ راء رأي العين جهرا نهارا في تثت نام،

ومعناه كانه، وهكذا وقع الوصف في الآية السابقة موقع قوله تعالى في سورة النجم ﴿م كذب القؤود ما رأى﴾ (النجم ١١)، ووقع الوصف في هذه الآية موقع قوله هـك ﴿م راع نصرو ما طغى﴾ (النجم ٢٠) لا خطأ إذا في الحسن، ولا خلل في المعنى، بل القيد يقي والبصر حدد، فلا معمر في شهادته لا في عمله ولا من قبل حسه

لكن بقي لكذبهم تفسير آخر، وهو أن يكون طعناً في حلقه من حيث الصدق والأمانة، ذلك أن الذي يكذب في دعوى الرؤية العجيبة، إما أن يكون معدوماً بما عسى أن يكون عليه من اضطراب نفسي أو لس طبيعي، وإما أن يكون قاصداً متعمداً للكذب، وقد بينت الأبحاث السابقة بطلان لشق الأول بطرفيه، فحاجت الآية إلى حجة تدرئ الرسول ﷺ لا من صميم الكذب وحسب، بل من كل ريبة تبرئ به ما هو عن الغيب بطريق، ما مثل محمد من يتهم في أحبارهم عن الله، والرجل الذي يتحرى أصدق الحديث في شؤون الناس وفي عالم الشهادة ليس من شأنه أنه يحوم حوله شئ حين يحبر بأحبار الغيب عن الله، فإنه لم يكن ليذكر الكذب على الناس ويكذب على الله.

هكذا تمت له الخلال الثلاث العقل، والشيب، والأمانة.

أما المحصلة الرابعة وهي إخلاصه في شر دعوته وتجرده من لعرص فيها، فقد شهدت بها القراءة الأخرى وما هو على الغيب بصير، ليس من شيمته المحل بعلوم الرحي والحرص عليها انتظاراً لأجر مادي أو أدبي كما يفعل المجنون والعرافون والمتعاطون لعلوم الدين، بل هو على العكس حريص على شره نادل أقصى جهده في هدية البشر بها، ولا شك أن هذا لأنبياء البليغ الثريه هو طبع لرسالات الحق، فإن أصحاب هذه الرسالات يسون أنفسهم في خدمة الأمم وإصلاح المجتمعات البشرية ولا يبعون من ورائها جاه ولا مالاً على أن يسلح الرسالة من مورها وعدم كتمانها والنسب بها ربما تحللي الأمور خوف أن نغيب.

لأيامها يكذب أو ينافسها، دليل آخر على أن صاحبها قد ملأ يديه منها أمّا وثقة،  
وربها حقّاً رساله السماء، التي لا يأتيها الساطل من بين يديها ولا من خلفها  
وهكذا اجتمع لمحمد ﷺ الكمال الداعي كله، سلامه العقل، وصدقه الخس،  
واستقامته الحق وبراة الصبر وعلم اليقين.

### إعلان النتيجة في شأن الوحي

والآن تم التعريف بطري السلسلة الذهبية التي عبر عليها الوحي إلينا من حبر  
حفيظ صادق أمين إلى حكيم واع بريه مؤمن أمين ولم يبق بعد انتظام هاتين  
المقدمتين في سند الوحي إلا إعلان النتيجة في شأن الوحي نفسه إنه إذا حبر  
الصادقين ﴿وَمَا مَوْثِقُ الْوَيْحِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ (التكوين ٢٥)

أليست الشجرة تعرف من ثمرتها؟ هلش كان قد عاب عنا من شجرة الوحي  
حدورها ومستنها عنقد رأينا ثمراتها، وهي تخرج من أكمائها في هالة من النور ونوب  
من الطهر تهدي إلى الحق، ونأمر بكل خير ونهي عن كل شر، هل  
يستوي البر والاثم والأبرار والفجار؟ هل يستوي وحي الرحمن ونزع الشيطان؟  
هل يستوي من يأمر بالعدل والإحسان ومن لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء؟ فأي  
تذهبون عن هذا النور المبين والبهج المستقيم؟ فماذا بعد الحق إلا الصلال

وأخيراً تترقى الآيات في التوبة بشأن هذا الوحي القرآني، فلا تكتمني بأنه حق،  
صدر من حق، بل تشيد هدايته الشاملة، ورسالته العالمية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾  
تذكرة للمخلق أجمعين، يذكرهم بالله وصفاته وبالكون وعلومه وآياته وبسنة الله في  
أوليائه وبدروس التاريخ وعمره، وباليوم الآخر وأحواله وأهواله، يذكرهم بالأمة  
وواجباتها في طوري سلمها وحريها، وبالأسرة وحقوقها في حالي لتعامها  
وانقسامها، يذكرهم بانفسوس وما يصلحها ويركبها وما يُفسدها ويدسبها،  
يذكرهم بكسب لكل ما يصلح شأنهم في معاشهم ومعادهم فلا يترك سبيل خير إلا



وصفه وذن عنه، ولا طريق شر إلا حذر منه وبته الله

بهم إنه ذكر للعالمين، ولكن هل كل من ذكر تذكر، وكل من دعي لي، كلا به  
ذكر للعالمين توحيداً ودعاء، أم تنبيه واستحسان فإنه ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم  
فهؤلاء هم الذين سمعهم لذكرى وتجمع فيهم الموعظة، هو للعالمين ذكر واحد،  
ذكر تذكير وتنصرة، أم المستحسين فهو ذكران اثنان: ذكر تذكير وتنصرة، وذكر  
رفعة وبهاة شأن ﴿وَبَلَّغْ أَلْعَزَّةَ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة ١٨)

تناولت سورة بي هذا أحد ركس عظمى من أركان الإيمان: ركن استع  
وركن بررسالة، وكها لا يريد أن تودع الفارئ هل أن ترقى به إلى حقيقة الثالثة  
لكرى عقيدة لإلوهية العظمى، بها هي دي تجعلها منك الخدم ونحيء بها في أمس  
أوقات الحاجة إليها ذلك أن تعيق الانتفاع بالذكرى عل مشيئة من شاء ما أن  
يستقيم، كان رسماً يوحى إلى النفوس شيئاً من العزور فتحسب أن أمرها كله موكول  
بها، وأن ها الخيرة كل الخيرة في سلوك سبل التعوى وسبل المجور، ولو مراعاة  
مشيئة الله، قال تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة ٢٩)

حقيقة ناصعة لا يكار فيها أحد ممن يؤمن بالله ولا يشرك به شيئاً

ومها تختلف وجهات النظر في مسألة المصاء والمدر، ومها نأخذ بأوسع  
معاني الحرية الممنوحة للإنسان، فإنه لا معر من لتسيم بأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة  
الرب وإن هذه لسعية مظاهر كثيرة إيجابية وسلبية، وأدى هذه المظاهر تتمش في أن  
رادتنا لا تركز إلى فعل أو ترك دون أن يمكن الله لها من هذا التكون ويحلي ها  
طريقه وأنه لا يعقل أن تسلك مسلكها كفاحاً وغلاًنا لمشيئة الله وإلا لانفس  
أوصاع العبودية والربوبية، فصدق الله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.



## الفهرس

٥	تصدير الكتاب
٧	نور من القرآن
٨	نور من السنة
٩	من أقوالهم
١١	تقديم بقلم الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد
١٥	مقدمة
٢١	ترجمة الدكتور محمد عبد الله درار
٤٥	مدخل تهيدي عن المؤلف وأثره في التفسير ...
٤٧	١- علم بالقرآن
٤٩	٢- تفسيره ثمرة لتأمل والتدبر
٥١	٣- مدرسة الشيخ دراز في التفسير
٥٢	٤- منهج الدكتور محمد عبد الله درار في التفسير
٥٥	٥- أسلوب محمد عبد الله دراز في تفسيره ...
٥٧	٦- جولة في تفسيره .....
٥٨	تفسيره الموعرعي لسورة القرة
٦٧	القسم الأول: تفسير فائحة الكتاب، دستور المستقر.
٦٩	كلمة للأستاذ الدكتور / محمد رحب ليومي
٧٢	المبحث الأول بطرات في فائحة الكتاب الحكيم
٨٥	القسم الثاني: التفسير الموضوعي لسورة البقرة
٨٧	لتفسير الموضوعي لسورة البقرة
٨٧	سورة البقرة نموذجاً عن غامض بيان القرآن وأحكامه
٨٧	أهداف من اختيار السورة رسم خط سيرها، وإبراز وحدة نظمها المعوي

٨٨	ضرورة إحكام النظر في السورة كلها
٨٩	القرآن وتأليفه بين المختلفات
٩١	حسن الموقع في التجاور
٩٢	نظام عقد المعاني في سورة البقرة إجمالاً وتفصيلاً
١٠٣	المقصد الأول من مقاصد السورة: في خمس آيات (٢١ / ٢٥)
١٠٧	المقصد الثاني من مقاصد السورة: في ثلاث وعشرين ومائة آية (٤٠ - ١٦٢)
١١٢	المراحل الأربع التي سلكها القرآن في دعوة بني إسرائيل
١١٥	حلقة الاتصال بين القسمين الأول والثاني (٧٤)
١٢٨	المدخل إلى المقصد الثالث: في خمس عشرة آية (١٦٣ - ١٧٧)
١٣٥	المقصد الثالث من مقاصد السورة: في ست ومائة آية (١٧٨ - ٢٨٣)
١٦٠	المقصد الرابع من مقاصد السورة: في آية واحدة (٢٨٤)
١٦١	الخاتمة: في آيتين اثنتين (٢٨٥ - ٢٨٦)
١٦٥	<b>القسم الثالث: مقدمة التلاوة</b>
١٦٧	المبحث الثاني «الحياة من القرآن» حلقات مقدمة التلاوة لفاتحة الكتاب وسورة البقرة
١٦٧	١ - سورة الفاتحة
١٧٠	الحلقة الأولى من سورة البقرة
١٧٣	الحلقة الثانية من سورة البقرة
١٧٧	الحلقة الثالثة من سورة البقرة
١٨١	الحلقة الرابعة من سورة البقرة
١٨٥	الحلقة الخامسة من سورة البقرة
١٩١	<b>القسم الرابع: تفسير آيات متقاربة</b>
١٩٣	الحلقة السادسة: من سورة البقرة
١٩٦	المبحث الثالث: تفسير آية السلم
٢٠٠	سورة البقرة: «سنة الهداية القرآنية»
٢٠٢	سورة البقرة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾
٢٠٦	سورة البقرة آية الدين والرهان

- حديث سورة آل عمران عن غزوة أحد ..... ٢٠٩
- نور من سورة النساء لمحبي الطهر والجمال الخلقي ..... ٢١٣
- القسم الخامس: نور من سورة المائدة** ..... ٢١٧
- سورة المائدة مقاييس الكمال في وضع التشريعات ..... ٢١٩
- سورة المائدة ١ - الوسائل المستهضة للعرائم ..... ٢٢٢
- ٢ - خلاصة الدستور الإسلامي تفسير آية القط ..... ٢٢٤
- ٤ - حول عجائب الطياع .. ومفارقات الأخلاق ..... ٢٢٨
- القسم السادس: أنوار السور** ..... ٢٣٥
- نور من سورة الأنفال الفصل في القضايا بين المسلمين وغير المسلمين واعتماد المسلمين  
سياسة الاستعداد الكامل للبراء العدوان ..... ٢٣٧
- سورة الحجر بيان موقف المستهزئين بالدعوة المحمدية ..... ٢٤٠
- نور من سورة النحل مقاصد الدعوة المحمدية في مكة ..... ٢٤٣
- نور من سورة يس (أصول العقيدة الإسلامية) ..... ٢٤٦
- نور من سورة غافر عرض لقضية النزاع والصراع بين دعاة الحق والباطل والخير والشر ..... ٢٥٤
- نور من سورة القمر الإنذارات الثلاثة وعاقبة الإعراض عن النذر ..... ٢٥٩
- نور من سورة الواقعة وأحوال النشأة الآخرة وعرض مواطن العبرة من شئون الحياة  
الحاضرة ..... ٢٦١
- القسم السابع: نور من سورة الملك ومقاصد الدعوة الإسلامية** ..... ٢٦٥
- سورة الملك ومقاصد الدعوة الإسلامية ..... ٢٦٧
- ١ - التحريف بالله وصفاته ..... ٢٦٧
- ٢ - الندب إلى خشيته والتحذير من عاقبة الكفر به ..... ٢٦٧
- القسم الثامن: سورة القلم والحديث عن الرسول ﷺ وحال المكذبين** ..... ٢٩٣
- سورة القلم والحديث عن الرسول ﷺ وحال المكذبين له ..... ٢٩٥
- ١ - ربط سورة الملك بسورة القلم ..... ٢٩٥
- ٢ - دفاع عن الرسول ﷺ ..... ٢٩٥
- ٣ - أسرار الحروف المنقطعة في أوائل السور ..... ٢٩٧



٢٩٨.....	٤ - منهج في تعلم القرآن.....
٢٩٩.....	٥ - دفع نمة الجنون وتبرئة الرسول ﷺ.....
٣٠١.....	٦ - المجهوم على الطافين، والصاق التهم بهم.....
٣٠٦.....	٧ - قصة أصحاب الجنة.....
٣١٠.....	٨ - كذلك العذاب للمكذبين، وللمتقين عند ربهم جنات النعيم.....
٣١٥.....	٩ - فذرني ومن يكذب.. واصبر لحكم ربك.....
٣٢١.....	تعليق ختامي.. الصبر المطلوب.....
٣٢٥.....	القسم التاسع: سورة النبا ومولد الدعوة الإسلامية.. وتساؤلات المشركين.....
٣٢٧.....	سورة النبا.. ومولد الدعوة الإسلامية.....
٣٢٧.....	تهديد.....
٣٢٨.....	آيات الله في الكون والأنفس.....
٣٢٩.....	التذكير بأنعم الله وآياته الكونية.....
٣٣٠.....	العلم بصحة البعث.....
٣٣١.....	شواهد البعث وأماراته.....
٣٣٢.....	أحوال الأشقياء.. وأحوال السعداء.....
٣٣٤.....	عبرة السورة ومغزاها.....
٣٣٧.....	القسم العاشر: سورة التكوين والحديث عن أركان الإيمان.....
٣٣٩.....	نور من سورة التكوين الحديث عن أركان الإيمان ركن البعث.. وركن الرسالة.....
٣٣٩.....	١ - ربط سورة التكوين بسورة النبا.....
٣٤٠.....	الحديث عن ركن البعث.....
٣٤٣.....	كيف عبر القرآن هنا عن فلق الصبح؟.....
٣٤٣.....	من منطوق هذه الآية؟.....
٣٤٥.....	الرد على المكذبين لرسالة الرسول ﷺ.....
٣٤٧.....	إعلان النتيجة في شأن الوحي.....
٣٤٩.....	الفهرس.....

## قالوا عن د. محمد عبد الله دراز:

«لولا أن الرجل حافظ فائقه لكتاب الله، وضيع مكين في آداب العربية، وعابد مخبى تكشف أمام بصيرته الليرة الحكم بالغات التي غابت عن غيره ما استطاع أن يصور لنا خصال الإعجاز القرآني ويجعلها منا رأي العين...»

الشيخ / محمد العزالي

«يعمل الإنسان العتار والخلق الكريم، تُفاد نفسه كاحسن ما تكون الثقافة، أراهه موقفة، يتدفق أسلوبه في البيان عذبا شهيّا لا يهل...»

الإمام الراحل الدكتور / عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق

«عالم نقي عميق النظرة، صادق الإيمان، نبت في علمه، قوي في دينه، آتاه الله الحظ الأوفر في علوم الإسلام، فكان فيها العلم الذي يُشار إليه، وأوتي مثل هذا الحظ من علم أوروبا، فكان العالم بما عند الأوروبيين، وما طفق في قلبه علم هذه الدنيا على علم الإسلام، ولا تلك الحضارة البراقة على حقيقة الإيمان، وما بهرته زخارف هذه المدينة عن التروة الروحية التي اشتملت عليها الحقائق الإسلامية، ولا عن تلك الذخيرة الإنسانية التي اشتملت عليها أحكام القرآن المقررة الثابتة الباقية الخالدة إلى يوم القيامة...»

الإمام الفقيه / محمد أبو زهرة



المنشورات المفكرون

mofakroun@gmail.com

www.mofakroun.com

